

نخر السوس

قبل أن يتحول المجلس الأعلى للثقافة إلى جثة هامدة

الأربعاء
12 أغسطس 2026
29 صفر 1448
6 مسرى 1742

إصدار إلكتروني يصدر عن مؤسسة «الدستور» للطباعة والنشر
العدد 137
المحرر العام: محمد الباز

حرف



تحرير الإسلام من دين الإخوان المسكوت عنه في واقعة مطعم «سيزلر»

هل يتورط محمد الشرنوبى فى الترويج لـ«المثلية»؟

محمود عوض

ضمن مشروع دار الثقافة الجديدة لإعادة نشر 4 مؤلفات للكاتب الصحفي الراحل محمود عوض، تنشر ،حرف، مقدمة كتاب، ممنوع من التداول، بقلم الصحفي نصر القفاص.

عمر موسى

،حرف، تترجم حوار الكاتب الماليزى الأسترالى، الفائز بجائزة، مايلز، فرانكلين، الأدبية لعام 2026، مع صحيفة ABC الأسترالية، وذلك عن روايته، فيرلاند، Fierceland.

مارى عبدالمسيح

أستاذة الأدب الإنجليزي والمقارن البارزة تتحدث بعد حصولها على جائزة الدولة التقديرية فى الآداب لعام 2026، والجدل الذى أثير حول جوائز الدولة هذا العام.

جار النبى الحلو

أحباب وقراء وتلاميذ الكاتب الكبير يجتمعون فى ندوة ،حرف، لتكريمه والاحتفاء بتجربته الأدبية والإنسانية الفريدة.



العراق

نامق عبد ذيب

جَنَّةٌ فِي مِحْبَرَةٍ



ما من أحد يستطيع أن يُخْرِجَكَ

من دِوَاةِ الجِبْرِ

وهذه الكلمات التي تلمع يوميًّا

كجروح مأساوية

تتجمّع لتكوّن بحيرة رثائِكَ

كان بلمكانِكَ ومنذ شجرتِكَ الأولى

التي زرعتها في المَهَبِّ

أن تُشِيرَ لرغبتِكَ لكي تأخذَكَ إلى الجَنَّةِ

ولكنَّكَ اخترتَ ترائِكَ وقليلًا من سِوَاةِ أَيَّامِكَ

وكثيرًا من الكلمات

واقمتَ هناك في الهِوَاجِسِ

تنتظرُ السَّكَاكِينِ القادمةً من الأفق

لتجرحَ قلبَكَ

وحين رأيتَ الخريفَ يُلَوِّحُ

صعدتَ كغيمَةٍ من ذهب

تُشيرُ لأولئك الذين تركوا حقائبَهُم

في المحطّات ولم يلتفتوا

كنتَ تسألُ عنهم الأيَّامُ التي رَمَقْتَهُم

في النّهارِ العربيّ

لكنَّهُم حين مرّوا أمامَكَ

أشاحَ النّهارَ بضوئِهِ وأوغلوا في الغياب

وحين سمعتَ الصَّيْبَةَ تسالُ أمّها

لماذا لم يعودوا؟

رأيتَ أمّها تُشيرُ إلى الأفقِ قائلَةً:

اسكتي يا ابنتي

هذه حقائبُهُم تركها اللصوصُ فارغةً

وذلك حَمَامٌ قصائدُهُم يطير

وتلك أرواحُهُم

الشُّعْرَاءُ يا ابنتي يَخْتَفُونَ بلا سبب

كما يظهرون

وهم حين تأخذُهُم أحلامُهُم

لا يعودون من النّومِ

اسكتي يا ابنتي

تعيبُ أحلامُنا حين لا ينامون

فلا توقظيهم

ما من أحد يستطيع أن يُخْرِجَكَ من الجَنَّةِ

وفراديسِكَ التي خلقتها دون مثالٍ

ملكٌ يديكَ

أنتَ قادرٌ على أن تروخَ بعيدًا في المحارةِ

لتجلّوْ لؤلؤةَ قلبِكَ

وتمحوْ ما خَلَفَهُ العَمُرُ من سِوَادَاتِ حَيَاتِكَ:

سِوَادَاتِها حين تشهقُكَ من الرُّعبِ

سِوَادَاتِها حين تلتطخُّكَ بالإساءاتِ

سِوَادَاتِها حين سهاُمُها تلمعُ في صدركِ

سِوَادَاتِها حين تأخذُ فقط

ما من أحد يصلُ إليها

هذه جَنَّتُنا البعيدة

جَنَّةٌ جَبَرْنَا حينَ نبكى بكلماتنا السُّود

باحثينَ عن آدميَّتِنا

في الفردائيس التي طرَدْنَا منها دونَ سبب



في 11 أغسطس حلت ذكرى رحيل الفنان الكبير نور الشريف 2015، ذلك الفق الذي عرفه الجمهور المصري لأول مرة عام 1966 من خلال شخصية كمال عبد الجواد في ثلاثية نجيب محفوظ، فانبهرت به الجماهير وتابعت به شغف في العام التالي عبر مسلسل، القاهرة والناس..



نضال ممدوح

الذي لا يموت

نور الشريف يطل عليكم من العالم الآخر

للخيال، يقاطعه العميد قائلًا إن كلية الصبيلة لا مجال فيها للخيال، فيرد واصل بمنطق عقلاني: طول ما العقل والخيال موجودين لا يمكن لشيء أن يقف أمام الإنسان. لكن العميد يواصل حديثه عن عجز العلم عن تفسير كثير من أسرار الإنسان والكون، مستشهدًا بالآيات القرآنية، وهنا ينحاز «واصل» إلى العقل والمنطق، بينما يتمسك العميد بفكرة الإعجاز العلمي في القرآن، معتبرًا أنه كشف منذ أربعة عشر قرنًا كل ما نعيشه اليوم من ثورة علمية وتكنولوجية، وهو ما يرفضه واصل رفضًا قاطعًا. في فيلم «الاعتراف الأخير» قدم نور الشريف جانبًا مسكوتًا عنه في السينما المصرية، وهو قصص الحب التي تجمع بين مسيحيين ومسلمين.

تدور الأحداث حول «أدهم»، الذي يفقد زوجته درية إثر حادث سيارة، فتتحول حياته إلى جحيم ويهيم على وجهه في الملهى الليلية، إلى أن تظهر له «سميرة»، التي تحاول أن تعيد إلى ذاكرته أيام الدراسة الجامعية، حيث

حقق نور الشريف إنجازات كبرى في مسيرته الفنية، لكن أبرز ما أنجزه هو كسر التابوهات التي طالما أحاطت بالموضوعات التي تناولتها السينما والتلفزيون، فقد قدم نمطًا جديدًا لم تكن مهمة التشخيص معتادة عليه، إذ ظل أكثر من ٩٠٪ من معايير ظهور «الشخصيات» مرتبطة بالمواصفات الشكلية الخارجية، وسامة الممثلين وجمال الممثلات، بينما القليلون فقط جمعوا بين تلك المعايير والموهبة الطاغية، وكان «الشريف» في مقدمتهم. في عام ١٩٨٠ قدم نور الشريف واحدًا من أبرز أدواره في فيلم «أين تخبئون الشمس» للمخرج الغربي عبدالله المصياحي، عن قصة قصيرة لحفيظة العسري وسيناريو صبرى موسى، بمشاركة عادل أدهم، نادية لطفي، ومحمود المديحي.

وجسد «الشريف» شخصية الشيخ محمود، رجل الدين الذي يسعى بالحوار الهادئ إلى هداية مجموعة من الشباب الناضجين بين الإلحاد واللهو والمخدرات، مؤكدًا رحمة الله ولطفه بدلًا من الترهيب. الفيلم، الذي صُوّر في المغرب، لم يستمر في دور العرض سوى أسبوعين بسبب اعتراض الرقابة والهجوم الجماهيري، لكنه ترك بصمة خاصة عبر صورة رجل الدين المتسامح الذي يحتوى ضعف الإنسان ويقوده إلى التوبة.

وعن قصة لثروت أباطة، قدم نور الشريف فيلمه «لقاء هناك» عام ١٩٧٦ من إخراج أحمد ضياء، ويبدأ العمل بمشهد إفطار رمضاني يجمع عائلة مرقص وزوجته وابنته إيفون، وعائلة سلطان صديق عمره، حيث يسأل الجميع عن «عباس» (نور الشريف).

وتنتقل الكاميرا إلى كلية الهندسة حيث يدرس، وما إن ينهى الأستاذ المحاضرة ليلحقوا بالإفطار، يشعل «عباس» سيجارته مستنكرًا: «ده بقى كلام أستاذ في القرن العشرين ميكملش الدرس عشان الإفطار؟»، ليرد زميله: «شئ» طبيعي يا أخی..

ويعقب عباس: «العلم لازم يحطم الخرافات دي»، فيرد زميله: «العلم عمره ما كان بيعادي الدين»، ثم يضيف: «أنت راجل فاطر وأنا صايم.. السيجارة دي مش حرية، دي قلة ذوق، وتلاحظ أن الحوار لم يتضمن تكفيرًا أو تهديدًا، وهو ما يعكس أن الفكر السلفي الوهابي لم يكن قد انتشر بعد في مصر كما هو الحال الآن.

تعود الكاميرا إلى مائدة الإفطار، حيث تعزم أم عباس ضيوفها قائلًا: «يا جماعة كلنا صايمين والصايم مش عاوز عزومة»، فترد أم إيفون: «اتعشينا وصومنا والمسيح الحى ما اتسحرنا. فيقول والد عباس: (عليه الصلاة والسلام). يدخل عباس، فيمازحه مرقص: «باين عليك فاطر يا عباس.. فينتفض الأب مؤكدًا أن ابنه يصوم منذ كان في السابعة.

وبينما يتبادل «عباس» وإيفون نظرات مختلصة تكشف علاقة حب، يظل السؤال: هل سيقتف الدين عائشًا أمام اكتمالها، خاصة أن «عباس» لا يعترف إلا بالمادية والطبيعة؟ في مشاهد أخرى، نراه داخل البارات أو في منزله بصحبة فتاة ليل، يناقش صديقه حول الحرية، مهاجمًا تناقضاته:

«يواظب على الصلاة بينما الخمر لا تفارق يده. حتى إنه يهرول إلى صلاة الجمعة وهو سكران، مبررًا أن الصلاة تمحو

السيئات..

يرفض «عباس» هذا المنطق، ويجرؤ أخيرًا على رفض أمر والده بالصلاة، مغادرًا المسجد وسط خطبة الإمام، في مشهد يعزى يلخص أزمة التدين الشكلي، بينما ذهنه يسبح في الفضاء متأملًا أول إنسان يهبط على القمر.

وفي عام ١٩٩٣ عاد نور الشريف إلى الشخصيات الجدلية ليقدمها عبر الشاشة في فيلم «الرقص مع الشيطان»، جسّد شخصية الدكتور واصل عبدالله الرفاعي، الذي تلقى تعليمه في الخارج، فصيغت الأفكار المادية قناعاته، ولم يؤمن إلا بما يراه ويلمس بحواسه ويقرّه عقله.

فمنذ أول أيام عودته إلى عمله بالجامعة، يدخل في صدام مع العقليات الجامدة التي أصابها الركود عبر عقود طويلة، وفي حوار مع عميد الكلية حول أهمية إطلاق العنان

لكن أبرز ما أنجزه هو كسر التابوهات التي طالما أحاطت بالموضوعات التي تناولتها السينما والتلفزيون، فقد قدم نمطًا جديدًا لم تكن مهمة التشخيص معتادة عليه، إذ ظل أكثر من ٩٠٪ من معايير ظهور «الشخصيات» مرتبطة بالمواصفات الشكلية الخارجية، وسامة الممثلين وجمال الممثلات، بينما القليلون فقط جمعوا بين تلك المعايير والموهبة الطاغية، وكان «الشريف» في مقدمتهم.

في عام ١٩٨٠ قدم نور الشريف واحدًا من أبرز أدواره في فيلم «أين تخبئون الشمس» للمخرج الغربي عبدالله المصياحي، عن قصة قصيرة لحفيظة العسري وسيناريو صبرى موسى، بمشاركة عادل أدهم، نادية لطفي، ومحمود المديحي.

وجسد «الشريف» شخصية الشيخ محمود، رجل الدين الذي يسعى بالحوار الهادئ إلى هداية مجموعة من الشباب الناضجين بين الإلحاد واللهو والمخدرات، مؤكدًا رحمة الله ولطفه بدلًا من الترهيب. الفيلم، الذي صُوّر في المغرب، لم يستمر في دور العرض سوى أسبوعين بسبب اعتراض الرقابة والهجوم الجماهيري، لكنه ترك بصمة خاصة عبر صورة رجل الدين المتسامح الذي يحتوى ضعف الإنسان ويقوده إلى التوبة.

وعن قصة لثروت أباطة، قدم نور الشريف فيلمه «لقاء هناك» عام ١٩٧٦ من إخراج أحمد ضياء، ويبدأ العمل بمشهد إفطار رمضاني يجمع عائلة مرقص وزوجته وابنته إيفون، وعائلة سلطان صديق عمره، حيث يسأل الجميع عن «عباس» (نور الشريف).

وتنتقل الكاميرا إلى كلية الهندسة حيث يدرس، وما إن ينهى الأستاذ المحاضرة ليلحقوا بالإفطار، يشعل «عباس» سيجارته مستنكرًا: «ده بقى كلام أستاذ في القرن العشرين ميكملش الدرس عشان الإفطار؟»، ليرد زميله: «شئ» طبيعي يا أخی..

ويعقب عباس: «العلم لازم يحطم الخرافات دي»، فيرد زميله: «العلم عمره ما كان بيعادي الدين»، ثم يضيف: «أنت راجل فاطر وأنا صايم.. السيجارة دي مش حرية، دي قلة ذوق، وتلاحظ أن الحوار لم يتضمن تكفيرًا أو تهديدًا، وهو ما يعكس أن الفكر السلفي الوهابي لم يكن قد انتشر بعد في مصر كما هو الحال الآن.

تعود الكاميرا إلى مائدة الإفطار، حيث تعزم أم عباس ضيوفها قائلًا: «يا جماعة كلنا صايمين والصايم مش عاوز عزومة»، فترد أم إيفون: «اتعشينا وصومنا والمسيح الحى ما اتسحرنا. فيقول والد عباس: (عليه الصلاة والسلام). يدخل عباس، فيمازحه مرقص: «باين عليك فاطر يا عباس.. فينتفض الأب مؤكدًا أن ابنه يصوم منذ كان في السابعة.

وبينما يتبادل «عباس» وإيفون نظرات مختلصة تكشف علاقة حب، يظل السؤال: هل سيقتف الدين عائشًا أمام اكتمالها، خاصة أن «عباس» لا يعترف إلا بالمادية والطبيعة؟ في مشاهد أخرى، نراه داخل البارات أو في منزله بصحبة فتاة ليل، يناقش صديقه حول الحرية، مهاجمًا تناقضاته:

«يواظب على الصلاة بينما الخمر لا تفارق يده. حتى إنه يهرول إلى صلاة الجمعة وهو سكران، مبررًا أن الصلاة تمحو

السيئات..

يرفض «عباس» هذا المنطق، ويجرؤ أخيرًا على رفض أمر والده بالصلاة، مغادرًا المسجد وسط خطبة الإمام، في مشهد يعزى يلخص أزمة التدين الشكلي، بينما ذهنه يسبح في الفضاء متأملًا أول إنسان يهبط على القمر.

وفي عام ١٩٩٣ عاد نور الشريف إلى الشخصيات الجدلية ليقدمها عبر الشاشة في فيلم «الرقص مع الشيطان»، جسّد شخصية الدكتور واصل عبدالله الرفاعي، الذي تلقى تعليمه في الخارج، فصيغت الأفكار المادية قناعاته، ولم يؤمن إلا بما يراه ويلمس بحواسه ويقرّه عقله.

فمنذ أول أيام عودته إلى عمله بالجامعة، يدخل في صدام مع العقليات الجامدة التي أصابها الركود عبر عقود طويلة، وفي حوار مع عميد الكلية حول أهمية إطلاق العنان

اقتحم المسكوت عنه في

علاقات الحب بين المسلمين

والمسيحيين بـ«الاعتراف الأخير»



تحرير الإسلام من دين الإخوان

المسكوت عنه فى واقعة مطعم «سيزلر»

بعد أن خرج منها الإخوان. اتخيل أن ندى متولى الإخوانية بعد أن خدعت الجميع، ونجحت فيما أرادت، احتفلت بأنها أدخلت الإسلام إلى مول العرب ومطعم سيزلر. ولا بد أنها تلقت التهاني من شبيهاتها الإخوانيات، بأنها انتصرت على المجتمع فى معركة فرض الإسلام عليه رغم أنه له كاره. لقد صور الإخوان ثورة ٣٠ يونيو على أنها حرب على الإسلام، وأنه إذا تعرضت الجماعة لخطر فلن تقوم للإسلام قائمة فى مصر من بعدها. وكان فى هذا ابتزاز دنى وسياسى رخيص، وهى فلسفة مقاومة، وما فعلته ندى لم يكن إلا تطبيقاً لهذه الفلسفة، وللأسف الشديد فإن كثيرين من بيننا وقعوا فى فخها وانساقوا خلفها دون تفكير.

المسألة الثابتة ترتبط بما يمكن أن نسميه «دين الإخوان». ما قراته ليس خطأ على الإطلاق، التعبير صحيح مائة بالمائة، فالأمر لا ينصرف إلى نمط تدين تختص به الجماعة نفسها، ولكنه «دين» تحاول فرضه وترسيخه. تذكرون المحامى الإخوانى الشهير صحبى صالح الذى أصيب فى اشتباك بالإسكندرية بينه وبين محتجين على حكم الإخوان، عندها قال وهو يرقد على سريريه فى المستشفى: اللهم أمتنى على دين الإخوان. لم تقل منه الكلمة عفو الخاطر، بل كان يقصدها تماماً، لأنها تعبر عما يختلج فى صدور أفراد هذه الجماعة، وما هو راسخ فى قلوبهم، فلاخوان دينهم الخاص الذى جاء به مرشدكم الأول حسن البنا، وهم مخلصون لهذا الدين أكثر من إخلاصهم للإسلام، لكنهم وفى حالة من الخداع الكبير يحاولون تمرير دينهم هذا تحت راية دين الإسلام.

عندما تحركت ندى فى مطعم «سيزلر» لم تكن غيرة على الإسلام، ولم تكن حريصة على تمكين صلاته فى أى مكان، لكنها كانت تفرض دينها الإخوانى، وهو دين يعتمد على المظاهر، ويأخذ منها دليلاً على قوته، وقدرته على الانتشار.

فى فيديو قديم يحكى القيادى الإخوانى الراحل عصام العريان كيف أنهم استطاعوا أن ينشروا الحجاب على طالبات كلية الطب عندما كان طالباً بها، وكان يفخر بذلك، وذلك لأن الإخوان وفى محاولتهم لفرض الحجاب على المجتمع، كانوا يخططون لتمييز من ينتمى إليهم ممن هو خارج عليهم، فالظاهر لديهم دليل قوة.

لقد حاولت جماعة الإخوان الإرهابية التمكن لنفسها بأنها حامية الإسلام والمحافظة عليه والعاملة على الإعلاء من شأنه، وأنها الجماعة الربانية القرآنية، أعضاءها هم رجال الله، ومرشدها هم أولياء الله الصالحون، وذلك فى أكبر خدعة اعتقدوا أنها يمكن أن تنطلى طويلاً على الناس، ليتمكنوا من مفاصل المجتمع الذى اتهموه بالكفر والجاهلية، وأنهم جنود الله الذين سيخرجون الناس من الظلمات إلى النور. اعتقد كثيرون أن الجماعة ستوقف عن هذه الحيلة بعد اكتشاف أمرها عندما وصلت إلى الحكم، لكن كان هذا وهمًا كبيرًا، فما زالت الجماعة تواصل مسعاها إلى تنفيذ استراتيجيتها، والدليل على ذلك ما فعلته ندى متولى.

اعتقد أنه أن الألوان لأن نحرر الإسلام من دين الإخوان.

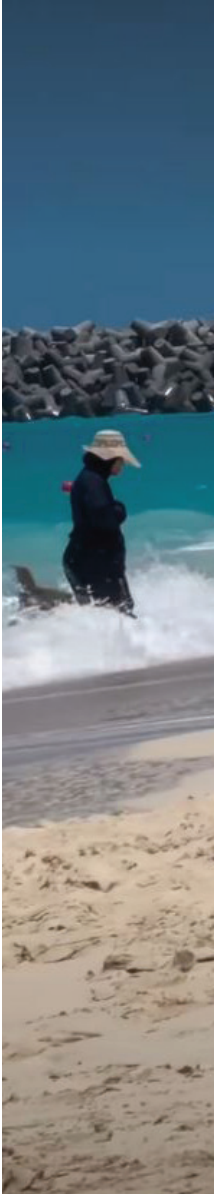
أن تعرف الحيلة التى تعتمد عليها الجماعة فى الوجود بيننا وفرض نفسها علينا، فالمجتمع المصرى رغم كل ما يعانى من أزمات ومشاكل وربما من خلل فى بعض تصوراته الدينية والاجتماعية، فإنه مجتمع لا ينقصه الالتزام بالدين والولاء للإسلام، لكن الجماعة نجحت خلال عقود فى تشويه إسلام المجتمع تهيئاً لفرض دينها علينا، وحكمنا باسمه.

الخدعة كبيرة أعرف ذلك جيداً، لكن الرهان الآن على وعى الناس، فيجب ألا نقع فى فخ الجماعة مرة أخرى.

من يريد أن يصلى فيصلى فى أماكن الصلاة، لكن أن يفتعل مشكلة، وكأنه يريد أن يعرى المجتمع، ويصدره على أنه ليس ملتزماً ويفرض الصلاة، فهذه حيلة إخوانية خبيثة، ولأنها كذلك فقد كشف الله الغطاء عن صاحبها وفضحها على رؤوس الأشهاد.

فهل نتعظ؟

اعتقد أننا يجب أن نتعظ.



الجماعة نجحت فى تشويه إسلام المجتمع لفرض دينها علينا

التعيين، ولم تتجاوز مدة عمله ١٥ يوماً، وأن ما يُدر منه يمثل تصرفاً فردياً مرفوضاً لا يعبر عن قيم أو سياسة المطعم، وأن هذا السلوك لا يمثل ثقافة العمل، مؤكداً أنهم طوال ١٤ عاماً من العمل لم يشهدوا أى واقعة مماثلة، وأن احترام العملاء وتقديم أفضل مستوى من الخدمة يمثلان أولوية دائمة.

لم يكتف المطعم بذلك، بل وفى مزايدة واضحة على من هاجموا قالت الإدارة إنهم أخذوا إجراء فورياً يتمثل فى تخصيص مكان لأداء الصلاة داخل فرع مول العرب، وذلك بعد التنسيق مع إدارة المول والحصول على موافقتها لتحديد المكان المناسب.

لماذا أقول إن إدارة المطعم فعلت ما فعلته من باب المزايدة على من أخذوا صف ندى؟ سبب بسيط دفعنى إلى ذلك وهو أن إدارة المطعم أعلنت أنها ستخصص مكاناً للصلاة فى الفرع الذى جرت فيه الواقعة، ولو كانت مقتنعة بالأمر من الأساس أعلنت أنها ستخصص أماكن للصلاة فى كل فروعها الأخرى، لكنها لم تفعل، بما يؤكد أنها كانت تشتترى راحتها وتريد أن تنتهى الجدل والسلام.

بعد قرار إدارة المطعم شكرت ندى ما فعلوه وأثنت عليه، وكتبت أنها تحسب ما فعلته صدقة جارية فى ميزان حسنات والدها.

دون أن تدري ندى ويعبارة قصيرة وعابرة فتحت الباب للبحث عنها وعن أبنائها، الذى جعلت ما قامت به- ومن بيته قطع عيش مواطن جبرى على رزقه ورزق عائلته إن كانت لديه عائلة- صدقة جارية على روح المرحوم باباها. ولأنه كما لندى لسان فإن للناس السناً، تم البحث عن أبنائها التى أدخلته فى جملة مفيدة فى الحدث الصاحب، فتم التأكد من أنه شحمه ولحمه متولى عبدالعزیز الإخوانى المناهض للدولة المصرية.

كشف هوية متولى عبدالعزیز حساب منسوب لحسام فتح الله على الفيسبوك.

يقول حسام: ندى متولى هى ابنة الدكتور متولى عبدالعزیز الذى كان أستاذاً لمادة تحليل المشتات بكلية الهندسة فى جامعة القاهرة، وسبق ودرس لى فى دبلوم الدراسات العليا، وتوفى فى ديسمبر ٢٠١٩.

وأضاف حسام: والد ندى كان من المنتمين لجماعة الإخوان، وأفراد عائلته كانوا كذلك.

تحول مسار الحدث تماماً بعد الكشف عن هذه المعلومات، وأصبحت ندى فى مرمى سهام حتى من تعاطفوا معها وتبنوا موقفها ضد مدير المطعم، وبدأت فترات الربية تلعب فى صدور الجميع، وما زاد هذه الربية أن ندى قامت بإغلاق حساب والدها على الفيسبوك، بعد أن وجدت انتشاراً كبيراً لمنشوراتها وصورة وفيديوهاتة التى تؤكد صلتها وصلته عائلته بجماعة الإخوان الإرهابية. فقد تأكد الجميع أن هناك ما تحاول ندى أن تخفيه وتجعله سراً من أسرار عائلتها يجب ألا يطلع عليه أحد.

قد تقول- ولك الحق فى ذلك بالطبع- لماذا تربط الموضوع بهوية ندى متولى الإخوانية؟ وما علاقة تصرفها هذا بانتهاكها هى وعائلتها للجماعة الإرهابية؟

السؤال منطقى، وقد قبلته بصدر رحب، فعليك أنت أيضاً أن تتقبل إجابتي التى سأحاول أن تكون منطقية بصدر رحب.

ترتبط هذه الواقعة بمسألتين مهمتين جداً.

المسألة الأولى هى رغبة من ينتمون إلى جماعة الإخوان فى إرباك المجتمع من حولهم.

لقد قامت الثورة على الإخوان، أدخلت عدداً منهم السجون، وهرب آخرون أصبحوا مشردين فى كل حذب وصوب، لكن هذا لا يعنى أنه لم يعد بيننا إخوان، بل هم موجودون يعيشون حياة طبيعية، يعملون فى مؤسسات الدولة، ويتحركون بأريحية شديدة يمارسون حياتهم الطبيعية، وهؤلاء يمارسون دوراً خطيراً جداً من خلال وجودهم الأمن بيننا.

يحاول الإخوان الامنون هز استقرار المجتمع من خلال اصطناع مشكلات من هذه النوعية، من ناحية يثيرون نقاشاً وجدلاً فارغاً لا ينتهى، يشغل الناس فى مصر عن قضاياهم المهمة، ومن ناحية أخرى يحاولون التأكيد أن هذا المجتمع فقد إيمانه، وأنه أصبح عدواً للإسلام، فيها هو مدير مطعم يمنع الصلاة بل ويسخر منها، وأن مصر ما وصلت لهذا إلا

كان يمكننا التعامل مع واقعة مطعم «سيزلر» بمول العرب باعتبارها واقعة عادية وعابرة يمكن أن تحدث فى أى مكان دون أن تثير كل هذا الضجيج.

وكان يمكن لأحداثها أن تمر دون أن يلتفت أحد، أو ندخل فى جدال ونقاش وخلاف فى الراى حولها، لولا أن بطلنة الواقعة ندى متولى أخرجتها من مجالها الخاص إلى المجال العام، حيث التقطها الناس وجعلوا منها قضية عامة.

لكن يبدو أن بطلنة الواقعة كانت تريد ما أهو أكثر من إنهاء المشكلة بشكل لا يزعج أحداً، كانت تريد- فيما يبدو- أن تصدر للمجتمع أزمة، تشعر من خلالها بأن هناك خللاً ليس فى أوضاع المجتمع، ولكن فى عقيدته ودينه أيضاً.

وعندما عرفنا أن ندى متولى هى ابنة متولى عبدالعزیز القيادى الإخوانى، وأحد من ناهضوا ما جرى فى ٣٠ يونيو لصالح جماعته، أدركت أن الأمر يتجاوز الحدث العابر إلى محاولة زرع فتنة مجتمعية يكون وراءها ما وراءها.

ما جرى ببساطة أن صديقة لندى- كما قالت هى- وفقت لأداء صلاة الظهر فى مكان جانبى بالمطعم بعيداً عن الطاولات والعملاء، إلا أن مدير الفرع توجه إليها أثناء الصلاة وطلب منها التوقف.

حشدت ندى كل ما يدين مدير المطعم ويصوره فى صورة الشيطان الرجيم الذى يمنع الصلاة لله.. بل ويسخر منها أيضاً.

فاشارت إلى أنه تحدث بشكل غير لائق، ليس عن صديقته ولكن عن الصلاة نفسها.

قال لها: زوى صلى عند الحمامات.

وقال: صلى عند ربنا.. مش عندى.

ثم قال لهم جميعاً فقد كانوا فى صحبة أمهات وأطفال: اتفضلوا اطعموا برة.. أنتم غير مرغوب فيكم هنا.

لم يكتف مدير المطعم بما قاله، بل استدعى أفراد الأمن وطلب منهم أن يخرجوا ندى ومن معها.

قامت ندى بعبارات محددة بسيطة مدير المطعم، صورته وكأنه لا يحب أن يرى أحداً يصلى، وأن منظر صديقته التى تصلى فى مكان جانبى ويعبداً عن الطاولات والعملاء يؤذيها ولذلك حرص على أن ينهى الصلاة.

حتى تعزى ندى موقفها قالت إنها سألت رواد المطعم: هل سببت لكم صديقتى أى إزعاج؟

فردوا جميعاً أنه ليس فى الأمر ما يزعجهم، بل واعترضوا على سلوك مدير الفرع.

وأصلت ندى إدايتها لمدير المطعم، فقد تسبب ما فعله فى حالة من الخوف لدى الأطفال الذين كانوا معهم بسبب ارتفاع الأصوات داخل المطعم.

لم تكتف بطلنة الواقعة بما قالته فى حق مدير المطعم، بل صعدت الأمر لإدانة كلفها عندما قالت إنها طلبت اعتذاراً رسمياً منها، لكنها انتظرت مع صديقاتها نحو أربع ساعات دون تلقي أى رد.

خرجت ندى من المطعم لتشيع ما حدث، كتبت منشوراً على صفحتها بالفيسبوك، فى إصرار منها على جعل الأمر تحت نظر الراى العام الذى انقسم بدوره حول الواقعة، وبالطبع كان معظم التعليقات ضد مدير المطعم الذى لا يمنع الصلاة فقط، ولكن يكرها، ويكره كل من يقوم بها.

كان هناك بعض العقلاء الذين رأوا فى تصرف مدير المطعم أمراً طبيعياً، فهو ينفذ سياسة المكان، والمكان هنا ليس مقصوداً به المطعم فقط، ولكن مول العرب، فهناك أماكن محددة للصلاة تم تخصيصها لمن يريد الصلاة فى وقتها أو حتى فى غير أوقاتها، وهو ما يعنى أن إدارة المول ومن وراءها إدارة المطعم لا يمانعون فى الصلاة، بل يوفرون المكان المناسب لها، وكان على صديقة ندى أن تحترم هذه السياسة، لكن يبدو أن الأمر لم يكن فى الصلاة.

إدارة المطعم واستجابة للراى العام قدمت اعتذاراً، بل وأنهت عمل المدير.

ولا أدرى هل فعلت ذلك بعد تحقيق فى الواقعة ومعرفة ما إذا كان المدير مخطئاً أم لا؟، وإن كنت أتوقع أنهم يبادروا إلى فعل ذلك من باب سد الباب الذى جاءتهم منه الريح، فنص الاعتذار المنسوب إليهم يقول ذلك، فقد أكدوا أن الموظف المعنى بالواقعة حديث



صورة مولدة بالذكاء الاصطناعى لواقعة مطعم «سيزلر»

«استيقظوا لصلاة الفجر أتابكم الله، عبارة تصاحبها دقات عنيفة على أبواب كل غرف الطلاب بمبنى المدينة الجامعية بالمنيا عام 92م، يا محمد الأوضة دي ساكن فيها طلبة مسيحيين وأنا أعرف واحد منهم من أسوان من كوم أمبو.. ابتسامة سمجة مصحوبة برد صاعق... إحنا عارفين يا أخ.. إتنو يا بتوع سياحة مش فاهمين فقه.. دا فرض أمر واقع على الإدارة.. وموضوع المسيحيين دا اسمه فقه الاستعلاء!

أحمد الصغير

هجمة الأفاعى



إعادة إحياء كتالوج الجماعات «الإسلامية»

هذا الموقف لم يكن مشهداً من فيلم سينمائى، لكنه واقعة حقيقية حدثت فى مبنى «ب» بالمدينة الجامعية بالمنيا، وهو موقف من مئات الأحداث والمواقف التى كنت شاهداً عليها أو شاركتُ فيها بالحوار بشكل مباشر. ومحمد هذا كان عضواً فى جماعة التبليغ والدعوة التى كانت تسير تحت ولاية طلاب الجماعة الإسلامية بالمدينة. بينما كان طلاب الإخوان يمارسون دورهم المفضل «الأفعى الناعمة»، ويتمثل دورهم هذا فى استقطاب الطلاب للمسجد الواقع مباشرة فى مواجهة المدينة على ترعة الإبراهيمية على الأقل يوم الجمعة لجمع ما تيسر من أموال التبرعات، شابان أو أكثر بمجرد أن ينهى الإمام تسليم التشهد يقومان بحمل صندوق ويمران بين الصفوف ويمارسان دورهما بسماكة الوجه فى حداها الأعلى.. يتوقف كل منهما لبضع ثوان أمام كل شخص.. يرددان ثلاث أو أربع عبارات محددة بنفس الصوت المرنج ويتطابق أحكام التلاوة على العبارات، وكأنها آيات قرآنية «ما عندكم ينقد وما عند الله باق»، «تبرعوا لإعمار بيوت الله، حتى تخال أنهما توامان حتى فى ملاصق الوجه لطلاب مصر الوسطى من أسبوط وأثنيا. بصراحة كنت أتأملهما وأتوق لشاهدة تلك الغرفة التى يتم فيها تعليم هؤلاء تلك السمجة، وكىم من الوقت احتاجا للوصول لهذه المرحلة من التطابق الذى يؤكد أنهما خضعاً لعملية تأهيل متماثلة وربما بنفس المعلمين. وهل مثلاً يُطلب منهما أو يتم تعليمهما البرود التلجى، أم أنها صفات شخصية؟ وكيف يتفق أن يكونوا كلهم بنفس الصفات الشخصية؟

ويوم حضور وجدى غنيم للمسجد يكون يوم عمل حافل فى طرقات المدينة لطلاب الإخوان. حضرت درسه مرة.. ولا أنسى ما قاله.. خطاب عن تحريم الاختلاط والموسيقى وقصص عن توبة بعض الشباب بنفس أسلوب تلك الساحر من مصر ومن فيها ومن يحكمها، والغريب أن قصصه المكررة المقتدة لأى روح دعابية حقيقية كانت تُضحك طلاب الجماعة، والأغرب أنهم يضحكون فى نفس الوقت ويتوقفون أيضاً فى نفس الوقت! أما طلاب الجماعة الإسلامية فكانوا يقومون بدور البطولة الخشنة فى المدينة.. الاستيلاء عنوة على المصلى وفرض دروس يومية بعد العصر وبين المغرب والعشاء. حضرت بعضها كان يليقها أميرهم «ج» الذى ينتمى لحافضة أسوان من إحدى قرى كوم أمبو والطالب بالسنة النهائية بكلية الآداب قسم لغة عربية حسبما أذكر. من تصدروا المشهد من طلاب الجماعة الإسلامية غلب على خطابهم شئ مشترك غريب جداً.. كانوا يحبون أن يبدأوا حديثهم بعبارة غريبة.. «سبحان الله الذى زين الرجال باللحى والنساء بالنواذب» عبارة منسوبة للسيدة عائشة ولا سبيل لأن نعرف إن كانت حقاً قد قالتها أم لا. فطبقاً للتراث ممنوع أن تشكك فى هذه الروايات! لكن ليست هذه المشكلة، لكن المشكلة هو

التدين الظاهرى المتشنج غرسته

الجماعات الإرهابية وساندها فى الغرس

عدة عوامل

أنهم تركوا كل آيات قدرة الله المنصوص عليها فى القرآن الكريم وتمسكوا بهذه المقولة عن اللحية وشعر النساء! كانوا مشغولين جداً بموضوع اللحية وبالأحداث عن النساء رغم أنه كان هناك الكثير من الموضوعات للحديث الدينى أو السياسى حتى! خشونة الجماعة لم تكن فقط مع خصومها، بل كانت مع بعض من كانوا يعتبرون بمقاييسهم من المتدينين.. لكنه لم يكن منطوقاً معهم، طالب اللغة العربية صاحب أجمل صوت فى تلاوة القرآن الكريم وقتها والذى كان يحلم بالعمل فى الجماعة. كانوا يجبرونه على الإمامة لأغراض سياسية، لم يقتصر الأمر على الصلوات الخمس، بل كانوا كل يومين مثلاً يقومون بصلاة تهجد لمدة طويلة ويجبرون هذا الطالب أن يأمرهم لمحبة الطلاب لصوته! وحين تحدثت معه وقتها صارحنى بأنه تقريباً مجبر!

كان لدى فضول كبير منذ المرحلة الابتدائية للمعرفة وعشق للقراءة.. وجدتُ فى هذه المشاهد وهذا الجو الطلابى ما استفزنى جداً! فضخت عشرات المناقشات والمجادلات وجعلت من غرفتى لمدة ثلاث سنوات ملتقى لتلك المناقشات مع جميع الأبطال وأصبحت هناك علاقة غريبة تجمعتنى ببعض هؤلاء، علاقة يطلق عليها «الد الأصدقاء»، وصل الاستفزاز العقلى مداه حين حضرْتُ درساً لأحد هؤلاء المجانين ومصمته بيرر الجرائم الإرهابية التى يسقط خلالها مواطنون عاديون تصادف مرورهم فى مسرح الجريمة، حيث قال- واعتقد أنه كان مكلفاً بهذا بعد سحق المصريين ضد الجماعة بعد استشهاد طفلة مصرية فى إحدى تلك الجرائم- أن هؤلاء سوف يُبعثون على نياتهم، وأنه يجوز للمسلمين- أى أعضاء الجماعة- أن يقتلوه لو وقفوا بين المسلمين وبين الطواغيت! وأورد فتوى ابن تيمية.. كانت فتوى ابن تيمية تخص قتل المغول وكان يتحدث عن بعض القرى المسلمة الواقعة على الحد الفاصل بين الجيشين فأباح أن يقتل المسلمون بعض هؤلاء للوصول لجيش المغول! كانت الجماعة الإسلامية وقتها تحاول تفصيل هذه الفتوى على جرائمها، فتضع نفسها موضع الجيش المسلم، وتضع قوات الشرطة أو أى من المسئولين فى موضع المغول وتضع باقى المصريين موضع تلك القرى الواقعة بين الجيشين! جنونٌ بجنون، سمعت الدرس ثم قررت أن أواجه من هو أكبر من هذا الطالب، فذهبت مساء نفس اليوم وصلبت العشاء بمسجد الجماعة الصغير بشارع الحسينى، وأريت أخدمهم فجلست معه بعد الصلاة وسألته بشكل مباشر «الجماعة ليه بتستبيح قتل المصريين فى الشارع؟» تغير وجه الرجل بصورة درامية وأجاب بعبارات مقتضبة.. يا بنى جماعة إيه واستباحة إيه.. إحنا ملناش دعوة بالكلام دا روح اسأل اللى يعمل كدا! ونهض مسرعاً.. نفس هذا المسجد كان يصلى به أسامة حافظ، أحد المدانين فى جريمة اغتيال السادات وجرائم أسبوط وحدث أن رأيت مرة وأعضاء الجماعة يلتفون حوله ويقولونه باحترام كبير وإجلال وكأنه أحد صحابة النبى «ص»! وهو المسجد الذى كان معقل أحد كبار مفوضى خطباء الجماعة محمد مختار، وأحياناً نجم الجماعة الطبيب محمد بشير ابن ملوى الممدان بجرائم إرهاب صريحة والذى تمت تصفيته بعد ذلك.

بعض طلاب الجماعات وقتها- ولطبيعة إعدادهم- لم يكن عندهم استعداد لتقبل فكرة أن هناك طالب مسلم عادى يدرس سياحة يفكر ويناقش ويجادل دون أن

يكون مدسوساً عليهم من قبل حرس الجامعة أو أن يكون مخبراً! والغريب أن حرس الجامعة فى هذا التوقيت فكر طالباً يمكن أن يجادل هؤلاء أو يقرأ كتبهم دون أن يكون منهم! عبثٌ كامل!

أدين لهذه السنوات بكل استفزازها العقلى، ولهؤلاء منزوعى العقل وشهية التفكير، بهذه الرحلة الطويلة فى القراءة والبحث، وكلما قرأت رأيت الحقيقة مفزعة ومشبته ومهيبة لنا جميعاً، أفراداً ومؤسسات، ونيهش السؤال راسى.. كيف نصمت، وكيف كل هؤلاء من رجال دين وثقافة وفكر ودولة على هذا التضليل والكذب والدجل؟

طلاب الجماعات لم يكونوا سوى دُمى يتم تحريكها بواسطة قوى أكبر منهم، هم مجرد بياغرات ليس أكثر. يتم استغلال سمات المرحلة العمرية وبعض الظروف المعيشية ثم يتم الشحن والاستخدام، القاعدة واحدة منذ تلك السنوات وحتى الآن. أدوات ومدى يتم القاؤها فى المؤسسات والشوارع والأماكن العامة والجامعات يقومون بالتحرك حسب سوفت وير الإعداد.. لا يعنى ذلك القيام بتكليف معين، لكن يعنى أن أقوم بشحن الإنسان بسوفت وير محدد مختار بدقة ثم يحدث التشغيل بشكل تلقائى. كلهم يكرهون العقل، وبمجرد أن تنطق أمامهم بكلمة عقل أو تفكير يبدأون فى التعامل معك على أنك علمانى، ممن أضله هواه فهوى، مفتون بعقلك، محتاج لهادية! تترك العقل وتحديثهم بالفقه والفكر والتاريخ الإسلامى، يكررون كل ذلك ويتمسكون بأسماء بعينها.. تحدثهم عن كتاب د سيد طنطاوى المهم عن فوائد البتوك يسفهن الرجل ويصفونه بأحد الأوصاف، يجرمون الغناء والموسيقى، تحدثهم عما كتبه الشوكلى وما أثبتته عن اقتناء صحابة وتابعين لألات موسيقية بخلاف الدف، يضعون الرجل ومؤلفه فى قائمة المحظورات! تكشف لهم بنفس الترات المتحلقين حوله أن حديث وجوب عودة الخلافة عبارته الأخيرة مزورة مدسوسة، فتاجاً بأنك ربما تفتق فى وجه مؤسسات لا تقط جماعات! لقد انجحوا للأسف فى أن يقوموا بتعميم السوفت وير هذا على أعداد كبيرة من المصريين.

فى الجامعة ذاتها كانت هناك مواقف كثيرة أعرف تفاصيلها، هدفت جميعها إلى تحقيق هدف محدد «فرض أمر واقع» حتى لو كان رمزياً. فرض الوجود. فرض النموذج. حتى قبل هذه الثورة وسائل الاتصالات والتواصل والتوثيق، كانت هناك أخرى تقوم بنفس الدور. مطبوعات ومنشورات ورقية تجدها أسفل باب غرفتك أو يقوم طلاب بتوزيعها عليك! أمام أبواب القاعات. أحياناً يكون مطبوعاً أن يكون هناك مشهد خشن لكن على مستوى أعلى.. فيقتحم أحدهم مثلاً قاعة محاضرة أثناء قيام أستاذ المادة بوظيفته، وأن يحدث هذا قبيل دخول الأستاذ للقاعة فيضطر للانتظار بالخارج ولو لبضع دقائق حتى يفرغ طالب الإخوان أو الجماعة الإسلامية من دوره.. مشهد يفرس فى قلوب الطلاب- خاصة فى العام الدراسى الأول لهم- فكرة معينة فى قوة الجماعة حتى فى وجود رموز الجامعة. مشهد مقصود حتى لو مرة واحدة فى بداية العام لبضع ثوان.

الحقيقة التى توصلت إليها بعد سنوات أن هذه الجماعات وىلا استثناء ضعيفة فى حقيقتها، وأن قوتها الوحيدة بكل أسف هى عزوف المصريين عن البحث والقرارة. نقطة قوة الجماعات كانت ولا تزال هى الضعف المعلوماتى للمصريين. أفكار الجماعات- التى لا يعترفها فقط أعضاء الجماعات بل كثيرٌ من المصريين الذين يعيشون بينها- تسقط مع أول جولة نقاش حقيقى هادئ. نقضة القوة الثانية لكل تلك الجماعات كانت وأيضاً بكل أسف منحة مجانية من بعض كبار رجال الدين الرسميين ومن كثير من أئمة المساجد الرسميين. لا

أدري إن كان هذا قد حدث خوفاً من المواجهة، أم أن رجال الدين هؤلاء ومعهم هؤلاء الأئمة كانوا مقتنعين حقاً بأن هذه الجماعات تجاهد وتمثل صحوة إسلامية وأن هؤلاء المجرمين هم شباب الصحوة! لو كان ما حدث هو خوف من المواجهة فسوف أتملس لهؤلاء العذر لأن العافية درجات كما نقول، وليس عدلاً أن تطالب الجميع بأن يكونوا مجانين مثلك! لكن الأزمة الحقيقية لو أنهم كانوا حقاً مؤمنين بما قالوه للناس فى المساجد.. لأن هذا يعنى أنهم- من بقى منهم على قيد الحياة ويشغل منصباً- لا يصلحون للبقاء فى مناصبهم أو القيام بأدوارهم. كل الجماعات ضعيفة هشّة ولا قوة لها إلا بضعف العقل المصرى الجمعى. حقيقة لا يدركها إلا من رأى الشيطان وجهاً لوجه!

لقد هزمنى حين كنت طالباً فى بعض المناقشات ليس بسبب قوة حجته، لكن كان لضعف ثقافتى وقتها ولأنهم كانوا مُلقنين جيداً ببعض الآيات القرآنية وبعض ما نسب للرسول «ص»، من أقوال. كانوا يدركون متى يلقون بها فى وجهك لإسكاتك وترهيبك حتى لا تعترض فيتم فوراً مواجهتك بتمته جاهزة.. الكفر البين بما أنزل الله! لم تستمر هزائى كثيراً، وبدأت أبادلهم رداً برد، وجولة بجولة على مشارف العام النهائى للجامعة.

الرهان دائماً من جانبهم وجانب من يسلك مسلكهم هو ترهيب الآخرين من الوقوع فى دائرة الاتهام بمعاداة الدين. تهمة يخاف منها غالبية المصريين لضحالة ثقافتهم وسطحية قراءاتهم. غالبية المصريين يستقنون معلوماتهم الدينية سماعاً خاصة فى العقود السابقة لسقوط مبارك، شرائط كاسيت.. خطب جمعة.. دروس التليفزيون.. دروس إمامة القرآن الكريم.. جبهة علماء الوهابية كانت لها المساحة الأكبر فى تلك الثقافة السمعية.

المعرفة تزيل الرهبة. المعرفة تضع الحدود، وتسمى الأسماء بمسمياتها الحقيقية، «الدين.. رجال الدين.. الشعائر الدينية.. من يمارس الشعائر الدينية وكيف يمارسها.. خطط السياسة بالدين.. استغلال المساجد فى الإضرار بالمجتمع ونشر التعصب والتحزب أو تخزين السلاح مثلاً.. مسجد الضرار.. وغيرها من مصطلحات...»

من يتخطى هذه الشعرة ولا يخشى الترهيب، يمكنه أن يواجه بشكل حقيقى موضوعي بثقة دون أن يهتز. ودون أن يخشى أن يتهمه أفاق بأنه يعادى الدين! الآن أعتقد أننا ربما سوف نمر ببعض المشاهد التى يمكن وضعها فى هذا السياق. محاولة فرض صورة ذهنية معينة أو فرض أمر واقع. هم لا يهتمون حقيقة بأن تمارس شعائرك الدينية أو يحرصون مثلاً أن تكون من أهل الجنة بعد الموت، لكنهم مهتمون بتحقيق تارجت سياسى فى الدنيا. لن يستطيعوا العودة فى رداء سياسى صريح لأن المصريين لم ينسوا بعد، لذلك فالعودة للأيام الخوالى والممارسات الأولى.. فقط أن نعود أن نثبت أننا قوة. تراجع المجتمع عن شخصيته وما استقر عليه أو خوفاً من هذه التيارات ومحاوله مماثلتهم سيكون بالخطورة التى لا يدركها هذا المجتمع الآن. لأن الخطوة سوف تتبعها خطوات. أنا أعرفهم جيداً.

أى مسلم قارئ شوية ولو برع جنبه سوف يعرف تماماً أن مشهد الطعم هو مشهد من نفس قائمة قضايا الإخوان الشهيرة ضد السينما مثلاً وأسماء وأفشيات الأفلام. متشابه إثبات وجود وتحقيق فوائد ربما لا تكون كبرى لكنها تمنع الاختفاء. الذين خرجوا من رابعة والنهضة لم يتلاشوا، وأنا مثلاً أعرف بعضهم فى مجال العمل، لم يتلاشوا ولم يغيبوا أفكارهم، ويريدون على أقل تقدير أن يقولوا يوماً ما إنهم كانوا على صواب، ولن يحدث هذا دون تخريب مصر وإفكاره الفوضى بها. فشل مصر هو ما ينتظرونه ولن أستخدم مثلاً كلمة الانتقام من المصريين، رغم أن هذا حقيقى بكل أسف.

مصر دولة لا تعادى الدين. هذه حقيقة يريدون إثبات عكسها مهما يكون الزمن. لأن إثبات عكسها هو صك عودة وتبرئة لهم من جرائمهم وضلالهم.. الدولة تبثى المساجد ربما بأكثر من المطلوب. لكن هذه الدولة لا يمكنها فرض نموذج بعينه للدين لأن مصر لها شخصيتها. مصر تبثى المساجد، لكنها لا تجبر مواطنيها على دخولها والصلاة وفيها، لأن العقيدة ممارسة شعائر الدين لا تكون بالإرغام، وقرروا أن يحكموا شعوبهم بالطريقة المصرية فيما يخص الممارسات الدينية. لكن فى مصر ذاتها لدينا موروث فكرى لا يمكن تغييره بقرار رئاسى أو بالريوت كمنترول كما حدث فى دول أخرى، لكن تغييره سيستغرق بعض الوقت. هذا الموروث يحاول بعضهم الآن إعادة تدويره فى مصر ولديهم كوادرب اتباع وخطط. كلما فشلت خطة يتم تعجيل خطة أخرى. المصريون الذين يعتقدون بأن بعض المشاهد تحدث بشكل عفوى هم حسنو النية أكثر مما ينبغى. هناك من ينتظر العودة رافقاً رايات دينية، ولن يحدث هذا إلا بمحددات واضحة. لكن معاداة الدولة ومؤسساتها للدين. إثبات أن الذين ثاروا ضد الجماعة وجرائمها هم علمانيون ومسيحيون لأنهم لا يريدون للإسلام أن يحكم الأرض وأن تسود رأيتة! عفواً فلا حتى جلسات الحكم سوف تغير هذه الأفكار فى تلك العقول!

لا حل سوى أن تصف تلك الجماعات ومعتقدو أفكارها بتقوية العوامل التى كان ضعفها هو السبب الأساسى فى قوة الجماعات. أن يقوى العقل المصرى الجمعى وأن يتحرر المصريون من الخوف من الوقوع فى فخ الاتهامات بمعاداة الدين.. لو أن لديك شجرة خبيثة عصبية على الخلع، فهناك طريق آخر ربما يطول شيئاً ما لكنه طريق مضمون.. أن تقوم بمنع المياه عنها حتى تجف أوراقها وتثوت جذورها. دون ذلك فلا أمل إطلاقاً فى اجتثاث هذه الشجرة. وحتى أكون واضحاً فالشجرة التى أعنيها ليست الإسلام، لكن الشكل الحالى من التدين الظاهرى المتشنج الذى تم غرسه فى مصر فى العقود التالية لحرب أكتوبر وغرسته الجماعات الإرهابية وساندها فى الغرس عدة عوامل. كما ذكرت بعض كبار رجال الدين، كثيرٌ من أئمة المساجد، وبعض الأعمال الفنية والدرامية.

تقديرى أن هذه المحاولة الأخيرة سوف تؤول للفشل، لكنها سوف تترك بعض التوابيع خاصة فى صفوف الأجيال التى لم تعاصر ما فعلته تلك الجماعات فى المجتمع المصرى، ومن الآن هذه الأجيال ولواجهة ما قد تركه تلك المشاهد فى قلوب وعقول هؤلاء كتبْتُ هذا المقال!



يجب أن يقوى العقل المصرى الجمعى وأن يتحرر المصريون من الخوف من الوقوع فى فخ الاتهامات بمعاداة الدين



نضال ممدوح

راهبة النقد

مارى عبدالمسيح: بعد «التقديرية» شعرت بأن هناك من يقرأ لى

■ على كثرة الجوائز التي تحصلت عليها، ما الذي تمثله لك جائزة الدولة التقديرية التي فزت بها قبل أيام؟

– في البداية لم أكن أصدق الأمر؛ لأنني منسرفة طوال الوقت إلى عملي الذي أحبه جداً، بالنسبة إلى عملي مجرد عمل، وإنما يجمع بين العمل والهواية، أي الشيء الذي أحب ممارسته. لكنني لا أعرف من يقرأ لى، ولا أعرف هل تصل قرأتى وأفكارى إلى الناس أم لا. وعندما حصلت على الجائزة، شعرت للمرة الأولى في حياتي بأن هناك أناساً يقرأون لى، ويرون أن عملي يرتقى إلى هذا المستوى. وهذا هو الذي أسعدنى، وليس الجائزة في حد ذاتها، وإنما اعتراف قرأتى بى وتقديرهم لى أقدمه.

■ ولما تفسرين الجدل الذي أثير حول جوائز الدولة هذا العام؟

– بالتأكيد تابعت ما أثير حول الجوائز، خصوصاً فيما يتعلق بتجاوز أسمين مثل جاز النبى الحلو وسعيد نوح. عندما يكون هناك جدل وأمور من هذا النوع، بصراحة لا أهتم كثيراً بقراءتها أو متابعة أحد فيها، وهذه نقطة أولى. والنقطة الثانية أننى أعرف أن الجوائز أحياناً تظلم كثيراً من الناس. كل عام يظلم شخص ويخرج شخص آخر فائزاً، وهذا بالطبع يثير الأسف. لكن علينا أيضاً أن نعرف أن هذه هي الحياة، وهذه من أمور الحياة، وكلنا نتعرض لذلك.

أنا الآن حصلت على جائزة، لكن في أحيان كثيرة من حياتى تعرضت لمضايقات، فإذا كان هناك أناس تعرضوا للظلم، فمن الطبيعي أن يشعروا بالحزن والأسف، لكن في الوقت نفسه لا يمكن أن يتحول ذلك إلى حافز يجعلهم يعيشون المأساة ويتناسون العمل وما يحدث حولهم؛ لأننا إذا ظللنا نعيش المأساة، فإن ذلك سيؤذي نحن، ولن يؤذى الآخرين. هذا هو موقفى من هذه المسائل.

■ هل تعتقدين أن الناقد يُولد بوهبة خاصة، أم أن الدراسة الأكاديمية وحدها كافية؟

– الفكرة مركبة قليلاً. من الخطأ أن نقول إن الناقد ليس مبدعاً؛ لأن المفترض أن تكون لدى الناقد قراءة أوسع من قراءة القارئ العادى. ولكننى لا أريد أن أقول إن الناقد أفضل من القارئ؛ لأن القارئ هو نقطة البداية في النقد. يبدأ النقد من القارئ، لكن الفرق أن الناقد يكون قادراً على أن يحمل رؤية جديدة إلى العمل المقروء. القارئ العادى ربما لا يستطيع أن يكتب برؤية جديدة عن العمل الإبداعى، وهنا يكمن تميز الناقد عن القارئ العادى. فلماذا نحترم الكتابة النقدية؟ لأنها، في الأصل، ليست مجرد نظريات. نحن لا نكتب النظريات لمجرد كتابتها، وإنما لأنها توحى لنا بأفاق جديدة للقراءة. وعلى المستوى العادى، إذا قرأت كتاباً جيداً فإنك توصى به زملاءك وأقاربك، بل إن القارئ العادى قد يكون مروجاً للكتاب أكثر من الناقد. والدليل أن هناك قراء يقولون إنهم قرأوا الجاحظ ونجيب محفوظ أكثر مما قرأوا الكتب التي كتبها النقد

عنه. فالقارئ يسوق الكتاب ويوسع دائرة قرائه أكثر من الناقد، والنقاد هم الذين يحافظون على النص ويجددون حياته.

■ ماذا عن فلسفة القراءة وتأثيرها في الكتابة الإبداعية؟

– الكتابة الإبداعية مفتوحة، وليست مجرد نظرية علمية تقول إن واحداً زائد واحد يساوى اثنين. وحتى النظرية العلمية نفسها أصبحت الآن مفتوحة. هناك تأثير للفلسفة وتأثير لفلسفة القراءة التي يقدمها الناقد.

كيف يكون اليلد متقدماً؟ عندما ننظرين تجدن أن الفلسفة مهدت الطريق للتقدم في العلوم. لا يمكن فصل المجالات عن بعضها. وإذا قرأت كتابات الفلاسفة أو حواراتهم ستجدينها تتطرق إلى كل أمور الحياة.

■ من الناقد إذن؟

– الناقد هو الذى درس منهجاً، والمنهج الأدبى أساساً مستقى من الجمالية، ومن المنهج العلمى أيضاً. فالمنهج الأدبى يستفيد من الجمالية ومن المنهج العلمى. فما الذى قدمته لنا ما بعد الحداثة؟ ولماذا نسميها ما بعد الحداثة؟ لأن الحداثة كانت تفترض دائماً أنها منهج يصل إلى حل مغلق.

لماذا تراجع حضور الناقد المؤثر مقارنة بما كان عليه الحال قبل عقود؟

– هل لدينا الآن مجلات أدبية وتقنية مثلما كان لدينا في الماضي؟ أعترف الآن بأننى لا أتابع الأدب العربى مثلما كنت أفعل في الماضى، لأننى كنت أعتقد أن مجلات مثل «فصول» و«إبداع» توقفتا. في الماضى كنت ترين هذه المجلات في المكتبات وفي كل مكان. أما الآن فهناك الإنترنت، والمجلات تنشر عليه. لكن هل تعرفين أين المواقع الثقافية؟ المفترض أن يكون لها مواقع على «فيسبوك» و«روابط». يقال إن المجلة ظهرت أو صدر عدد جديد منها، ويكون العدد منشوراً على «فيسبوك»، أو على مواقع أخرى. أين المواقع الثقافية الموجودة الآن؟



مارى عبدالمسيح تتحدث للزميلة نضال ممدوح

■ هل تعتقدين أن تعرض الناقد لثقافات مختلفة يؤثر في رؤيته النقدية؟

– بالتأكيد. عادةً تلاحظين أن الأساتذة الذين تعرضوا لثقافات غير الثقافة العربية يكون تقدمهم أكثر اتزاناً، ولا يكون متجهاً نحو القومية المتشددة.

■ ماذا تقصدين بذلك؟

– أقصد أن هناك أحياناً من يقول، مثلاً: «الرقمنة تستبد اللغة العربية»، كيف؟ يقول لك أى شيء. أى إبداع جديد، تجدن الشخص المخلق داخل ثقافة واحدة يقول: «لا، هذه تؤذى اللغة العربية، والكمبيوتر لا يضع الهمزة بشكل صحيح». كيف ذلك؟ الكمبيوتر هو الذى يصحح لنا. هؤلاء حتى ينسوا أنهم غير معرضين فعلاً لثقافة الرقمنة. والان دخلنا في عصر الذكاء الاصطناعى.

■ إذن هل يصبح الذكاء الاصطناعى ناقداً أدبياً في المستقبل؟

– أرى أن الخطر الحقيقى الآن من الذكاء الاصطناعى هو الغش. بدأت لاحظ أن الإنسان يستطيع أن يجعل الذكاء الاصطناعى يكتب له مقالاً في الموضوع الذى يريده. كان لدى زميل في جامعة في إنجلترا، وقال لى ذات مرة إنه قرأ مقالاً باللغة العربية، ولا أتذكر

إن كان في دورية عربية مهمة، ولا أتذكر اسمها تحديداً. فقال لى: «قرأتها وأعجبتنى جداً، وأثناء قراءتها قلت: هذا يشبه شيئاً قلته أنا، وفي النهاية اكتشف أن الرجل نقل مقالته ونشرها بالحرص، وهذا حدث قبل أن تظهر الأدوات الحديثة». أصبح لدينا الآن ما يسمى «Detector»، أى أداة لكشف النقل. وعندما اكتشف الأمر، ذهب واشتكى إلى دار النشر العربية اللبنانية، فقالوا له: «لا نستطيع أن نفعل شيئاً الآن، لكن عندما نعيد نشر الكتاب سنحذفها». وطبعاً لم ينشر أحد في الصحف ليفضح الرجل. ونحن أيضاً مخطئون في ذلك.

وأريد أن أقول لك إن هذه المسائل موجودة في الجامعات أيضاً. ولذلك وضعوا الآن نظاماً يتم بموجبه إرسال رسالة الدكتوراه أو الماجستير إلى جهة للفحص؛ لأن هناك وسائل يمكن من خلالها اكتشاف ذلك.

وأنا أستخدم هذه الأدوات مع طلابى باستمرار. بالنسبة إلى اللغة الإنجليزية أستطيع أن أفهم من أسلوب الكتابة أن هذا ليس أسلوب طالب مصرى، لكن الأمر في العربية أصعب؛ لأن الجميع يكتب العربية بشكل جيد.

لقد وضعوا هذا النظام لدينا لاكتشاف السرقات الأدبية، وبالفعل اكتشفوا أشياء عدة، وكانوا يرسلون إلينا أحياناً في القسم نتائج الفحص، ويقولون إن فلانة فعلت كذا، ويكتشف الأمر.

لكن بدأ يظهر الآن أن بعض الناس اشتكوا، ولم تعد الجهات المختصة تعطى الفحص الاهتمام نفسه. أصبحوا يتعاملون مع الورقة بمنتهى الاستهانة.

ولذلك أنا أطالب جميع المجلات الأدبية، بل والجامعات أيضاً، بالحسم في هذه الأمور. الجامعات واضح أنها غير قادرة على حسم الأمر، وأنا أتمنى أن تحسمه، لأننى أرى أن الأمر ليس حاسماً بما يكفي.

أحياناً أقرأ أشياء واضحة جداً، وأقول إن هذه ليست لغة الطالب نفسه. في اللغة الإنجليزية يمكن اكتشاف ذلك بسهولة؛ لأن مهمما كانت الكتابة، مهما كانت ثقافته، تجعل من الممكن التعرف إلى أسلوبه من دون النظر حتى إلى أداة الكشف.

ولهذا السبب لم يعد بعض الطلاب يحيوننى. جاءنى مثلاً مجموعة من الطلاب، لا أتذكر هل كانوا ستة أم ثمانية، ولم يكن بينهم سوى اثنين لم ينقلوا من الذكاء الاصطناعى، أما الباقون فكانوا جميعاً قد نقلوا منه. وطبعاً، هل أستطيع أن أسقط ستة أو ثمانية طلاب؟ كانوا في مستوى الدكتوراه، ولا أستطيع أن أسقطهم جميعاً. لكننى أعطيتهم درجات غير جيدة، ولم أمنحهم تقديرًا ممتازًا، ففضبوا منى، وأصبحوا يفضبون من الأستاذ الذى يكشفهم. إلى أين سنصل بهذه الطريقة؟ لذلك أقول إن علينا أن نكون حاسمين في هذه الأمور، وإلا فإن البحث العلمى في الجامعات المصرية سينتهى إذا تركنا الأمور تسير بهذه الطريقة، وقلنا: «حرام، أو «غير معقول»، ثم تركنا الأمر.

وأنا نفسى أصبحت أقول: هل من المعقول أن أكون الأستاذة الوحيدة التى تسقط ستة أو ثمانية طلاب؟ هناك بالطبع أساتذة آخرون متشددون، لكنهم قليلون جداً، ويجب أن تكون لدى هؤلاء ثقة في أنفسهم وفي موقفهم العلمى.

■ بالحديث عن هذا الواقع، ما الفرق بين الثقافة والتعليم؟

– التعليم هنا بمعنى التلقين. وتجدن انقساماً بين التعليم والثقافة، وبين ثقافة العلوم الطبيعية وثقافة العلوم الإنسانية. ولأن العلوم الطبيعية تحقق دخلاً أكبر، أصبح هناك احتقار وتقليل من أهمية الدراسات الإنسانية.

إذا لم تمنح الطبيب خلفية ثقافية، حتى في المجال الطبى نفسه، فلا يمكن أن يكون الأمر سليماً. لديك الآن، مثلاً، الطالب في فرنسا في السنة الأولى بكلية الطب يدرس مادة اسمها «الطب الاجتماعى»، ويدرس الأمراض التى تنشأ عن المجتمع الفرنسى.

هل لدينا نحن هذا الجمع بين المعرفة الطبية والخلفية الاجتماعية والثقافية؟ وتجدن الطلاب هناك يناقشون قضايا؛ لأنهم منذ المرحلة الابتدائية يتعلمون الحس النقدى والعلمى. لديهم مادة اسمها «الحوار»، أو «المنافشة» Debate. ويطرح المدرس قضية ويناقشها الطلاب.

■ إذن ما دور النخبة المثقفة في الإصلاح؟

– أولاً، نحن لم نصمت عن هذه الأمور. فعندما ظهرت، مثلاً، فكرة إنشاء جامعة القاهرة الجديدة دون كلية للدراسات الإنسانية ودون كلية للحقوق، قسمنا دافع بالفاعل عن الدراسات الإنسانية وأهميتها في المجتمع، وعن أهمية اللغة في المجتمع، وكل هذه الدفاعات كانت دفاعاً عن الدراسات الإنسانية.

لأن معنى ذلك أنهم يريدون إلغاء كلية الآداب لمازى وما الذى يريدونه إذن؟ ولماذا يفتحون جامعات باللغة الإنجليزية، لماذا الإنجليزية؟ كل الجامعات الدولية تدرس بالإنجليزية، حتى الصينى واليابانى وغيرهما يدرسان بالإنجليزية. إذن لا بد أن نتعلم الإنجليزية والفرنسية، فالفرنسية مهمة جداً. الفرنسيون، مثلاً، متقدمون جداً في صناعة الأسلحة والصواريخ وغيرهم، ومتقدمون في الطب وعلاج السرطان. وكثير من الناس عندما يصابون بالسرطان يذهبون إلى فرنسا.



غياب المجلات الثقافية عن المشهد العام وراء تراجع حضور النقد

أقول لمن ظلموا في الجوائز «إذا عشنا المأساة فلن نكمل أعمالنا»

راهبة النقد



لا يمكن أبدا إلغاء كلية بهذه الأهمية. جامعة القاهرة نفسها تأسست على كلية الآداب وكلية الحقوق، وكانتا من أهم أساسات الجامعة قبل أي شيء آخر.

■ في رأيك لماذا تنصدر الرواية المشهد الثقافي؟

– أسباب كثيرة. أولا، لأن الشاعر يعبر عن العالم بصورة مجردة، ويجب أن تكون لديه آذن موسيقية في الوقت نفسه، وهذا ليس مطلوبًا من الروائي. الرواية تمنح فضاءً أرحب للكتابة. أما الشاعر فيتميز بقدرته على تلخيص الأمور أو تقريبها أكثر من الروائي. الروائي لديه رؤية وعلاقات بين الشخصيات وخلفية ثقافية معينة. بينما الشاعر تكون لديه رؤية تجريدية. بالنسبة إلى أرى الشاعر مثل الفن التجريدي.

لذلك، عندما كنا صغارا، لم نكن نألف كثيرا مع القصائد العربية القديمة، لأنها لم تكن مفهومة لنا، وفيها قدر كبير من التلخيص، ولا يمكن فهمها إلا إذا فهمت الطبيعة البدوية. لكنها لا تفهم بالسهولة نفسها داخل ثقافتنا الحالية. وكما قلت لك، الشاعر بالنسبة إلى يشبه الفن التجريدي. يحتاج إلى قدرة على القراءة تجمع بين الأمور، تجمع بين الكلمة والموسيقى، وبين الفراغات. ففي الشعر فراغات أكثر من الرواية. خلال العقدين الأخيرين، أصبحت هناك سهولة في مسألة كتابة الرواية، وأصبح عدد كُتّاب الرواية كبيرا جداً، حتى إن كل شخص تقريباً أصبح يصدر رواية.

أنا لاحظ ذلك، إلى درجة أنني أصبحت تأثله الآن. أريد أن أبدا في قراءة هذا الجيل. أنا توقفت عن متابعة الرواية، وأنت تعرفين أنني كتبت كثيرا جدا عن الرواية، ولذلك توقفت، والأنا أعمل في الرواية وفي الأدب الإلكتروني أو الأدب المتعدد، المتعدى لحدود الجنس الأدبي.

■ تقصدين العابر للنوع؟

العابر للنوع، بالضبط، وليس النوع فقط، وإنما الجنس الأدبي. لأن العابر للنوع يعني أنك داخل مجال الأدب نفسه، هل هذا أدب أم شعر أم تاريخ؟ لا، إنها «ميديا، نحن نسميه عابرا للميديا/ Transmedia».

ما أقصده هو روايات مسموعة وكتب صوتية، وما شابه ذلك، يمكنك أن تشاهدني في جزء من العمل على الهاتف، وتشاهدني جزءاً آخر على الموقع الإلكتروني، ويمكنك المشاركة في الكلام.

■ تقصدين المشاركة في الكتابة؟

نعم. ولذلك أنا متجهة إلى هذا المجال. ولماذا أتجه إليه، لأن هناك الآن كثيرا من الكتابات عن الأدب الإلكتروني، وهو موجود على المواقع الإلكترونية أيضا. أنا أريد أن ادخل مصر في هذا التيار. ولذلك بدأت بالفعل في الكتابة في هذا الاتجاه، لأن مهمتي ليست أن أدرس الإنجليزية أو أن أدرس الأدب فقط، وإنما مهمتي أن أبني الجسور بين ثقافتنا والثقافات الأخرى.

■ أليس هذا مهمة الأدب المقارن؟

– بالضبط. الأدب المقارن ليس أن تأتي بنصين وتقارني بينهما وتقولين هذا يشبه هذا، وهذا سرق من هذا. هذا المفهوم انتهى تماماً الآن. الأدب المقارن اتجه إلى مساحات أخرى. وظهر ما يسمى بالأدب العالمي، أي أن كل أدب في أي منطقة ينتمي إلى العالم كله.

ظهرت نظرية التي تقول أنك لست مضطرة إلى معرفة اللغات حتى تقرئي، ويمكنك أن تقرئي أعمالاً مترجمة، وهناك جدال كبير حول هذه المسألة في الوقت الحالي.

أنا مقتنعة جداً بأن الأدب المقارن معناه أن نقرأ آداب العالم، ونرى ماذا أضاف كل أدب، وكيف تتميز، وكيف تختلف أو تتنوع. وكما يقول الصينيون، الأدب شيء متنوع «Variation Theory»، أي نظرية التنوع الأدبي أو التنوع بصورة عامة.

هذا يتيح لكل الناس المشاركة في هذا المجال، ويؤسس لفكرة التقبل، ومن الخطأ أن نفترض أنهم لا يحبوننا. لماذا نفترض دائماً أننا نحن الذين لا يحبنا الآخرون؟ هم مفتتحون على العالم كله.

انظري إلى الصراعات السياسية؛ الحكومات متعاركة مع الصين من ناحية، ومع إيران من ناحية أخرى، لكنني أدخل إلى المواقع وأجد الإيرانيين الذين يعيشون خارج إيران يكتبون، والصينيين يكتبون، ونحن نكتب.

ما يضايقني أن مصر ليست ممثلة بالقدر الكافي. وقد قلت هذا الكلام وأكرره: لماذا؟ لأننا لا نخرج من بلادنا ونعيش في الخارج بالقدر نفسه الذي تفعله شعوب البلدان التي تعاني من مشكلات سياسية وغيرها.

ثم هناك أيضا النعرة القومية التي سادت في الستينيات، وأدت إلى منع تعليم اللغات في المدارس، وهذه نقطة تعاب علينا. الآن في أوروبا، الطالب منذ المرحلة الابتدائية يتعلم لغتين، إلى جانب الفرنسية، أو لغتين إلى جانب الهولندية، بحسب البلد.

هل نفعل نحن ذلك في مدارسنا؟ لا، هذه اللغة القومية، ولغتنا أفضل لغة. وما معنى أفضل لغة؟ لا توجد لغة أفضل من لغة بصورة مطلقة. كل الناس يحبون لغتهم ويعتبرونها أفضل لغة، لكن هذا لا يعني ألا تتعلمي اللغات الأخرى، وألا تدخل في الحوار، وألا تتعلمي منها. ولذلك، عندما نتظرن إلى ما ينشر الآن عن الأدب العربي، تجدين أن كثيرا منه لا يصدر من مصر.

■ عم يدور كتابك الأخير «التمثيل الثقافي بين المرئي والمكتوب»؟

– كتابي الأخير «التمثيل الثقافي بين المرئي والمكتوب، عبارة عن دراسات بينية بين الفن والأدب، أخذتها من البدايات حتى القرن العشرين، وبينت كيف ظهرت في القرن العشرين فكرة الفنان، واستشهدت بفنانين من خارج مصر ومن داخلها. أنا دائماً أقوم بالمقارنة. عندما دخلت إلى فكرة «الافتراضي» من هذا المنظور، فعلت ذلك لسببين. أولا، لأن ما بعد الحداثة أدابت فكرة الفصل بين الأجناس الأدبية، وفاديا، لأنني كنت أكتب في النقد الفني التشكيلي، وقلت: أريد الآن أن أقدم دراسة تجمع بين الفن التشكيلي والأدب.

في كليتنا، كما قلت لك، كان هناك أساتذة للسينما محافظون جداً، وكانوا يقولون: الإنجليزية إنجليزية، فما علاقتك بالفن؟ وما علاقتك بالأدب؟ وما علاقتك بهذه الأشياء؟ وكانوا يرون أن الأدب العربي شيء منفصل.

لكن ما فعلته هو أنني كنت مواظبة على مكتبة الجامعة الأمريكية ومكتبة جامعة القاهرة، وأجس وأقرأ في المجالات المختلفة. واكتشفت أن هناك ناقدًا جمع بين ثقافة الصورة وثقافة الكلمة. هذه هي أساس كتابي. وأنا، بالطبع، استفيد مما أقرأ، لكنني بوصفي ناقدة لا يمكنني أن أنقل. هو يتحدث من منظور الأدب الأوروبي، وقد حصل على الدكتوراه في ويليام بليك، وهو الشاعر الرومانسي الذي كان يرسم ويكتب الشعر. فرحت جدا عندما اكتشفت ذلك؛ لأنني وجدت الشيء الذي سيسمح لي بأن أعمل في هذا المجال. ولديّ معظم كتبه.

أول بحث قدمته في هذا الموضوع كان عن فنانة وأديبة إيرلندية اسمها ليونورا كارينجتون. توفيت منذ فترة قصيرة، وقد حزنّت عليها جداً؛ لأنها كانت فنانة وأديبة رائعة. قدمت بحثاً عنها، لكنهم رفضوه وقالوا: «هذا خارج التخصص». بعد ذلك، الأشخاص الذين رفضوا البحث وقالوا بأن خارج الأدب وغير ذلك، عادوا وسمحوا لطلاب بأن يسجلوا موضوعات عن العلاقة بين الأدب والفن. جاءتني طالبة وقالت لي: «أنا لم أكن أريد هذا الموضوع، لكن فلانا دفعني إليه، وأنا أريد منك أن تشرحي لي». فقلت لها: «لا أستطيع أن أشرح لك من زاوية واحدة، لأنني دارسة للفن».

أنا بالفعل درست الفن عندما سافرت إلى إسبانيا. بقيت في إسبانيا ٤ سنوات، ورأيت العلاقة بين الفنون، وبين الثقافة العربية والإسبانية، وكان الأمر رائعاً، حتى في الأغاني الإسبانية. وكان لديّ أيضاً بعثة في إنجلترا. ثم عدت وقلت إنني سامعل هنا وأدرس، ودرست بالفعل وحصلت على الماجستير. أقول لك كل هذا لأوضح أن كتابي لم أصنعه من العدم، ولم يكن مجرد فكرة من راسي،

وإنما هو تعبير عن معاشية وتجربة ودراسة. ■ لكن المزج بين الأدب أو نقده والفنون البصرية أمر معروف، أليس كذلك؟

– الآن نعم. أعرف أنه موجود، فهناك أشخاص كثيرون يكتبون ويرسمون، أو يكتبون قصيدة ويعبرون عنها برسم، وهذا موجود. الأمر ليس مجرد التعبير بالرسم. الفكرة أنك عندما تنتظرين إلى أي صورة أو لوحة تنسجين حولها حكاية. أي تستنطقين للوحة أو العمل الفني بالكلمات، وهذا شيء نسميه «Meta-criticism»، أي نقداً خارج الإطار التقليدي.

أنت لا تحكين بالرسم، وإنما تحكين بالكلمات. الشيء نفسه يحدث عندما يرسمون أي شيء. هم يرسمون، لكنهم في الوقت نفسه يرسمون ما يعبرون عنه، أي يمثلونه. وهذا هو التمثيل الثقافي لما يدور في رأسهم عن هذا التشكيل المعين.

المهم أن ما أريد قوله، حتى نجتمع هذا الكلام مع ما سبق، هو أنه لا يكفي أن تخصصي في لغة واحدة، أو في علم واحد، أو في منهج واحد، لأن أساس التقدم في العالم الآن قائم على التداخل. الآن كل شيء أصبح متشابكاً مع بعضه، مثلاً، الكيمياء الهندسية، أي الجمع بين الهندسة والكيمياء. هناك تجاوز لفكرة التخصص الواحد. تجاوز مسار واحد فقط. وهذه هي أساس الفلسفة.

إنها رؤية فلسفية في النهاية، تقوم على أن المنهج الصحيح يجب أن يستدعي الاستعانة بمناهج أخرى. الواقع نفسه أثبت ذلك، من دون الحاجة إلى النظرية المكتوبة. عندما تجدين شخصاً عمل في مجالات كثيرة، إلى جانب تخصصه الأساسي، ستجدين أنه ينجز ويقدم إنتاجاً أفضل كثيراً من شخص درس تخصصاً واحداً بصورة شديدة التخصص. وقال: «أريد أن أتجاوز إلى مجالات الأخرى».

■ لكن ألا يعني هذا ترك التخصص؟

– أنا لا أقول نترك التخصص، لكن يجب أن تكون هناك مجالات أخرى تخدم تخصصك. أنت عندما تكتسبين خبرة، إذا كنت صحفية وتعملين في التصوير، ستكتسبين خبرة. وإذا كنت صحفية وتعملين مدرسة، وتجلسين لتحكي قصة، ستكتسبين خبرة. وحتى إذا ذهبت لتعملي بائعة في محل، ستتعلمين أنماط الناس وكيفية التعامل معهم، وقراءة نفسياتهم ومشكلاتهم. كل ذلك يخدم بعضه بعضاً.

مسألة التخصص في منطقة واحدة فقط ليست صحيحة، إلا في بعض المجالات. فلا يمكن، مثلاً، أن يقتي الصحفي في الطب إلا إذا كان متخصصاً. وحتى في تاريخ العرب، خصوصاً في عصر النهضة، في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تعيش ما يسمى بالعصور المظلمة، كان العرب متقدمين في الطب والكيمياء وغيرهما. وكان الشخص الواحد عالماً في أكثر من مجال. كان مفسراً وعالم فلك، وليس عالم الفلك بالمعنى الشعبي، وإنما عالماً يدرس حركة النجوم والكواكب والطقس، وفي الوقت نفسه يكون مدرساً ويحفظ القرآن ويعلم الناس. كانت التخصصات متعددة، لكنها كانت تتمركز أيضاً حول مجال أساسي. أما الانفلاق فهو أن يظل الإنسان مركزاً في مجال واحد فقط.

نحن لدينا مناخ يقوم على الفصل طوال الوقت، وعلى الاختلاف، وإذا نظرت إلى كتاب «التمثيل الثقافي»، ستجدين كيف يحثو السلبى على الإيجابي، ويحتوى الإيجابي على السلبى. لا يمكنك حصره الآن أن نقول: هذا سلبى وهذا إيجابى بصورة مطلقة.

وكما قلت أنت، يمكن أن تكوني طبيبة، لكن لا يمكن أن يكون العالم كله أطباء. الأطباء لهم أهمية، لكن هناك أهمية أيضاً للعامل الذي يصنع لك القهوة في العمل. هناك عرب، مثل السوريين، عندما ركزوا على العربية وحدها، لم يستطيعوا قراءة النصوص الإنجليزية، ولذلك لم يتطور بعضهم بالشكل الكافي. صحيح أن بعضهم تطور، لكن الباقي لم يفعل. لا بد أن يتعلم الإنسان الإنجليزية منذ المرحلة الابتدائية حتى يستطيع مواكبة العالم.

أثار فوز الدكتورة مكي الحديدي، أستاذ علم الاجتماع بجامعة العاصمة «حوان»، بجائزة التفوق في العلوم الاجتماعية حالة من البلبلة والجدل الكبير، فهناك من زعم أنها لا تستحق الجائزة، بحجة أنها لم تقدم أعمالاً منشورة؛ لأن من شروط الجائزة أن يقدم المترشح أعمالاً تثبت مرور خمسة عشر عاماً أو أكثر على بداية النشاط الإبداعي أو الفكري. كتاب منشور برقم إيداع، أو إفادات معتمدة من الجهات التي قامت بتفديع أو عرض الأعمال الفنية. لكن الدكتورة مكي الحديدي لم تستوف هذا الشرط، ومن ثم رأى كثير من المثقفين أنها غير جديرة بهذه الجائزة.

حسين السيد

مكي الحديدي

رأى خاص في جائزة

التفوق بالعلوم الاجتماعية



د. مكي الحديدي

الاصالات؟ لماذا لا تدافع عن نفسها؟ لماذا لا تهرئ ساحتها؟ إنها التزمت الصمت، ولو كان موقفها قوياً لردت، ولطلبوا منها أن ترد على التليفونات، فيمّ تخاف وموقفها سليم؟ فإذا كان أمين المجلس للأعلى للثقافة يراها على حق، فلماذا لا ينصحها بأن ترد على ما يثار حولها من أغاليط وتدفع كل الشبهات، فيستريح هو وتستريح هي أيضاً. إن الصمت في هذه المواقف لا يعد حكمة وبلاغة بل هو عجز وتقصير وخوف من معرفة الحقيقة.

ذكر الدكتور أشرف العزاي أن علينا الاهتمام بالكيف وليس الكم، أي النظر إلى كتاب واحد يترك أثراً كبيراً ويحدث حراكاً بين الجماهير أفضل كثيراً من تأليف مجموعة من الكتب لم تترك الأثر الكبير ولا الحراك المجتمعي. هنا نسال: أين هذا الكتاب للدكتورة مكي الحديدي الذي أحدث الأثر الكبير وبناءً عليه استحققت الجائزة؟ لا أباغ إذا قلت إنها قد تكون مجهولة للكثيرين من المثقفين فضلا عن الجماهير العريضة. إن مسألة الكيف وليس الكم تنقلب أيضاً على الدكتورة مكي؛ وليست هي صالحتها، فهل كتابها «التنشئة الاجتماعية للأطفال في البلدان العربية» يدخل ضمن الكيف، هذا الكتاب الذي يقع في ٢٢١ صفحة، ويشمل البلدان العربية ويتناول شريحة عمرية عريضة؟ هل هو الجديدي تستحقها لردت على، ولدافعت عن نفسها، كتاب «الإسلام وأصول الحكم» لعل عبدالرازق؟ طبعاً لا نريد أن نترك بصمة.

ذكر الدكتور أشرف العزاي أن الدكتورة مكي تحمّل درجة الأستاذية، وأن لها على الأقل لتصل إلى هذه الدرجة، أربعة عشر كتاباً. أقول كان عليها أن تقدم بسة أعمال حقيقية، بل تنتقي أفضل ما لديها من أعمال لتبعت عن نفسها شبهة المجاملة، ولتطبق مقولة: الكيف أفضل من الكم. لكنها لم تفعل ولم تقدم إلا كتابين اثنين، وبحين اثنين، ودراسين اثنين فقط، لماذا أوقعت نفسها إن أعمالها الستة ليست كلها كتباً، فكتابان فقط هما اللذان تقدمت بهما، أما الأعمال الأخرى فهي دراسات وبحان، فهل يجوز التقدم بإبحاث ودراسات لجوائز كبيرة مثل جوائز الدولة، وأرفع الجوائز وأهمها؟ وكذلك كيف قبلوا أوراق ترشحها، ونحن نعلم أن من شروط الجائزة: تقديم ما لا يزيد على خمسة أعمال «نسخة ورقية وأخرى إلكترونية»؟ هل قبل من تأليفها، والمفروض أن يعدل لي أعمالها الأخرى التي تقدمت بها لعرفته بكل ما يتصل بها، ورغم أنني أحت في السؤال طلباً لمعرفة باقي الأعمال، لكنه قال إنه بالصدفة أمامه ورقة بها اسم كتاب واحد.

كما أن الكتاب الذي ذكره لي «التنشئة الاجتماعية للأطفال في البلدان العربية»، لا يصلح من وجهة نظري أن تقدم به للجائزة: لأن مادته فضفاضة وغير متعمقة، فالأطفال شريحة عمرية كبيرة، كما أن التنشئة شملت كل البلدان العربية، إنه أقرب إلى أن يكون مثل كتاب أدب يتناول الأدب من العصر الجاهلي حتى القرن الحادي والعشرين، مثل هذه الكتب لا تخدم الباحث الذي يريد التعمق والتخصص والتفرد؛ لأن العرض سيكون عرضاً سريعاً ليغطي باقي العصور، فالعلوم التي به هي أقرب إلى الضحالة والسطحية، عكس

الكتاب الذي يتخصص في فترة زمنية محددة، لا بد أن تكون نظريته نظرة

دقيقة وعميقة، يفيد كل الباحثين.

فهذه النوعية من الكتب أقرب إلى أن تكون كتباً جامعية، لا تفيد الباحثين.

وسألته وقلت له: لماذا لا ترد الدكتورة مكي على

بدرى لم أصدق هذا الكلام كما لم أنفيه، فأتجهت إلى المصدر نفسه، الدكتورة مكي الحديدي، لاستبين الحقيقة، وأسمع وجهة نظرها فيما يثار حولها من أغاليط، فاتصلت بها لأبارك لها فوزها، فردت على مشكورة، وطلبت إلى أن اتصل بها مساءً لانشغالها بأمور تخص العمل، ورحبت بهذه المكالمة لأنها كانت باشة وفرحة بتهنئتي، وأكدت عليها أنه من الضروري أن أخذ منها كلمة أو تصريحاً تفند بها كل ما يقال حولها، وأنه من الواجب عليها أن تدافع عن نفسها، وأخذت عهداً منها بعدم غلق الهاتف.

ثم انتظرت إلى أن جاءت الساعة التاسعة مساءً، فعاودت الاتصال بها، لكنها لم ترد. انتظرت قليلاً ثم اتصلت لكنها لا ترد، أرسلت إليها رسائل عبر تطبيق الواتس أخبرها وأعلمها أنها وعدتني بأن ترد على، وأناها هي من طلبت الاتصال بها في هذا التوقيت، قلت لها- عبر الواتس- إن صفحة الأدب متوقفة على تصريحها، لكنها لم ترد. وباءت كل محاولات الاتصال بالدكتورة مكي بالفشل، أو الوصول إليها عبر الواتس، أو بأي وسيلة أخرى، ولم تعترز عن عدم الرد كذلك.

كل هذا جعلني أجزم بأن جائزة التفوق في العلوم الاجتماعية ذهبت إلى غير من يستحق، وأن هناك توجيهاً حدث في تلك الجائزة، فلو كانت الدكتورة مكي الحديدي تستحقها لردت على، ولدافعت عن نفسها، ولردت على كل من شكك في استحقاقها.

بدرى أطالب الجهات المسؤولة بضرورة التدخل، وعمل تحقيق عاجل وسريع للكشف عن ملابيسات فوز الدكتورة مكي الحديدي بالجائزة، وعلى كل مخطئ محاسبته، بداية ممن رشح اسمها، ومن أعطاها الجائزة، فهل يغفل يا سادة أن تفوز واحدة بجائزة التفوق وليس لها عمل منشور؟

ما يؤكد كلامي أنني قمت بالاتصال بالدكتور أشرف العزاي الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة، وأكد لي بما لا يدع مجالاً للشك أن الدكتورة مكي تقدمت بستة أعمال، ووضح لي طبيعة هذه الأعمال الستة، فهي عبارة عن «دراسين، وبحين، وكتابين»، ثم ذكر لنا أنه بالصدفة بين يديه كتاب لها بعنوان «التنشئة الاجتماعية للأطفال في البلدان العربية»، ويقع في نحو ٢٢١ صفحة، ولم يذكر باقي الكتب.

الغريب في الأمر، أن الدكتور أشرف العزاي أخبرني أنه منذ أن حدثت الضجة الكبرى بسبب فوز الدكتورة مكي، قد أمر مكتبه بأن يجمع ويجهز له كل ما يخص ويتعلق بالدكتورة مكي، فلما سألته عن أسماء كتبها لم يذكر لي إلا اسم كتاب واحد من تأليفها، والمفروض أن يعدل لي أعمالها الأخرى التي تقدمت بها لعرفته بكل ما يتصل بها، ورغم أنني أحت في السؤال طلباً لمعرفة باقي الأعمال، لكنه قال إنه بالصدفة أمامه ورقة بها اسم كتاب واحد.

كما أن الكتاب الذي ذكره لي «التنشئة الاجتماعية للأطفال في البلدان العربية»، لا يصلح من وجهة نظري أن تقدم به للجائزة: لأن مادته فضفاضة وغير متعمقة، فالأطفال شريحة عمرية كبيرة، كما أن التنشئة شملت كل البلدان العربية، إنه أقرب إلى أن يكون مثل كتاب أدب يتناول الأدب من العصر الجاهلي حتى القرن الحادي والعشرين، مثل هذه الكتب لا تخدم الباحث الذي يريد التعمق والتخصص والتفرد؛ لأن العرض سيكون عرضاً سريعاً ليغطي باقي العصور، فالعلوم التي به هي أقرب إلى الضحالة والسطحية، عكس

الكتاب الذي يتخصص في فترة زمنية محددة، لا بد أن تكون نظريته نظرة

دقيقة وعميقة، يفيد كل الباحثين.

فهذه النوعية من الكتب أقرب إلى أن تكون كتباً جامعية، لا تفيد الباحثين.

وسألته وقلت له: لماذا لا ترد الدكتورة مكي على

أُسعى لإدخال مصر إلى مجال «الأدب العابر للميديا»

الكتابة الإبداعية ليست «واحد زائد واحد يساوي اثنين»



شعبان يوسف:

ابن النشاط الثقافي بالمحلة

المؤتمر شهد مشاركة عدد كبير من المثقفين والأدباء، من بينهم سمير غريب وزكى عواد وغيرهما، بينما كان جاز النبی الحلو في تلك المرحلة لا يزال في بدايات تجربته في كتابة القصة، ويخوض محاولاته الأولى في تشكيل مشروع الأدبي.

واستعادة هذه المرحلة تساعد في فهم البيئة الثقافية التي خرج منها جاز النبی الحلو، والتي تدخل فيها النشاط الأدبي مع الحركة الثقافية والسياسية في مصر، والمحلة لعبت دوراً مهماً في تكوين عدد من الأصوات الأدبية والفكرية التي تركت أثراً في المشهد الثقافي المصري.

المحلة احتضنت عدداً من الأسماء البارزة في الحياة الثقافية المصرية، من بينها جابر عصفور، وعبد الغفار مكاوي، ونسيم حامد زكي، والشاعر محمد صالح، وسعيد الكفراوي، ومحمد سيد سعيد، ومحمد منسى قنديل، وغاز النبی الحلو، ورمضان جميل، والمدينة لم تكن مجرد مركز صناعي، وإنما كانت أيضاً بيئة حاضنة للنشطين الثقافي والفكري.

وجاز النبی الحلو شارك في الضعاليات الثقافية خلال بدايات تجربته الأدبية، وشارك في مؤتمر أدباء الأقاليم الذي عقد في ديسمبر ١٩٦٩، والذي اعتبره من المؤتمرات المهمة في تاريخ الثقافة الجماهيرية المصرية.



وليد خيرى:

قلبه قلب طفل.. ولغته مذهلة

مجرد توجه أدبي، وإنما تنبع من داخله، إن قلبه قلب طفل، وهو ما يمنحه قدرة على مخاطبة الأطفال بصدق بعيداً عن التعامل معهم باعتبارهم مجرد جمهور مستهدف.

وتجربة جاز النبی الحلو ترتبط كذلك بالانزعة الصوفية، والزهد الحقيقيين، والكتاب لا يكتب عن الشخصيات الصوفية فحسب، بل تظهر الروح الصوفية في طريقة نظرتة إلى العالم وفي سلوكه وكتابه.

وانطلاق تجربته من المحلة يمثل نقطة مهمة، لأنها تؤكد أن المكان الصغير يمكن أن يصبح، في الكتابة، صورة للعالم كله.

تجربة جاز النبی الحلو تمثل نموذجاً مميزاً في الكتابة، سواء على مستوى القصة القصيرة أو الرواية، واستطاع أن يحقق حضوراً خاصاً من خلال أعماله التي تجمع بين البساطة والعمق، ولغة جاز النبی الحلو، مذهلة، وفي بدايات قراءتي له فوجئت بأن الكاتب الذي تبدو لغته قريبة من العامة يستخدم مفردات عربية فصيحة وثرية. وهذا الثراء اللغوي يرتبط أيضاً بمفردات الطفولة التي تحضر بقوة في كتابته، وهو ما يفسر قدرته اللافتة على الكتابة للأطفال.

وعلاقة جاز النبی الحلو بالطفولة ليست



مجدى نصر:

جميع شخصياته فنية ومستقلة

قريباً من طبيعة السرد عند جاز النبی الحلو. والشاعر ينبغي أن يكون ابن تجربته الذاتية، والمقال ابن فكرته، بينما «السرد لا بد أن يكون ابن ناسه»، والكاتب الكبير هو الذى يستطيع أن يفسح المجال للشخصيات كي تتقدم إلى واجهة العمل، دون أن يفرض نفسه أو أفكاره عليها. وغاز النبی الحلو يحقق هذا الأمر بدرجة لافتة، إذ يكاد يتوارى تماماً خلف شخصياته، حتى إن القارئ قد يخلط بين الكاتب الحقيقي والشخصيات التي يصنعها، لكنه في النهاية يكشف أنه أمام شخصيات فنية مكتملة ومستقلة.

تجربة جاز النبی الحلو لها خصوصية، واستطاع منذ بدايات نشر أعماله، أن يتجاوز هيمنة الأيديولوجيا التي كانت حاضرة بقوة في المشهد الثقافي، خصوصاً داخل اليسار، حيث كان السياسى يطغى أحياناً على البعدين الإنسانى والذاتى. وهذا السؤال اكتسب أهمية خاصة عند قراءة أعمال جاز النبی الحلو، خصوصاً في ضوء التحولات التي شهدتها المجتمع المصرى خلال السنوات الماضية، وثورة يناير مثلت لحظة انحسار فيها حضور الخطابين السياسى والإعلامى لصالح ظهور الناس أنفسهم، وهو ما اعتبره



هانى منسى:

«شجو الهديل» تكشف قدرته على تحويل التشظى إلى بناء فني

المونتاج السينمائي، إذ ينتقل الكاتب بشكل مفاجئ من مشهد إلى آخر، لا باعتباره استرجاعاً زمنياً تقليدياً، وإنما من خلال الانتقال اللحظى بين المشاهد والشخصيات، وهو ما يمنح النص إيقاعاً خاصاً. ويجعل تعدد الأصوات جزءاً أساسياً من بنائه.

وتشظى الأصوات داخل السرد يعكس تشظى النفوس والشخصيات التي تعيش داخل البناية التي تدور فيها الأحداث، وهى كتلة خرسانية مكونة من خمسة طوابق، في مقابل «المنور» الذي يمثل مساحة صغيرة مفتوحة على السماء والطبيعة.

التجربة الأدبية والإنسانية للأديب جاز النبی الحلو رائدة، والرهافة تمثل إحدى أبرز سمات حضوره، سواء في إنتاجه الأدبى أو في علاقاته الإنسانية، والمشاعر الصادقة والمحبة الحقيقية التي تحيط بالكاتب أهم من أى احتفاء شكلى أو تكريم.

وقرات روايته «شجو الهديل» كاملة في جلسة واحدة، وأعجبت بالجمال والوداعة والرهافة التي تميز سرداً، رغم أن بنيتها الفنية تقوم على تشظى واضح في الأصوات والأحداث.

والرواية تعتمد على تقطيع سردى يشبه

اجتمع أحباب الكاتب الكبير جاز النبی الحلو وقراؤه وتلاميذه في ندوة نظمها جريدة الدستور، لتكريمه والاحتفاء بتجربته الأدبية والإنسانية الفريدة.

المشهد كان أشبه بعرس ثقافى، حيث توافد المبدعون من مختلف الأجيال ليشاركوا في هذا اللقاء، ويعبروا عن تقديرهم العميق لمسيرة كاتب منح الأدب العربى حضوراً خاصاً، وترك بصمته في السرد والخيال القصصى. وتنوعت المداخلات بين شهادات شخصية مؤثرة وانطباعات نقدية، كشفت عن حجم المحبة التي أحاطت بجاز النبی الحلو، وعن أثره الممتد في نفوس قرائه وتلاميذه وأصدقائه.

وفي السطور التالية، ننشر «حرف» أبرز ما جاء في هذه المداخلات على لسان أصحابها، والتي حملت مشاعر المحبة والوفاء، وأضاءت جوانب متعددة من تجربة جاز النبی الحلو الأدبية والإنسانية.

الحلو

مريدو «جاز النبی» فى حرف:

كتابته كافية لإضاءة العالم



جار النبي الحلو

يحزن بشدة بسبب «الحسابات والعلاقات الخفية» التي تحكم الوسط الثقافي

قادر على التجدد والإبداع رغم المعوقات.. ونقل روح الإبداع إلى الأجيال الجديدة



جانب من ندوة «حرف، احتفاءً بالكاتب الكبير جار النبي الحلو

وسام جار النبي الحلو:

أنا نجلته وهو ابن قلبي.. ولم يسع وراء الجوائز أو الشهرة

أو تحويل أعماله إلى السينما، أو حتى إعادة طباعة كتبه بصورة متكررة، بل كان يكتب حين يطلب منه العمل، ويركز على الكتابة نفسها أكثر من السعي إلى ما يمكن أن يترتب عليها من مكاسب أو أضواء.

وما كان يؤله في بعض التجارب المتعلقة بالجوائز لم يكن عدم حصوله على جائزة دراسية، وإنما انكشاف بعض الوجود والعلاقات الحقيقية، لأنه كان شديد الشفافية والثقة في الناس، ولم يكن يتصور أن تحكم بعض الحسابات الخفية علاقات الوسط الثقافي.

يصطحبني من المدرسة، ويحمل عنى حقيقتي، ويسير إلى جوارى كصديق يلعب معي في الطريق، أو حين كان يحكي لي ما يقلقه ويحزنه، بينما كنت أكبر تدريجياً لأصبح قادرة على مشاركته الرأي ومساعدته في حل مشكلاته.

منذ طفولتي منحني والدي مساحة واسعة لاكتشاف العالم، فلم يكن يهتم فقط بدرجاتي الدراسية، وإنما عزفني إلى الفن والأدب والتاريخ، وجعل المكتبة الصغيرة في منزلنا بوابتي الأولى إلى العالم.

والذي لم يكن يسعى وراء الجوائز أو الشهرة،

التأكيد على استقلال اسمي عنه، إلى أن أصبح اسم جار النبي الحلو جزءاً من هويتي التي اعتز بها. وأشير دائماً إلى أن التاريخ وحده هو الذي يحكم في النهاية على ما يبقى من أعمال الكاتب، وليس الاسم الذي أحمله.

جار النبي الحلو ظل بالنسبة إلى أبي وصديقي وابن قلبي وكاتبتي المفضل، وهذه الأدوار لم تنفصل عن بعضها طوال سنوات عمرى. علاقتي به تجاوزت الصورة التقليدية للأب، ووصلت إلى علاقة صداقة وتعلم ومشاركة فكرية.

استعيد مشاهد من طفولتي معه، حين كان

وكاتب متميز صاحب تجربة خاصة، وظل الأمر حاضراً حتى في مسألة اسمي، إذ أصغر منذ بدايات نشر أعمالي على أن أكتب اسمي وسام الحلو.

استعيد بداية علاقتي بالنشر، حين أرسل والدي أول قصة كتبتيها إلى مجلة للأطفال وأنا في التاسعة من عمري، مؤكداً لرئيس التحرير أنه لم يتدخل في كتابتها. ومنذ ذلك الوقت ظلت أنشر باسمي الكامل حتى رسالة الدكتوراه.

تحول الأمر مع الوقت من محاولة والدي

أنا ابنة الأديب المصري جار النبي الحلو، وهناك علاقة مركبة جمعت بيني وبينه، واحتجت سنوات طويلة حتى أتصال مع فكرة أن أكون ابنته، وفي الوقت نفسه واحدة من قرانه. وكانت محاولاتي الأولى للفصل بين كوني ابنة جار النبي الحلو وكوني قارئة لأعماله ترهقني، حتى في التفاصيل الصغيرة، مثل الأوراق التي كنت أتركها له وفيها ملاحظات أو طلبات ليقرأها أثناء غيابه، أو محاولتي أن أكون معتدلة في إظهار محبتي له حتى لا تبدو شهادتي منحازة. ومع مرور الوقت تصالحت مع حقيقة أنه أبي



صفاء النجار:

قاوم إغراء القاهرة باستقلال داخلى وزهد حقيقى

قرأت أعمال جار النبي الحلو مبكراً، وقرأت «حلم على نهر» في سن صغيرة، واسمه ترك لدى انطباعاً خاصاً، وارتبط في ذهني منذ البداية

بصفة «الحلو»، ويمثل بالنسبة إلى «زهرة لوتس مصرية»، فاللوتس زهرة تستطيع أن تنمو في الماء وعلى أسطح مختلفة، ولا تحتاج إلى تربة خصبة حتى تزدهر، وإنما تحتاج إلى الماء والشمس.

وهذا التشبيه ينطبق على جار النبي الحلو وعلى مجموعة من المبدعين المصريين الذين استطاعوا أن ينموا ويقدموا إبداعهم رغم غياب البيئة الداعمة، وهم يمثلون طاقة مصرية قادرة على التجدد والحياة والإبداع رغم العوقات.

وجار النبي الحلو وغيره من الكتاب الذين لم يغادروا الأقاليم المصرية يمثلون «عمد» هذه الأقاليم، لأنهم حافظوا على روح الإبداع فيها ونقلوها إلى الأجيال الجديدة، والقاهرة تظل مركزاً ثقافياً شديد المركزية، ولذلك فإن المبدع الذي يستطيع أن يفرض حضوره من خارجها يمتلك طاقة استثنائية. وبقاء جار النبي الحلو في

الحلة الكبرى كان مهماً، واختياره عدم الانتقال الدائم إلى القاهرة يمثل على حد ذاته موقفاً ثقافياً وإنسانياً، خصوصاً أن كثيراً من المبدعين انتقلوا إلى العاصمة بحثاً عن فرص أكبر للحضور والانتشار. وقدرة «جار» على مقاومة إغراء القاهرة

تكشف عن استقلال داخلي وزهد حقيقى، والزهد ليس مجرد ابتعاد عن الأضواء، وإنما امتلاك القدرة النفسية على عدم جعل المركز الثقافى شرطاً للوجود أو النجاح.

و«جار» كان يرى العالم من موقعه الخاص،

أحمد سراج:

أعمال جار النبي الحلو تحثني بالبسطاء ممن يستندون الأرض مما تفعله الريح، وإن عالم «الحلو» ليس من الغريب أن يكون موحلاً في الأمل.

بعد الانتفاخ الاقتصادي في السبعينيات

تبدل وجه الحلة مسقط رأس جار النبي الحلو



عمر شهياري:

الأديب جار النبي الحلو يمثل أحد أبرز أبناء جيل السبعينيات، ذلك الجيل الذي ظل لسنوات طويلة ينتظر التقدير الذي يليق بمنجزه، بينما عانى من تهميش واضح في المشهد الثقافى. استعيد واقعة حصول جار النبي الحلو على جائزة التفوق قبل نحو ١٠ أعوام، وقتها كنت غاضباً من عدم حصوله على التقديرية، وكذلك الشاعر محمد فريد أبوسعدة، لأننى كنت أرى أن كليهما يستحق جائزة الدولة التقديرية، باعتبار أن حجم تجربتهما الأدبية يتجاوز مستوى جائزة التفوق. الأزمة لم تكن مرتبطة بجار النبي الحلو وحده، وإنما بجيل كامل من الكتاب والشعراء والروائيين الذين تأخر الاعتراف الرسمى بهم لسنوات طويلة، بينما

تجاهله فى الجوائز صادم

أعماله تحثنى بالبسطاء

وهو ما رصدته فى أعماله الأدبية- الروائية القصصية- فبؤرة النص لديه هى البسيط والمهمش.

والنهر هو الأقرب إلى عالم جار النبي، المنحدر من الجدة الحاكبة والمعشوقة الفاتنة، وتمسكه بالحلة على عكس أقرانه محمد



شاملة، خصوصاً جائزة التفوق. أقترح أن تعاد صياغة الجائزة بحيث تراعى الفروق العمرية، كان تقسم إلى فئات عمرية مختلفة، حتى لا يصبح الكاتب الأكبر سناً في منافسة غير عادلة مع الأصغر. الجوائز ينبغي أن تكون تعبيراً عن تقدير الدولة للقيمة الإبداعية، لا نتيجة لحسابات تتعلق بالصدقات أو العلاقات أو التوازنات. تجاوز أسماء ذات تاريخ طويل في مجالات الأدب والترجمة يثير أسئلة مشروعة حول معايير لجان التحكيم. هذه المسألة لا تعنينى فقط من زاوية شخصية، فالتفضية الأساسية بالنسبة إلى هى احترام القيمة الإبداعية وتقدير أصحابها، وليس السعى إلى الجائزة في حد ذاته.

حدث موقف طريف مع إحدى قريباتي، عندما أخبرتها بأننى ذاهبة للمشاركة في ندوة عن جار النبي الحلو، حيث وجدت نفسى أمام سؤال ساخر حول جدوى الذهاب إلى مثل هذه الفعاليات.

هذا الموقف جعلنى أتساءل عن دور الكاتب في جعل الكتابة والقراءة قريبتين من الناس العاديين، وهم الفئة التى ظل جار النبي الحلو يكتب عنها طوال تجربته الأدبية.

الشخصيات العادية فى أعمال «جار» غالباً ما تتحرك فى عالم تحكمه الاحتياجات المادية والرغبات اليومية، وهذا دفعنى إلى

التفكير فى مسئولية الكتاب تجاه إيصال قيمة الأدب إلى هؤلاء الناس، وكيف يمكن أن تصبح المشاركة فى ندوة أدبية أو الذهاب لمناقشة رواية فعلاً من أفعال الحبة، حتى لو لم يكن وراءها أى مقابل مادي.

الحبة نفسها يمكن أن تكون دافعاً كافياً

للقراءة والاستماع والتعرف إلى عالم كاتب

أثر فى القارئ. تجربة جار النبي الحلو كانت بالنسبة إلى جزءاً من هذا الأثر، خصوصاً

أننى تعرفت إلى كتاباته خلال سنوات الجامعة.

والحزن عند جار النبي لا يأتى بصورة صاخبة أو مباشرة، وإنما يتحرك بنعومة

وتلقائية. حزن جار النبي يشبه النهر، قد يقود القارئ إلى الغرق فى النهاية، لكنه فى الوقت نفسه يمكن أن يهديه وردة، فى إشارة

إلى قدرته على الجمع بين الألم والجمال داخل المشهد الواحد.

ومن أكثر ما يميز عالم جار النبي الحلو أنه يستطيع جمع تفاصيل تبدو فى البداية

عادية أو غير مهمة، مثل وردة ونهر ومعة وبطانية وينطلون ومرتبعة، ثم يضعها داخل المشهد بطريقة تجعلها تكتسب حياة

جديدة.

حدث موقف طريف مع إحدى قريباتي، عندما أخبرتها بأننى ذاهبة للمشاركة في ندوة عن جار النبي الحلو، حيث وجدت نفسى أمام سؤال ساخر حول جدوى الذهاب إلى مثل هذه الفعاليات.

هذا الموقف جعلنى أتساءل عن دور الكاتب في جعل الكتابة والقراءة قريبتين من الناس العاديين، وهم الفئة التى ظل جار النبي الحلو يكتب عنها طوال تجربته الأدبية.

الشخصيات العادية فى أعمال «جار» غالباً ما تتحرك فى عالم تحكمه الاحتياجات المادية والرغبات اليومية، وهذا دفعنى إلى

التفكير فى مسئولية الكتاب تجاه إيصال قيمة الأدب إلى هؤلاء الناس، وكيف يمكن أن تصبح المشاركة فى ندوة أدبية أو الذهاب لمناقشة رواية فعلاً من أفعال الحبة، حتى لو لم يكن وراءها أى مقابل مادي.

الحبة نفسها يمكن أن تكون دافعاً كافياً

للقراءة والاستماع والتعرف إلى عالم كاتب

أثر فى القارئ. تجربة جار النبي الحلو كانت بالنسبة إلى جزءاً من هذا الأثر، خصوصاً

أننى تعرفت إلى كتاباته خلال سنوات الجامعة.

والحزن عند جار النبي لا يأتى بصورة صاخبة أو مباشرة، وإنما يتحرك بنعومة

وتلقائية. حزن جار النبي يشبه النهر، قد يقود القارئ إلى الغرق فى النهاية، لكنه فى الوقت نفسه يمكن أن يهديه وردة، فى إشارة

إلى قدرته على الجمع بين الألم والجمال داخل المشهد الواحد.

ومن أكثر ما يميز عالم جار النبي الحلو أنه يستطيع جمع تفاصيل تبدو فى البداية

عادية أو غير مهمة، مثل وردة ونهر ومعة وبطانية وينطلون ومرتبعة، ثم يضعها داخل المشهد بطريقة تجعلها تكتسب حياة

جديدة.

حدث موقف طريف مع إحدى قريباتي، عندما أخبرتها بأننى ذاهبة للمشاركة في ندوة عن جار النبي الحلو، حيث وجدت نفسى أمام سؤال ساخر حول جدوى الذهاب إلى مثل هذه الفعاليات.

هذا الموقف جعلنى أتساءل عن دور الكاتب في جعل الكتابة والقراءة قريبتين من الناس العاديين، وهم الفئة التى ظل جار النبي الحلو يكتب عنها طوال تجربته الأدبية.

الشخصيات العادية فى أعمال «جار» غالباً ما تتحرك فى عالم تحكمه الاحتياجات المادية والرغبات اليومية، وهذا دفعنى إلى

التفكير فى مسئولية الكتاب تجاه إيصال قيمة الأدب إلى هؤلاء الناس، وكيف يمكن أن تصبح المشاركة فى ندوة أدبية أو الذهاب لمناقشة رواية فعلاً من أفعال الحبة، حتى لو لم يكن وراءها أى مقابل مادي.

الحبة نفسها يمكن أن تكون دافعاً كافياً

للقراءة والاستماع والتعرف إلى عالم كاتب

أثر فى القارئ. تجربة جار النبي الحلو كانت بالنسبة إلى جزءاً من هذا الأثر، خصوصاً

أننى تعرفت إلى كتاباته خلال سنوات الجامعة.

والحزن عند جار النبي لا يأتى بصورة صاخبة أو مباشرة، وإنما يتحرك بنعومة

وتلقائية. حزن جار النبي يشبه النهر، قد يقود القارئ إلى الغرق فى النهاية، لكنه فى الوقت نفسه يمكن أن يهديه وردة، فى إشارة

إلى قدرته على الجمع بين الألم والجمال داخل المشهد الواحد.

ومن أكثر ما يميز عالم جار النبي الحلو أنه يستطيع جمع تفاصيل تبدو فى البداية

عادية أو غير مهمة، مثل وردة ونهر ومعة وبطانية وينطلون ومرتبعة، ثم يضعها داخل المشهد بطريقة تجعلها تكتسب حياة

جديدة.

حدث موقف طريف مع إحدى قريباتي، عندما أخبرتها بأننى ذاهبة للمشاركة في ندوة عن جار النبي الحلو، حيث وجدت نفسى أمام سؤال ساخر حول جدوى الذهاب إلى مثل هذه الفعاليات.

هذا الموقف جعلنى أتساءل عن دور الكاتب في جعل الكتابة والقراءة قريبتين من الناس العاديين، وهم الفئة التى ظل جار النبي الحلو يكتب عنها طوال تجربته الأدبية.

الشخصيات العادية فى أعمال «جار» غالباً ما تتحرك فى عالم تحكمه الاحتياجات المادية والرغبات اليومية، وهذا دفعنى إلى

التفكير فى مسئولية الكتاب تجاه إيصال قيمة الأدب إلى هؤلاء الناس، وكيف يمكن أن تصبح المشاركة فى ندوة أدبية أو الذهاب لمناقشة رواية فعلاً من أفعال الحبة، حتى لو لم يكن وراءها أى مقابل مادي.

الحبة نفسها يمكن أن تكون دافعاً كافياً

للقراءة والاستماع والتعرف إلى عالم كاتب

أثر فى القارئ. تجربة جار النبي الحلو كانت بالنسبة إلى جزءاً من هذا الأثر، خصوصاً

أننى تعرفت إلى كتاباته خلال سنوات الجامعة.

والحزن عند جار النبي لا يأتى بصورة صاخبة أو مباشرة، وإنما يتحرك بنعومة

وتلقائية. حزن جار النبي يشبه النهر، قد يقود القارئ إلى الغرق فى النهاية، لكنه فى الوقت نفسه يمكن أن يهديه وردة، فى إشارة

إلى قدرته على الجمع بين الألم والجمال داخل المشهد الواحد.

ومن أكثر ما يميز عالم جار النبي الحلو أنه يستطيع جمع تفاصيل تبدو فى البداية

عادية أو غير مهمة، مثل وردة ونهر ومعة وبطانية وينطلون ومرتبعة، ثم يضعها داخل المشهد بطريقة تجعلها تكتسب حياة

جديدة.

حدث موقف طريف مع إحدى قريباتي، عندما أخبرتها بأننى ذاهبة للمشاركة في ندوة عن جار النبي الحلو، حيث وجدت نفسى أمام سؤال ساخر حول جدوى الذهاب إلى مثل هذه الفعاليات.

هذا الموقف جعلنى أتساءل عن دور الكاتب في جعل الكتابة والقراءة قريبتين من الناس العاديين، وهم الفئة التى ظل جار النبي الحلو يكتب عنها طوال تجربته الأدبية.

الشخصيات العادية فى أعمال «جار» غالباً ما تتحرك فى عالم تحكمه الاحتياجات المادية والرغبات اليومية، وهذا دفعنى إلى

التفكير فى مسئولية الكتاب تجاه إيصال قيمة الأدب إلى هؤلاء الناس، وكيف يمكن أن تصبح المشاركة فى ندوة أدبية أو الذهاب لمناقشة رواية فعلاً من أفعال الحبة، حتى لو لم يكن وراءها أى مقابل مادي.

الحبة نفسها يمكن أن تكون دافعاً كافياً

للقراءة والاستماع والتعرف إلى عالم كاتب

أثر فى القارئ. تجربة جار النبي الحلو كانت بالنسبة إلى جزءاً من هذا الأثر، خصوصاً

أننى تعرفت إلى كتاباته خلال سنوات الجامعة.

والحزن عند جار النبي لا يأتى بصورة صاخبة أو مباشرة، وإنما يتحرك بنعومة

وتلقائية. حزن جار النبي يشبه النهر، قد يقود القارئ إلى الغرق فى النهاية، لكنه فى الوقت نفسه يمكن أن يهديه وردة، فى إشارة

إلى قدرته على الجمع بين الألم والجمال داخل المشهد الواحد.

ومن أكثر ما يميز عالم جار النبي الحلو أنه يستطيع جمع تفاصيل تبدو فى البداية

عادية أو غير مهمة، مثل وردة ونهر ومعة وبطانية وينطلون ومرتبعة، ثم يضعها داخل المشهد بطريقة تجعلها تكتسب حياة

جديدة.

حدث موقف طريف مع إحدى قريباتي، عندما أخبرتها بأننى ذاهبة للمشاركة في ندوة عن جار النبي الحلو، حيث وجدت نفسى أمام سؤال ساخر حول جدوى الذهاب إلى مثل هذه الفعاليات.

هذا الموقف جعلنى أتساءل عن دور الكاتب في جعل الكتابة والقراءة قريبتين من الناس العاديين، وهم الفئة التى ظل جار النبي الحلو يكتب عنها طوال تجربته الأدبية.

الشخصيات العادية فى أعمال «جار» غالباً ما تتحرك فى عالم تحكمه الاحتياجات المادية والرغبات اليومية، وهذا دفعنى إلى

التفكير فى مسئولية الكتاب تجاه إيصال قيمة الأدب إلى هؤلاء الناس، وكيف يمكن أن تصبح المشاركة فى ندوة أدبية أو الذهاب لمناقشة رواية فعلاً من أفعال الحبة، حتى لو لم يكن وراءها أى مقابل مادي.

الحبة نفسها يمكن أن تكون دافعاً كافياً

للقراءة والاستماع والتعرف إلى عالم كاتب

أثر فى القارئ. تجربة جار النبي الحلو كانت بالنسبة إلى جزءاً من هذا الأثر، خصوصاً

أننى تعرفت إلى كتاباته خلال سنوات الجامعة.

والحزن عند جار النبي لا يأتى بصورة صاخبة أو مباشرة، وإنما يتحرك بنعومة

وتلقائية. حزن جار النبي يشبه النهر، قد يقود القارئ إلى الغرق فى النهاية، لكنه فى الوقت نفسه يمكن أن يهديه وردة، فى إشارة

إلى قدرته على الجمع بين الألم والجمال داخل المشهد الواحد.

ومن أكثر ما يميز عالم جار النبي الحلو أنه يستطيع جمع تفاصيل تبدو فى البداية

عادية أو غير مهمة، مثل وردة ونهر ومعة وبطانية وينطلون ومرتبعة، ثم يضعها داخل المشهد بطريقة تجعلها تكتسب حياة

جديدة.

حدث موقف طريف مع إحدى قريباتي، عندما أخبرتها بأننى ذاهبة للمشاركة في ندوة عن جار النبي الحلو، حيث وجدت نفسى أمام سؤال ساخر حول جدوى الذهاب إلى مثل هذه الفعاليات.

هذا الموقف جعلنى أتساءل عن دور الكاتب في جعل الكتابة والقراءة قريبتين من الناس العاديين، وهم الفئة التى ظل جار النبي الحلو يكتب عنها طوال تجربته الأدبية.

الشخصيات العادية فى أعمال «جار» غالباً ما تتحرك فى عالم تحكمه الاحتياجات المادية والرغبات اليومية، وهذا دفعنى إلى

التفكير فى مسئولية الكتاب تجاه إيصال قيمة الأدب إلى هؤلاء الناس، وكيف يمكن أن تصبح المشاركة فى ندوة أدبية أو الذهاب لمناقشة رواية فعلاً من أفعال الحبة، حتى لو لم يكن وراءها أى مقابل مادي.

الحبة نفسها يمكن أن تكون دافعاً كافياً

للقراءة والاستماع والتعرف إلى عالم كاتب

أثر فى القارئ. تجربة جار النبي الحلو كانت بالنسبة إلى جزءاً من هذا الأثر، خصوصاً

أننى تعرفت إلى كتاباته خلال سنوات الجامعة.

والحزن عند جار النبي لا يأتى بصورة صاخبة أو مباشرة، وإنما يتحرك بنعومة

وتلقائية. حزن جار النبي يشبه النهر، قد يقود القارئ إلى الغرق فى النهاية، لكنه فى الوقت نفسه يمكن أن يهديه وردة، فى إشارة

إلى قدرته على الجمع بين الألم والجمال داخل المشهد الواحد.

ومن أكثر ما يميز عالم جار النبي الحلو أنه يستطيع جمع تفاصيل تبدو فى البداية

عادية أو غير مهمة، مثل وردة ونهر ومعة وبطانية وينطلون ومرتبعة، ثم يضعها داخل المشهد بطريقة تجعلها تكتسب حياة

جديدة.

حدث موقف طريف مع إحدى قريباتي، عندما أخبرتها بأننى ذاهبة للمشاركة في ندوة عن جار النبي الحلو، حيث وجدت نفسى أمام سؤال ساخر حول جدوى الذهاب إلى مثل هذه الفعاليات.

هذا الموقف جعلنى أتساءل عن دور الكاتب في جعل الكتابة والقراءة قريبتين من الناس العاديين، وهم الفئة التى ظل جار النبي الحلو يكتب عنها طوال تجربته الأدبية.

الشخصيات العادية فى أعمال «جار» غالباً ما تتحرك فى عالم تحكمه الاحتياجات المادية والرغبات اليومية، وهذا دفعنى إلى

التفكير فى مسئولية الكتاب تجاه إيصال قيمة الأدب إلى هؤلاء الناس، وكيف يمكن أن تصبح المشاركة فى ندوة أدبية أو الذهاب لمناقشة رواية فعلاً من أفعال الحبة، حتى لو لم يكن وراءها أى مقابل مادي.

الحبة نفسها يمكن أن تكون دافعاً كافياً

للقراءة والاستماع والتعرف إلى عالم كاتب

أثر فى القارئ. تجربة جار النبي الحلو كانت بالنسبة إلى جزءاً من هذا الأثر، خصوصاً

أننى تعرفت إلى كتاباته خلال سنوات الجامعة.

والحزن عند جار النبي لا يأتى بصورة صاخبة أو مباشرة، وإنما يتحرك بنعومة

وتلقائية. حزن جار النبي يشبه النهر، قد يقود القارئ إلى الغرق فى النهاية، لكنه فى الوقت نفسه يمكن أن يهديه وردة، فى إشارة

إلى قدرته على الجمع بين الألم والجمال داخل المشهد الواحد.

ومن أكثر ما يميز عالم جار النبي الحلو أنه يستطيع جمع تفاصيل تبدو فى البداية

عادية أو غير مهمة، مثل وردة ونهر ومعة وبطانية وينطلون ومرتبعة، ثم يضعها داخل المشهد بطريقة تجعلها تكتسب حياة

جديدة.

حدث موقف طريف مع إحدى قريباتي، عندما أخبرتها بأننى ذاهبة للمشاركة في ندوة عن جار النبي الحلو، حيث وجدت نفسى أمام سؤال ساخر حول جدوى الذهاب إلى مثل هذه الفعاليات.

هذا الموقف جعلنى أتساءل عن دور الكاتب في جعل الكتابة والقراءة قريبتين من الناس العاديين، وهم الفئة التى ظل جار النبي الحلو يكتب عنها طوال تجربته الأدبية.

الشخصيات العادية فى أعمال «جار» غالباً ما تتحرك فى عالم تحكمه الاحتياجات المادية والرغبات اليومية، وهذا دفعنى إلى

التفكير فى مسئولية الكتاب تجاه إيصال قيمة الأدب إلى هؤلاء الناس، وكيف يمكن أن تصبح المشاركة فى ندوة أدبية أو الذهاب لمناقشة رواية فعلاً من أفعال الحبة، حتى لو لم يكن وراءها أى مقابل مادي.

الحبة نفسها يمكن أن تكون دافعاً كافياً

للقراءة والاستماع والتعرف إلى عالم كاتب

أثر فى القارئ. تجربة جار النبي الحلو كانت بالنسبة إلى جزءاً من هذا الأثر، خصوصاً

أننى تعرفت إلى كتاباته خلال سنوات الجامعة.

والحزن عند جار النبي لا يأتى بصورة صاخبة أو مباشرة، وإنما يتحرك بنعومة

وتلقائية. حزن جار النبي يشبه النهر، قد يقود القارئ إلى الغرق فى النهاية، لكنه فى الوقت نفسه يمكن أن يهديه وردة، فى إشارة

إلى قدرته على الجمع بين الألم والجمال داخل المشهد الواحد.

ومن أكثر ما يميز عالم جار النبي الحلو أنه يستطيع جمع تفاصيل تبدو فى البداية

عادية أو غير مهمة، مثل وردة ونهر ومعة وبطانية وينطلون ومرتبعة، ثم يضعها داخل المشهد بطريقة تجعلها تكتسب حياة

جديدة.

حدث موقف طريف مع إحدى قريباتي، عندما أخبرتها بأننى ذاهبة للمشاركة في ندوة عن جار النبي الحلو، حيث وجدت نفسى أمام سؤال ساخر حول جدوى الذهاب إلى مثل هذه الفعاليات.

هذا الموقف جعلنى أتساءل عن دور الكاتب في جعل الكتابة والقراءة قريبتين من الناس العاديين، وهم الفئة التى ظل جار النبي الحلو يكتب عنها طوال تجربته الأدبية.

الشخصيات العادية فى أعمال «جار» غالباً ما تتحرك فى عالم تحكمه الاحتياجات المادية والرغبات اليومية، وهذا دفعنى إلى

التفكير فى مسئولية الكتاب تجاه إيصال قيمة الأدب إلى هؤلاء الناس، وكيف يمكن أن تصبح المشاركة فى ندوة أدبية أو الذهاب لمناقشة رواية فعلاً من أفعال الحبة، حتى لو لم يكن وراءها أى مقابل مادي.

الحبة نفسها يمكن أن تكون دافعاً كافياً

للقراءة والاستماع والتعرف إلى عالم كاتب

أثر فى القارئ. تجربة جار النبي الحلو كانت بالنسبة إلى جزءاً من هذا الأثر، خصوصاً

أننى تعرفت إلى كتاباته خلال سنوات الجامعة.

والحزن عند جار النبي لا يأتى بصورة صاخبة أو مباشرة، وإنما يتحرك بنعومة

وتلقائية. حزن جار النبي يشبه النهر، قد يقود القارئ إلى الغرق فى النهاية، لكنه فى الوقت نفسه يمكن أن يهديه وردة، فى إشارة

إلى قدرته على الجمع بين الألم والجمال داخل المشهد الواحد.

ومن أكثر ما يميز عالم جار النبي الحلو أنه يستطيع جمع تفاصيل تبدو فى البداية

عادية أو غير مهمة، مثل وردة ونهر ومعة وبطانية وينطلون ومرتبعة، ثم يضعها داخل المشهد بطريقة تجعلها تكتسب حياة

جديدة.

حدث موقف طريف مع إحدى قريباتي، عندما أخبرتها بأن

فاز الكاتب الماليزي الأسترالي عمر موسى، بجائزة مايلز فرانكلين، الأدبية لعام 2026، إحدى أرفع الجوائز الأدبية في أستراليا، والبالغة قيمتها 60 ألف دولار، عن روايته Fierceland، التي تطرح من خلال حكاية أسرة واحدة أسئلة معقدة عن الإرث والاستعمار والتواطؤ والمسئولية الأخلاقية. وبهذه المناسبة، أجرت صحيفة ABC الأسترالية مع عمر موسى حوارًا حول خلفيات كتابة الرواية، ورؤيته للقضايا التي تطرحها، وترجمه حرف، في السطور التالية.

حوار: نيكولا هيث

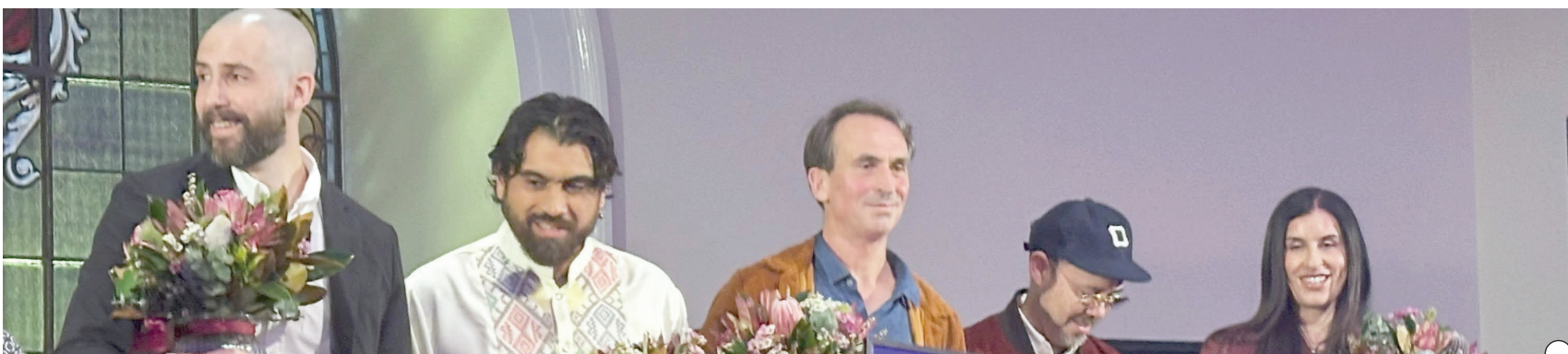
ترجمة: سماح ممدوح حسن

قبل أن ننقرض

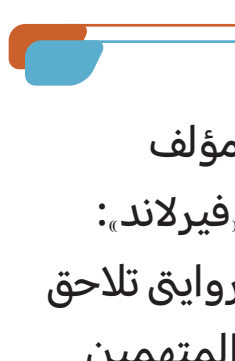
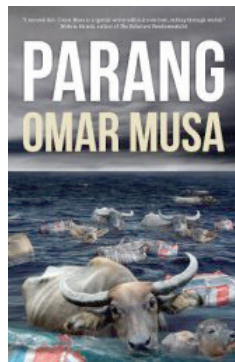
الروائي الأسترالي عمر موسى : أثرياء العالم يهددون الحياة على الأرض بتدمير الغابات طمعًا في المليارات

ويشير «موسى» إلى أن «الغابة تظهر في بداية الرحلة بوصفها مكانًا ساحرًا ينبض بالحياة، حيث يجذب الأب وطفلاه إلى جمال الطبيعة وسكونها. لكن هذا الانبهار لا يدوم طويلًا، إذ يكتشف روز وهارون أن الهدف الحقيقي من الرحلة ليس حماية الغابة أو الاستمتاع بها، إنما استغلالها وقطع أشجارها في إطار مشروعات تهدف إلى تحقيق أرباح كبيرة»، ويضيف أن هذا هو الاكتشاف الذي يشكل نقطة تحول رئيسية في مسار الرواية.

يرى «موسى» أن هذه اللحظة تمثل بداية الصراع الحقيقي، «عندما تتعارض مصالح يوسف منصور مع الأشخاص الذين يحاولون حماية الغابة ومنع تدميرها، وهو ما يدفع الأحداث إلى التصاعد ويكشف عن الجوانب المختلفة لشخصيات الرواية».



عمر موسى يتسلم جائزة «مايلز فرانكلين» الأدبية لعام ٢٠٢٦



مؤلف

«فيرلاند»:

روايي تلاحق

المتهمين

بتدمير الغابات

المطيرة

وتهجير سكانها

الأصليين



1 عمل استثنائي

يقول عمر موسى عن هذا التتويج إنه «يفوق كل التوقعات»، معربًا عن سعادته الكبيرة بحصول عمله على هذا التقدير إلى جانب أعمال نخبة من الكتاب. وأضاف، «عمر، أن هذا الفوز لا يخصه وحده، بل يُمثل أيضًا اعترافًا بجهود كل من أسهموا في خروج الرواية الفائزة إلى النور، مشيرًا إلى أن «الصورة النمطية للكاتب الذي يعمل في عزلة تامة ويُنجز كتابه بمفرده لا تعكس الواقع»، مؤكدًا أن وراء كل عمل أدبي ناجح فريقًا من الأشخاص الذين يقدمون الدعم والمساندة في مراحل مختلفة من رحلته.

وتُعد «فيرلاند» Fierceland، الرواية الثانية للكاتب عمر موسى، الذي لا يقتصر نشاطه على الكتابة، بل يعمل أيضًا في موسيقى «الهيپ هوب» والفنون البصرية، وسبق أن فاز ببطولة أستراليا في مسابقات الشعر الإلقائي Slam Poetry، كما

حصلت الرواية أيضًا جائزة فيكتوريا الأولى للرواية لعام ٢٠٢٦.

تدور أحداث رواية «فيرلاند» حول شقيقين، «روز» و«هارون»، نشأ في مدينة كوتا كينابالو بجزيرة بورنيو الماليزية، وهما ابنا واحد من أكبر رجال الأعمال في صناعة زيت النخيل. وبعد سنوات من الابتعاد، يعود الشقيقان إلى ماليزيا لحضور جائزة والدهما، لتتحوّل رحلة العودة إلى مواجهة مؤلمة مع إرثه الشخصي والمهني.

ومن خلال هذه العودة، تنكشف أمامهما التناقضات التي طبعت حياة الأب، الذي انتشل أسرته من الفقر وحقق ثروة هائلة وفُرت لأبنائه حياة مرفهة، لكن في الوقت نفسه ارتبطت أعماله بتدمير مساحات واسعة من الغابات المطيرة وتهجير سكانها الأصليين.

وبين ذكريات الطفولة وحقائق الماضي، يجد الشقيقان نفسيهما أمام أسئلة معقدة تتعلق بالإرث العائلي والمسئولية الأخلاقية وحدود التواطؤ مع أنظمة تقوم على الاستغلال، وهي القضايا التي تشكل جوهر الرواية.

وأشادت لجنة تحكيم جائزة «مايلز فرانكلين» بالرواية، ووصفتها بأنها «عمل أدبي استثنائي، تدور أحداثه على خلفية التدمير الذي طال الغابات المطيرة في بورنيو، بعدما أزيلت مساحات واسعة منها لإفساح المجال أمام مزارع زيت النخيل.

ورأت لجنة التحكيم أن الغابة تمثل محور الرواية وقلبيها النابض، وأن أسلوب «موسى» المميز يمنحها حضورًا قويًا يعكس روح المقاومة. كما اعتبرت أن الرواية تقدم رحلة تجمع بين الخلاص الشخصي والحفاظ على البيئة، مستلهمة التراث السردى الملايوي «الحكايات»، لكنها تقدمه في قالب روائي أسترالي معاصر.

ونشأ عمر موسى في مدينة كوينيبان، القريبة من العاصمة الأسترالية الاتحادية كانبرا، لأم أسترالية تعمل في المسرح والصحافة الثقافية، وأب ماليزي تعرّفت إليه عندما سافرت إلى ماليزيا لإخراج أول

نسخة باللغة الملايوية من مسرحية «هاملت»، وكان هو بطل العرض.

ورغم أن «موسى» زار جزيرة بورنيو عدة مرات في طفولته، فإنه لم يتقرب من عائلته الماليزية إلا بعد أن كبر. ومنذ أوائل عشريناته، أصبح يزور ماليزيا مرة واحدة على الأقل كل عام، قبل أن ينتقل لاحقًا للإقامة في مدينة كوتا كينابالو بولاية «صباح»، مستقط رأس والده في شرق بورنيو الماليزية.

ووصف تلك التجربة بأنها كانت ثرية وملينة بالمشاعر المتناقضة: «تجربة جمعت بين المواجهة والارتباك والاكتشاف لكنها كانت ضرورية بالنسبة لي، ليس على المستوى الشخصي فقط، بل أيضًا لإنجاز رواية فيرلاند».

وكانت رواية عمر موسى الأولى، Here Come the Dogs، التي وصلت إلى القائمة الطويلة لجائزة مايلز فرانكلين عام ٢٠١٥، مستوحاة من طفولته ونشأته في الضواحي الأسترالية، حيث تناولت قضايا العلاقات العرقية وما يراود توترات كامنة داخل المجتمع الأسترالي.

وأوضح «موسى» أنه بعد الانتهاء من تلك الرواية، شعر برغبة في توجيه اهتمامه نحو أرخبيل ماليزيا واندونيسيا، لاكتشاف جذوره العائلية وتاريخه الشخصي.

وأوضح «موسى» أنه كان يخطط في البداية لكتابة ملحمة بحرية تدور أحداثها بين جزر أرخبيل ماليزيا واندونيسيا، وتتناول فكرة الحدود المفتوحة والروابط التي تجمع شعوب المنطقة، لكن مع تطور عملية الكتابة، وجد نفسه ينجذب أكثر إلى غابات وانهار جزيرة بورنيو، لتصبح الطبيعة والصراع الدائر حولها محورًا رئيسيًا للرواية.

2 مأساة زيت النخيل

تسلط «فيرلاند» الضوء على صناعة زيت النخيل، التي انتقلت من غرب إفريقيا إلى جنوب شرق آسيا خلال سبعينيات القرن الماضي، قبل أن تتحول إلى واحدة من أهم الصناعات في المنطقة. ورغم ما حققته من عوائد اقتصادية وفرص عمل، فإنها تعرضت لانتقادات واسعة بسبب ارتباطها بإزالة المساحات من الغابات المطيرة والإضرار بالنظم البيئية وحقوق المجتمعات المحلية.

ويرى «موسى» أن «هذه الانتقادات تستند إلى وقائع حقيقية، لكنه يؤكد أن القضية ليست أحادية الجانب، إذ استفادت منها أيضًا آلاف الأسر التي تمكنت من تحسين أوضاعها المعيشية بفضل هذه الصناعة. ومن هذا المنطلق، سعى في روايته إلى تقديم رؤية أكثر توازنًا وتعقيدًا بعيدًا عن الأحكام المطلقة، كاشفًا عن التداخل بين المصالح الاقتصادية والتكاليف الإنسانية والبيئية.

وأشار «موسى» إلى أن صناعة زيت النخيل تحظى بسمعة سيئة في الدول الغربية، وهو أمر يراه مبررًا إلى حد كبير، لأن «إزالة الغابات المطيرة الأصلية واستبدالها بمزارع أحادية المحصول يُعد من أكثر الممارسات تدميرًا للبيئة، خاصة في ظل ما يواجهه العالم من أزمات بيئية متفاقمة».

لكنه شدّد على أن للقضية وجهًا آخر لا يقل أهمية، موضحًا أن صناعة زيت النخيل أسهمت في تحسين

حياة كثير من الأسر الماليزية ومن بينها أسرته، يقول: «وفرت فرص عمل ومصدر دخل مكن آلاف العائلات في المناطق الريفية من الخروج من دائرة الفقر».

وأشار إلى أن هذه التجربة ليست بعيدة عن حياته

الشخصية، فوالده كان واحدًا من تسعة أشقاء، بينما كان هو الوحيد بين أبناء عمومته الذي نشأ في أستراليا. أما معظم أفراد عائلته في ماليزيا، فقد عملوا لسنوات في مزارع نخيل الزيت بولاية «صباح»، الأمر الذي منحه فهمًا مباشرًا لتأثير هذه الصناعة على حياة الناس، بعيدًا عن الصور النمطية والأحكام المسبقة.

وأوضح أنه خلال زيارته إلى ولاية «صباح» في طفولته، كان يقضي وقتًا في تلك المزارع، ما أتاح له «التعرف عن قرب على طبيعة الحياة التي يعيشها العاملون فيها».

ويرى «موسى» أن ارتباطه الشخصي بصناعة زيت النخيل، بما تحمله من جدل وتعييدات، منحه منظورًا مختلفًا لفهمها. ويوضح أنه كثيرًا ما قرأ عن «عالي قطع الأشجار وزراعة نخيل الزيت في الكتب والدراسات غير الروائية»، لكنه لم يجد عملاً أدبيًا يتناول هذه القضايا من منظور إنساني، سواء في الأدب الماليزي أو في الروايات التي تدور أحداثها في جزيرة بورنيو.

ومن هنا جاءت فكرة روايته «فيرلاند»، التي تدور حول أسرة مكونة من ٤ أفراد: الأب يوسف والأم جناب وبينهما «روز» و«هارون»، ومن خلال هذه الأسرة، يستكشف «موسى» التناقضات التي تحيط بصناعة زيت النخيل، وما تطرحه من أسئلة حول الثروة والسلطة والإرث العائلي والمسئولية الأخلاقية، في إطار يجمع بين الدراما العائلية والقضايا البيئية والإنسانية.

وُلد «يوسف» الأب في أسرة فقيرة، وفقد والديه وهو في السابعة من عمره، لكنه استطاع بفضل عمله الدؤوب أن يحقق ثروة كبيرة وفُرت لأبنيه حياة تنعم بامتيازات واسعة.

إلا أن نجاحه الاقتصادي جاء بثمن باهظ، إذ ارتبطت استثماراته بتدمير مساحات شاسعة من الغابات المطيرة وتهجير السكان الذين كانوا يعيشون فيها.

ومع مرور السنوات، يجد «روز» و«هارون»، نفسيهما في مواجهة حقيقة معقدة عن والدهما، إذ يحاولان التوفيق بين صورته كأب محب وفر لأسرته حياة مستقرة ومرفهة، وبين دوره كرجل أعمال حقق ثروته من خلال مشروعات تركت آثارًا سلبية على البيئة والمجتمعات المحلية. ويفقداهما هذا الصراع إلى إعادة النظر في إرث والدهما، والتساؤل عن الحدود الفاصلة بين النجاح الشخصي والثمن الذي يدفعه الآخرون.

ويؤكد «موسى» أن «الرواية لا تقتصر على سرد قصة عائلية، بل تطرح أسئلة أوسع تتعلق بالامتياز والمسئولية والتواطؤ، فمن خلالها يحاول استكشاف الكيفية التي يصبح بها الأفراد جزءًا من أنظمة اقتصادية واجتماعية تقوم على الاستغلال، سواء بإرادتهم أو بحكم الظروف التي يعيشونها، تاركًا للقارئ مهمة التفكير في مدى مسئولية الإنسان عن الأفعال التي يستفيد منها، حتى وإن لم يكن طرفًا مباشرًا فيها».

تبدأ أحداث الرواية عام ١٩٩٨ عندما يصطحب يوسف ابنيه، «روز» و«هارون»، في رحلة إلى أعماق غابات بورنيو. وتبدأ الرحلة في البداية وكأنها مغامرة عائلية مليئة بالاكشاف، لكنها سرعان ما تتحول إلى تجربة قاسية، بعدما يشهد الطفلان حادثًا صادمًا يترك أثرًا عميقًا في نفسيهما، ويغير نظرتهما إلى والدهما وإلى العالم من حولهما.

الغابة ليست

مجرد

مورد يمكن

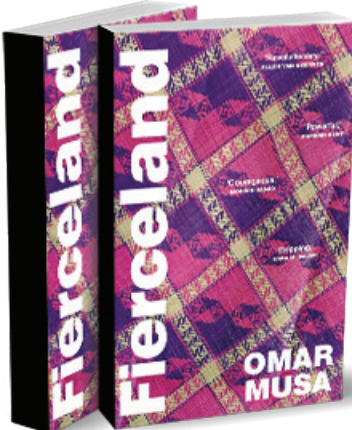
استغلاله بل

كيان حي

يمتلك روحه

ويستحق

الاحترام



3 من كوالامبور للوس أنجلوس

لا تقتصر «فيرلاند» على سرد الأحداث من وجهة نظر «روز» و«هارون»، بل تمنح الفرصة لعدد من الشخصيات الأخرى لرواية جانب من القصة، مع بينها عمهما «عبد الحميد»، والمساعد المقرب لوالدهما جبريل، وصديقة العائلة المعروفة باسم «الخالة المجنونة». كما تمنح الرواية الغابة نفسها صوتًا خاصًا، لتصبح جزءًا من السرد وكأنها إحدى شخصيات العمل، تعبر عن نفسها وما تتعرض له من تدمير.

ولا تقتصر أحداث «فيرلاند» على ماليزيا، بل تنتقل بين أماكن وأزمنة متعددة، من بينها نيجيريا في سبعينيات القرن الماضي والبنديفة في القرن التاسع عشر، ويلاط راجا باندانسان في غابات بورنيو. كما يظهر الروائي البريطاني جوزيف كونراد في أحد مشاهد الرواية، في إشارة إلى أعماله الأدبية التي استلهم بعضها جزيرة بورنيو.

ويؤكد موسى أن «فيرلاند» جاءت ردًا على رواية «قلب الظلام»، للكاتب جوزيف كونراد. حيث يرى أن كونراد قدّم الغابة مجرد خلفية لأحداث الشخصيات الأوروبية، بينما أراد هو أن يجعلها بطلًا رئيسيًا في الرواية، لها صوتها وحضورها وقيمتها الخاصة.

ويقول إن هدفه كان التأكيد أن الغابة ليست مجرد مورد يمكن استغلاله، بل كيان حي يمتلك روحه وإرادته ويستحق الاحترام، ولذلك منحها صوتًا داخل الرواية، كما حرص على أن تتحدث الشخصيات المحلية عن نفسها، بأسمائها وحياتها وتعقيداتها الإنسانية، بدلًا من أن تبقى مجرد حضور هامشي في خلفية السرد.

وتنتقل أحداث «فيرلاند» بين ماليزيا وأستراليا، في تأكيد على الروابط التي تجمع البلدين، فالرواية تبدأ وتعارف والدي «روز» و«هارون»، خلال الدراسة في مدينة أديلايد، حيث كان يوسف يدرس بمنحة ضمن خطة كولومبو، ثم تنتقل لاحقًا إلى سيدني، التي أصبحت مركزًا لأعماله التجارية، وفيها يدرس

ابنائه في مدارس خاصة. وبعد تخرجهما في المدرسة الثانوية، ينتقل «هارون» إلى لوس أنجلوس، بينما تبقى «روز» في سيدني، على سبيل لتحقيق حلمها في العمل بالفن. وخلال رحلة من «سيدني» إلى كوالالمبور، تجلس إلى جوار رجل يفاجئها بمعرفته الواسعة بأستراليا، فتتحدث معه عن نظرة كثير من الأستراليين إلى ماليزيا، قائلًا إن اهتمامهم بها غالبًا ما يقتصر على المطبخ الماليزي، دون معرفة حقيقية بتاريخها أو ثقافتها.

ويرى «موسى» أنه خلال العشرين أو الخمسة والعشرين عامًا الماضية، عاد بعض الأستراليين إلى تبني نظرة قديمة تقليدية لأستراليا، تقوم على اعتبارها دولة معزولة تخشى محيطها الإقليمي، وهو ما يصفه بأنه تغير مؤسف.

ويؤكد «موسى» أنه لا يعتبر تسمينيات القرن الماضي فترة مثالية، لكنه يرى أنها شهدت جهودًا أكبر لتعزيز افتتاح أستراليا على محيطها في آسيا والمحيط الهادئ، وترسيخ فكرة أنها جزء من هذه المنطقة، وليست دولة منفصلة عنها.

ويشير إلى أن هذا البعد في الرواية يكتسب أهمية خاصة في ظل النقاشات المتجددة حول التعددية الثقافية. إذ يسهم في إعادة النظر إلى هذه القضية من زاوية مختلفة، من خلال إبراز الروابط التاريخية والثقافية التي تجمع أستراليا بجوارها الآسيوي.



حرب على الإنسان

شركات ذكاء اصطناعي تشتري الكتب النادرة

والمستعملة وتدمرها ليصبح الـ AI الكاتب الوحيد

النسخة الرقمية الوحيدة تحت سيطرة شركة خاصة تعمل في مجال الذكاء الاصطناعي، فقد لا يعود لدى الجمهور وسيلة مستقلة لمعرفة ما إذا كان الملف كاملاً، أم جرى تعديله، أو ما إذا كان سيُحفظ بصورة دائمة، أو ما إذا كان سيظل متاحاً يوماً ما لأي شخص من خارج الشركة. لا يعني هذا بالضرورة أن شركات الذكاء الاصطناعي ستعيد كتابة التاريخ أو تعتمد تحريفه، وإنما يُطرح سؤال يتعلق بمن يمتلك مفاتيح الوصول إلى المعرفة ومن يملك القدرة على حفظها أو حجبها. فالمجتمع لا ينبغي أن يبني نظاماً لحفظ الذاكرة والمعرفة الإنسانية يعتمد بالكامل على التنظيم الذاتي لشركات خاصة، مهما بلغت قدرتها التقنية. لأن المعرفة التي يمكن الوصول إليها عبر نموذج ذكاء اصطناعي ليست بالضرورة معرفة يمكن الرجوع إلى أصلها أو التحقق منها؛ وقد يصبح الفرق بين الأمرين، في المستقبل، فرقا بين الوصول إلى الإجابة وامتلاك الحقيقة التي تستند إليها.

5 القيمة الثقافية للكتاب

تري كاثرين جيمس، أمانة الكتب النادرة في مكتبة ليليان جولدمان للقانون بجامعة ييل، في مقال لها بصحيفة «الجارديان»، إن شركة Anthropic وجدت في «السلع الإثلافي» حلاً لمعضلة الحصول على كميات ضخمة من النصوص عالية الجودة لتدريب نموذجها «كلود»، بدلاً من الدخول في التعقيدات القانونية والتجارية المرتبطة بحقوق النشر.

ولا تعتقد جيمس أن المشكلة تقتصر على مصير الكتب التي تدمرتها الشركة بل تحذر من أن تتحول هذه الممارسة إلى نموذج تبنينا شركات الذكاء الاصطناعي الأخرى، خصوصاً في ظل اتساع نطاق ميدا الاستخدام العادل في تفسير استخدام الكتب لتدريب النماذج. فبينما قد يُنظر إلى النسخة الرقمية بوصفها مجرد صيغة جديدة للمحتوى، فإن الكتاب، في نظرها، يحمل قيمة ثقافية تتجاوز النص الذي يحتويه؛ إذ يمثل شيئاً قراء البشر واحتفظوا به وأعادوا قراءته وحفظوه وتناقلوه عبر الأجيال. ومن هنا، ترى أن الخطر يتمثل في أن تتنازل تدريجياً عن وسائل إنتاج وحفظ حياتنا الثقافية واللغوية لصالح نماذج الذكاء الاصطناعي ومايكها، فننتقل من كوننا مبدعين وكتّاباً وقراء إلى مجرد مستهلكين للمحتوى الذي تنتجه هذه النماذج.

6 الحاجة إلى ضمانات

يرصد تقرير Semi Vision مجموعة من الضمانات التي تحول دون فقدان جزء من الذاكرة الإنسانية أثناء عملية الرقمنة، في مقدمتها رقمنة الكتب النادرة، والأعمال التي نفذت طبعاتها، والوثائق التاريخية، والمواد المكتوبة بلغات الأقليات، والكتب التي لم يبق منها سوى عدد محدود من النسخ، باستخدام وسائل غير إتلافية. كما ينبغي للجهات التي تشتري الكتب بكميات كبيرة أن تفصح عن أعداد ما اقتنته، ومصادره، وبكيفية التعامل معه. وقبل إتلاف أي كتاب، ينبغي للشركات مراجعة قواعد بيانات المكتبات والسجلات الأرشيفية للتأكد من ندرة الطبعة أو عدم وجود نسخ أخرى منها. كما يجب إيداع نسخة محفوظة من كل ملف رقمي لدى مكتبة عامة أو مؤسسة أرشيفية موثوقة، إلى جانب وضع آليات شفافة لترخيص المحتوى، وتعويض المؤلفين والناشرين، ومنح أصحاب الحقوق إكمانية استبعاد أعمالهم إذا رغبوا في ذلك.

ومن دون مثل هذه الضمانات، قد يتحول الوعد الذي ترفعه صناعة الذكاء الاصطناعي بالحفظ الرقمي إلى عملية حفظ النصوص التي تحتاج إليها النماذج، بينما تدمر الأثر المادي والتاريخي الذي تحتاج إليه البشرية.

رقمية خاصة، واستخدام محتوها في تطوير أنظمة الذكاء الاصطناعي. وهذا الاحتمال قد يسرع بصورة كبيرة عمليات شراء الكتب وتدميرها.

3 إشكالية القيمة

تشير التقارير إلى أن بعض بائعي الكتب لاحظوا انهماكاً غير معتادة من الشراء بكميات كبيرة. إذ يعيد المشترون إلى اقتناء الكتب دون إبداء اهتمام يذكر بموضوعاتها أو أسعارها. كما تشمل طلباتهم كتباً نفدت طبعاتها، وأخرى بلغات أجنبية، وأعمالاً قليلة التداول نسبياً. وأشار أحد بائعي الكتب، وفقاً للتقارير، إلى أن مبيعاته ارتفعت من أقل من عشرين كتاباً أسبوعياً إلى عدة مئات من الكتب.

ومع ذلك، فإن الأدلة المتوافرة لا تثبت أن شركات الذكاء الاصطناعي تبحث بصورة منهجية عن آخر النسخ الباقية من الكتب النادرة حول العالم لتدميرها. فالعديد من الكتب التي تشتري قد تكون مجرد نسخ مستعملة عادية، أو فائضاً من المخزون، أو عناوين لا تزال متوافرة على نطاق واسع في المكتبات والمجموعات الخاصة.

أما الخطر الأكبر، حسبما يشير موقع Semi Vision، فيمكن أن تكون سلسلة شراء الكتب ورقمنتها تبدو مفتقرة إلى آليات كافية لتحديد القيمة الثقافية أو التاريخية للكتب. فعندما تُعالج مئات الآلاف أو ملايين الكتب، لا يمكن عملياً لعمال المستودعات التحقق من مدى توافر كل كتاب عالمياً، أو تاريخ طبعته، أو أهميته الأرشيفية، أو خصائصه المادية الفريدة.

لذلك، ما دام الكتاب متاحاً بسعر مناسب وقابلًا للمسح الضوئي، فقد يجد كتاب مجهول في التاريخ المحلي، أو منشور بلغة أقلية، أو إصدار لدار نشر صغيرة، أو نسخة تحمل تعليقات وهوامش بخط اليد، أو عمل نفدت طبعاته ولم يعد متداولاً، نفسه داخل آلة التقطيع إلى جانب الكتب التجارية العادية.

4 مخاوف مشروعة

تتمثل إحدى أبرز المخاوف التي تثيرها هيمنة شركات الذكاء الاصطناعي على الكتب والذاكرة البشرية في أنه عندما تختفى المعرفة من المجال العام وتُمنع داخل نموذج مملوك لشركة خاصة، قد يظل الناس قادرين على طرح أسئلة على الذكاء الاصطناعي بشأن تلك المعرفة، لكنهم قد لا يعودون قادرين على الرجوع إلى مصدرها الأصلي والتحقق منها. وبذلك نكسب نموذجاً قادراً على تقديم الإجابات، لكننا نخسر الدليل الذي يتيح لنا اختبار مدى صحتها.

ويشير التقرير المنشور على موقع «Semi Vision»، إلى أن الكتب الورقية، بخلاف المحتوى الرقمي، تتوزع في أماكن متعددة، ولا تعتمد على الاتصال بالإنترنت. كما يصعب تعديلها أو محوها عن بعد، وهو ما يجعلها أكثر قدرة على الصمود بوصفها سجلات تاريخية. وحتى إذا حذف محتوى من منصة رقمية أو أغلقت شركة أبوابها، يمكن أن تظل نسخ ورقية أخرى شاهدة على ما كتبت في الأصل. أما إذا دُمّرت النسخة الورقية الأصلية، وأصبحت

الأسلوب. يقود هذا الوضع، حسبما يصف كاتب التقرير، إلى مفارقة تخص هذا العصر وهي: لكي يتجنب الذكاء الاصطناعي أن يصبح اصطناعياً بصورة واضحة، فإنه لا يزال بحاجة إلى التغذي على الفكر الإنساني الأصل.

كل كتب العالم أحد أبرز الأمثلة على شراء الكتب على نطاق صناعي واسع ما قامت به شركة Anthropic. فقد حصلت الشركة سابقاً على ملايين الكتب الإلكترونية من مكتبات رقمية غير مرخصة. لكن عام ٢٠٢٤ سكت مساراً آخر يُنظر إليه على أنه أقل مخاطرة من الناحية القانونية، إذ استعانت بمسئول سابق في جوجل، وذلك بهدف مُعلن تمثّل في السعي إلى الحصول على كل كتاب في العالم.

أنفقت Anthropic لاحقاً ملايين الدولارات لشراء الكتب الورقية، وكان كثير منها نسخاً مستعملة. وتولت شركات متخصصة إزالة أغلفة الكتب، وفصل صفحاتها عن الأغلفة، ثم مسحها ضوئياً وتحويلها إلى ملفات «بي دي إف» قابلة للبحث، قبل التخلص من النسخ الورقية الأصلية، وبعد ذلك أودعت الملفات الرقمية في مكتبة الشركة، فيما يُحتمل أن يكون جزء من هذا المحتوى قد أدرج ضمن مجموعات البيانات المستخدمة في تدريب نماذج الذكاء الاصطناعي الخاصة بها.

كانت هذه التجربة بداية لسلسلة إمداد صناعية لبيانات الذكاء الاصطناعي، ففي هذه السلسلة يوفر تاجر الكتب المستعملة المخزون، وتحدد شركات بيانات الكتب العناوين المطلوبة وتشتريها، وتتولى شركات الخدمات اللوجستية جمعها ونقلها، وتقوم شركات المسح الضوئي بتفكيك الكتب ورقمنتها، وتحصل مختبرات الذكاء الاصطناعي في النهاية على نصوص قابلة للمعالجة آلياً لتدريب نماذجها.

2 البعد القانوني

حسبما يشير موقع Semi Vision، كانت محكمة أمريكية قد قضت في يونيو ٢٠٢٥ بأنه يمكن اعتبار استخدام الكتب في تدريب نموذج لغوي كبير استخداماً تحويلياً بدرجة كبيرة، ومن ثم قد يندرج ضمن مبدأ الاستخدام العادل.

خلصت المحكمة إلى أنه عندما تشتري شركة نسخة ورقية من كتاب بصورة قانونية، ثم تتلف تلك النسخة وتحفظ بنسخة رقمية واحدة للاستخدام الداخلي، دون زيادة العدد الإجمالي للنسخ أو توزيعها على أطراف خارجية، فإن هذا التحويل قد يُعد تغييراً مشروعاً في صيغة الحفظ.

لكن الحكم لم يقرر أن شركات الذكاء الاصطناعي يحق لها شراء أي كتاب وتدميره بحرية. فقد كان القرار صادراً عن محكمة فيدرالية جزئية، واستند إلى الوقائع والأدلة الخاصة بهذه القضية وحدها، ولم يكن قانوناً عاماً أقدر الكونجرس، كما أنه لم يرسخ مبدأ مفاده أن جميع أشكال تدريب نماذج الذكاء الاصطناعي أو رقمنة الكتب أصبحت قانونية تلقائياً.

يمكن مصدر القلق الحقيقي في أن هذا الحكم قد يفتح مساراً تجارياً جديداً، فمن خلال شراء نسخة ورقية من كتاب، قد تتمكن الشركة من اكتساب مساحة قانونية تتيح لها إتلاف النسخة الأصلية، والاحتفاظ بنسخة

كان خطر الكتب أو إحراقها إحدى التيمات الحاضرة في الروايات الديستوبية في القرن الماضي، مثل رواية 1984، لجورج أورويل، أو «فهرنهايت» لراي برادبري، لتجسيد الطغيان والرقابة. غير أن الجدل الذي أثارته ممارسات بعض شركات الذكاء الاصطناعي مؤخراً جعل هذا الخيال الأدبي يبدو أقرب إلى الواقع. وإن كان في سياق مختلف؛ فبدلاً من سلطات تحرق الكتب لمنع قراءتها، تتعلق القضية اليوم بشركات تشتري نسخاً ورقية منها، ثم تفككها وتمزق صفحاتها بعد رقمنتها. لتتحول من أوعية للمعرفة إلى بيانات تُستخدم في تدريب نماذج الذكاء الاصطناعي، وهو ما أثار جدلاً واسع النطاق حول مصير الكتاب في عصر الذكاء الاصطناعي.

تداولت تقارير صحفية ومقالات خلال الأيام الماضية أن بعض شركات الذكاء الاصطناعي اشترت آلاف الكتب الورقية، لا سيما الكتب المستعملة، والكتب التي نفدت طبعاتها، فضلاً عن الأعمال النادرة. ثم عمدت إلى تفكيكها ومسحها ضوئياً وتحويلها إلى بيانات رقمية تُستخدم في تدريب النماذج اللغوية، قبل التخلص من النسخ الورقية بإعادة تدويرها أو تمزيقها أو إلقائها في النفايات.



حنان عقيل

كان موقع Media ٤٠٤ قد أفاد بأن شركة ISBNdb المتخصصة في بيانات الكتب، تروّج لخدمات شراء الكتب الورقية على نطاق واسع لصالح شركات الذكاء الاصطناعي، في صفقات تتراوح بين آلاف الكتب وقد تصل إلى مليون كتاب، ووصفت الشركة الكتب المطبوعة بأنها مصدر موثوق للمعرفة البشرية، خضع للتحريرو والتنظيم، ويتمتع بموثوقية أكبر من البيانات التي تُجمع عشوائياً من الإنترنت، لكنها أقرت في الوقت نفسه بأن تدمير أعداد ضخمة من الكتب قد يثير ردود فعل سلبية ويضر بصورتها العامة، وأشارت إلى أنها قد تلجأ إلى اتفاقيات عدم إفصاح لإخفاء هوية الجهات التي تشتري هذه الكتب.

أثارت هذه الممارسات قلقاً واسعاً في الأوساط الثقافية وخوفاً من أن تختفى المعرفة من المجال العام لتصبح حكراً على شركات الذكاء الاصطناعي، حتى إن تقريراً نشره موقع Semi Vision وصفها بأنها «شكل حديث من إحراق الكتب، لكن في صورة رقمية».

1 لماذا الكتب القديمة؟

مع الانتشار السريع للذكاء الاصطناعي التوليدي في أواخر عام ٢٠٢٢، تضاعفت كميات النصوص التي ينتجها الذكاء الاصطناعي على الإنترنت، فأصبحت لمخصات الأخبار، والمقالات الموافقة لمحرركات البحث «SEO»، ووصاف المنتجات، ومنشورات وسائل التواصل الاجتماعي، وحتى المحتوى الأكاديمي والكتب الإلكترونية، تُكتب أو يُعاد تحرير جزء كبير منها بواسطة أنظمة الذكاء الاصطناعي، وهو ما خلق مشكلة جوهرية أمام الجيل المقبل من نماذج الذكاء الاصطناعي؛ إذ قد تجد هذه النماذج نفسها تتدرب بصورة متزايدة على محتوى أنتجته أجيال سابقة من الذكاء الاصطناعي.

وصف الباحثون إحدى النتائج المحتملة لهذه الظاهرة بانهاية النموذج، فعندما تتعلم النماذج باستمرار من بيانات اصطناعية ولدتها نماذج أخرى، قد تبدأ الأفكار غير الشائعة، والأنماط الأقل انتشاراً، والتنوع الأسلوبى، والمعلومات غير المألوفة في التلاشي تدريجياً. ومع مرور الوقت، تصبح مخرجات النموذج أكثر تكراراً، وأقل تنوعاً، وأكثر تشوهاً، وأبعد عن التعبير الأصلي عن المعرفة البشرية.

تكمّن المشكلة الأعظم، حسبما يوضح التقرير المنشور في موقع Semi Vision، في أن النصوص الموثوقة ذات المنشأ البشرى أصبحت أكثر ندرة، ومن ثم أكثر قيمة، فالببيانات الاصطناعية لا تزال مفيدة إذا اختبرت بعناية، وجرى التحقق منها، ودمجها بكميات كافية من المحتوى الأصلي الذي أنتجه البشر، لهذا السبب تحولت الكتب المنشورة قبل عام ٢٠٢٢ فجأة إلى سلعة ثمينة في صناعة الذكاء الاصطناعي.

فهذه الكتب كُتبت قبل أن يصبح الذكاء الاصطناعي التوليدي جزءاً أساسياً من عملية إنتاج المحتوى، كما أن نصوصها مرت عادة بعدة مراحل من المراجعة والتقييم البشرى، بدءاً من المؤلفين، مروراً بالمحررين والناشرين والمراجعين، وصولاً إلى القراء، وبالمقارنة مع فضاء الإنترنت الذي يزداد امتلاءً بالمحتوى المعاد تدويره أو المنتج آلياً، توفر الكتب الورقية لغة بشرية أكثر تنظيمياً وتنوعاً من حيث

الخطر يكمن في أن تتنازل تدريجياً عن وسائل حفظ حياتنا الثقافية واللغوية لصالح نماذج الذكاء الاصطناعي ومالكيها

مخاوف من هيمنة شركات الذكاء الاصطناعي على الكتب والذاكرة البشرية واختفاء المعرفة من المجال العام

وحيد في الزحام يتعذب

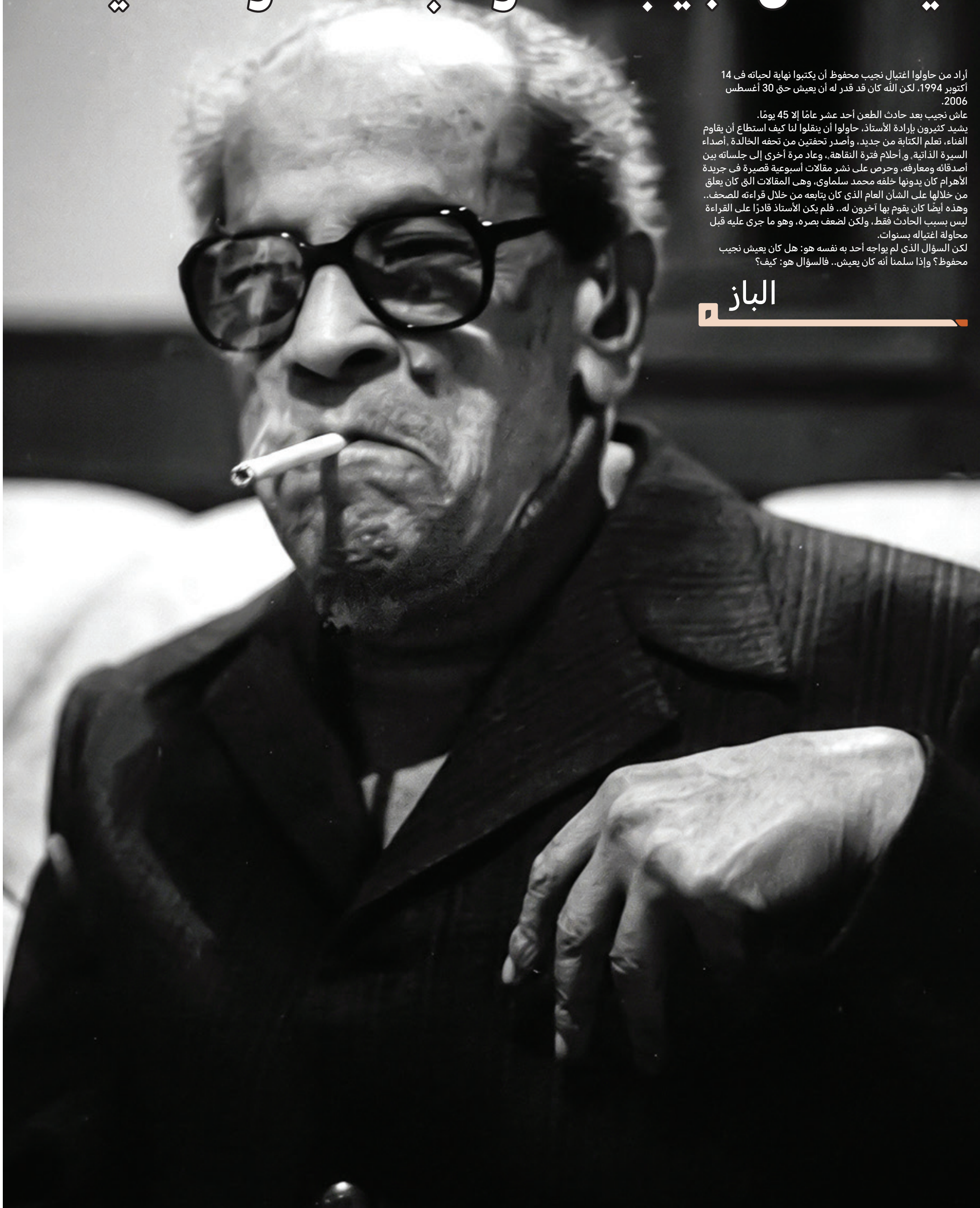
كيف عاش نجيب محفوظ بعد محاولة اغتياله؟

أراد من حاولوا اغتيال نجيب محفوظ أن يكتبوا نهاية لحياته في 14 أكتوبر 1994، لكن الله كان قد قدر له أن يعيش حتى 30 أغسطس 2006.

عاش نجيب بعد حادث الطعن أحد عشر عامًا إلا 45 يومًا. يشهد كثيرون بإرادة الأستاذ، حاولوا أن ينقلوا لنا كيف استطاع أن يقاوم الفناء، تعلم الكتابة من جديد، وأصدر تحفيتين من تحفه الخالدة، أصدقاء السيرة الذاتية، وأحلام فترة النقاها، وعاد مرة أخرى إلى جلساته بين أصدقائه ومعارفه، وحرص على نشر مقالات أسبوعية قصيرة في جريدة الأهرام كان يدونها خلفه محمد سلماوى، وهى المقالات التي كان يعلق من خلالها على الشأن العام الذي كان يتابعه من خلال قراءته للصحف.. وهذه أيضًا كان يقوم بها آخرون له.. فلم يكن الأستاذ قادرًا على القراءة ليس بسبب الحادث فقط، ولكن لضعف بصره، وهو ما جرى عليه قبل محاولة اغتياله بسنوات.

لكن السؤال الذي لم يواجهه أحد به نفسه هو: هل كان يعيش نجيب محفوظ؟ وإذا سلمنا أنه كان يعيش.. فالسؤال هو: كيف؟

الباز





نجيب محفوظ بعد تعرضه لمحاولة اغتيال

وحيد في الزحام يتعذب

كانت لديه قدرة فائقة على التسامح مع حماقات البشر والتجاوز عما يصيبه هو شخصياً من شرور بسبب أمراض النفوس

شديدة، بحيث لم يستطع أن يمسك بها شيئاً بطريقة متزنة، وأيضاً تأثرت صحته العامة كما تأثر بصره وسمعه - على ضعفهما - جراء ما حدث. ويسأل «زكى»: ماذا يصنع نجيب محفوظ وقد فقد القدرة على الكتابة والقراءة ومشاهدة التلفزيون وسماع الراديو والخروج بحرية إلى شوارع القاهرة، والمشي وحده بين أزقتها وحواريها؟ كيف تم حرمان نجيب محفوظ من أبسط حقوقه الإنسانية في التجول بمفرده كعادته اليومية - بين الناس الذين كتب عنهم - في قاهرته التي يعشقها، وفي الإسكندرية التي يحبها؟ ويجيبنا بما يعكس أعلى درجات الألم، يقول: أصبح الأستاذ يمشي كل يوم داخل حدود جدران بيته، وهي بالتأكيد مساحة ضيقة جداً ومحدودة للغاية، وهو المعتاد على الانطلاق في السير بالساعات على ضفاف النيل، وبين البشر في مختلف أنحاء القاهرة والإسكندرية، ثم الجلوس على المقاهي كشخص عادي وسط جماهير شعبنا الطيب.

كان زكى سالم يرى نجيب محفوظ من الخارج، ويعتقد - كما قال - أن الأستاذ تأقلم بسرعة مع ما حدث، واعتاد على زيارة طبيب العلاج الطبيعي له، وممارسة التمرينات الرياضية والعلاجية المطلوبة ليده اليمنى، وكان يستجيب لكل ما يقوله له الطبيب المعالج، حتى تستعيد يده بعضاً من قدراتها أو حتى لا تتوقف تماماً عن الحركة.



رجاء النقاش

كان نجيب قد توقف عن الكتابة، لم يعد قادراً عليها، وكان يعني ذلك أنه سيتعلم الكتابة من جديد. ويعود زكى سالم للسؤال من جديد: ماذا يصنع كاتب يرى أن حياته الحقيقية في القراءة والكتابة، فإذا به يفقد تدريجياً القدرة على القراءة، ثم تصاب يده اليمنى في محاولة لقتله، ويفقد كذلك القدرة على الكتابة؟ وكيف واجه نجيب محفوظ هذه الحقيقة المؤلمة؟ وكيف تعامل مع يده اليمنى بعدما فقدت القدرة على الإمساك بالقلم؟

نجيب «سالم»: تحدثنا مع الأستاذ كثيراً بخصوص فكرة الإملاء، فمن اليسير أن يجلس أحد منا مع الأستاذ لكي يملأ عليه كل ما يشاء أن يكتبه من قصص أو مقالات أو غيرها، ولكنه معتاد على طقوس خاصة مرتبطة بعملية الكتابة، وقد استمر في ممارستها على مدى أكثر من سبعة عقود متصلة، فقد اعتاد الجلوس وحده على مكتبه الخاص في بيته، ليتأمل طويلاً بهدوء وروية، ثم يخط بقلمه على الورق ما يخطر له من خواطر وأفكار ومعانٍ وتأملات، قد تعجبه بعد كتابتها، وقد لا تعجبه، قد يغير فيها أشياء قليلة أو كثيرة، وقد يطورها ويحورها، وقد يحتفظ بها كما هي، وقد يمزقها تماماً، فقد كان الأستاذ يصف نفسه بأنه أكثر من يمزق الورق الذي يكتبه، الأمر كله إذن يرتبط بعاداته الشخصية التي يقدسها، كما يرتبط بملابسات عملية الإبداع وطقوسها الداخلية والخارجية، فالإبداع عند كثير من المبدعين عمل فردي خاص جداً، لا يصلح أن يشترك فيه غيره معه، كما لا يصلح أن يعتمد فيه على طريقة مختلفة تماماً عما اعتاد عبر عقود طوال، فثمة علاقة عضوية تشكلت عبر الأيام والشهور والسنوات والعقود، بين اليد اليمنى التي تكتب، وعملية التفكير فيما ستخطه من كلمات وأحداث وشخصيات وسرعات ووقائع وأفكار، إنها عملية معقدة ومركبة ودقيقة تقوم فيها اليد اليمنى بعمل خارق، إذ تنقل أدق خلجات المخ البشري عبر عضلات اليد وأعصابها، كما تتجاوب بنكاه مع مختلف الإشارات والمشاعر والمعاني والأفكار الصادرة من العقل والتأنيب من الوعي واللألواء أيضاً، إنها واحدة من معجزات الوجود الإنساني أو واحدة من تحليات عبقرية الإبداع الأدبي.

قرر نجيب محفوظ أن يتعلم الكتابة من جديد، وهنا لدى إلى جانب شهادة زكى سالم شهادات أخرى. في شهادته يقول زكى سالم: بدأ الأستاذ تعلم الكتابة من جديد، من يصدق هذا؟

ويضيف: وهو في هذه السن المتقدمة، وهو غير قادر على رؤية ما يكتبه، أخذ يوماً بعد يوم يدرب يده على الإمساك بالقلم، ثم يدربها على شيء أشبه بالشخبطة منها بالكتابة، ثم بعد جهد عظيم ومثابرة رائعة ودأب مدهش وإصرار مبدع، استطاع نجيب محفوظ أن يتعلم كتابة الحروف مرة أخرى.

ويذكر زكى لقاء تم بين الأستاذ نجيب محفوظ والفيلسوف الفرنسي رجا جاردوى.

سال جاردوى بنجيب: ماذا تكتب الآن؟

رد محفوظ ببساطة: الآن أنا أتعلم الكتابة.

ويلق زكى بقوله: عندئذ ضحكنا جميعاً، بينما كانت

إجابة الأستاذ حقيقية تماماً.

شهادة زكى لا تعكس معاناة نجيب محفوظ وهو يتعلم الكتابة من جديد.

شء من هذه المعاناة يمكن أن نجدها فيما كتبه جمال الغيطاني - صاحب الشهادة الثانية - في كتابه «المجالس المحفوظية».

بعد محاولة الاغتيال
أصبح الرجل الذي
كان في متناول
أصدقائه ومعارفه
بعيداً عنهم



محفوظ بالبطاقة الشخصية.

لقد حاول الدكتور زكى سالم صديق نجيب المقرب التخفيف من الألم الذي كان يعاني منه نجيب محفوظ.

يقول في كتابه «نجيب محفوظ... صداقة ممتدة»: تأثر نجيب محفوظ بالحادث على المستوى المادي أو الصحي، لكنه لم يتأثر على المستوى النفسي، فقد احتفظ الأستاذ بروحه العالية ونفسه الطمئنة وذهنه الصافي كما هي، ودون أن تلوث أيًا منها مشاعر سلبية، ولا أفكار سوداوية، وهذه - فيما أرى - قدرة فائقة من قدرات الأستاذ على التسامح مع حماقات البشر والتجاوز عما يصيبه هو شخصياً من شرور بسبب أمراض النفوس، وضعف العقول، وعمى البصائر، فقد كنت أتكلم مع الأستاذ عما حدث له من إصابة خطيرة جداً في رقبته، وأثرها على عصب يده اليمنى، وهو في هذه السن المتقدمة، وأثرها كذلك على حالته الجسدية بوجه عام.

ويضيف «زكى»: كنت أتحدث معه، فلا أرى أي نوع من المشاعر العدائية، ولا الأفكار المتأثرة بما حدث، إنما كان ينظر للأمر باعتباره «قضاء وقدر»، يقبله كما هو، ودون أي رفض أو اعتراض، وهنا يتجلى بوضوح إيمان نجيب محفوظ العميق، ونظريته الحكيم لأحداث الحياة وتجلياتها، ومن ثم كانت تصريحاته الأولى عقب الحادث تصريحات متسامحة للغاية، بل وصلت إلى درجة التعاطف مع هذا الشاب المقاتل، فقد تسأل الأستاذ: لماذا يضع مثل هذا الشاب مستقبله؟ لم يبخل علينا زكى سالم، فقام بتسجيل ما جرى من تغيرات في حياة نجيب محفوظ، وهي التغيرات التي تشير إلى أن الأمر لم يكن سهلاً أبداً على الأستاذ، بل كان بعضاً من العذاب.

طبقاً لزكى سالم فإن نظام الأستاذ نجيب تغير بعد الحادث، فقد خرج من مستشفى الشرطة يتبعه الحرس، وذهب إلى بيته فوجد الحرس أربعة وعشرين ساعة أمام باب منزله، وقد أصيبت يده اليمنى إصابة

كتب رجا كلمة بسيطة في الدفتر وانصرف. قبل أن يصل إلى اللواء عبدالوهاب الوتيدى طلب مسئول الأمن من رجا بطاقته الشخصية، واحتفظ بها معه حتى تسلمها رجا عند بوابة الخروج. يعلق «رجاء» على ما جرى بما يؤكد لنا أنه بدأت مرحلة جديدة في حياة نجيب. يقول: هذه أول مرة في حياتي أعجز فيها عن لقاء نجيب محفوظ عندما أريد ذلك، منذ أن تعرفت عليه سنة ١٩٥١ لم أجد أي صعوبة في الالتقاء به كلما كان هناك سبب أو مناسبة، فنجيب كان متاحاً لي وللجميع، فقد كان دائماً مثل الهواء وماء النيل، تستطيع لقاءه في أي مكان وفي أي موعد. ويتساءل «رجاء» في أسى: هل حدث يوماً أننا احتجنا إلى تقديم «البطاقة الشخصية» لكي نتفحص الهواء أو نشرب من مياه النيل؟ هذا كان نكس محفوظ دائماً، تراه في الشارع وفي المقهى، وفي الصباح وفي المساء، وفي كل زمان ومكان، دون أن يسألنا أحد قبل لقائه عن اسمك وعنوانك وسبب المقابلة.

يرصد «رجاء» مستقبل نجيب بعد الحادث، يقول: عاش نجيب محفوظ طيلة حياته، وقد بلغ الثالثة والثمانين، بضعك من قلبه ويختلط بالناس ويسعى في الأرض بريئاً طاهراً مطمئناً لا خوف عليه من أحد، حتى جاء المتطرفون الإرهابيون وقرروا ذبحه بالسكين، وقبل ذلك قرروا بالجلع وسوء الظن والبصيرة العمياء، وأصبح اللقاء مع نجيب محفوظ بالبطاقة الشخصية، فلا نستطيع أن نراه دون أن يسألنا سائل من الأمن: من أنتم وأين بطاقتكم الشخصية؟ ولماذا تريدون لقاءه؟ ويخبرنا «رجاء» بالأسى في قمته عندما يقول: من بين كل المعاني الكثيرة في محاولة قتل نجيب محفوظ، يبقى هذا المعنى عندي هو أكثرها إثارة للألم والحسرة والبكاء على ما أصاب مصر من هذا اللوواء الخطير الذي نسميه في أدب وتعفف باسم التطرف، بفضل التطرف المجنون أصبح الزمان غير الزمان، وأصبحت الحداث العامة أماكن لها أسوار من الحديد والأسمنت، وأصبحت كل وردة في بلادنا بحاجة إلى حراسة مسلحة، ويفضل التطرف المجنون أصبح نجيب

تذكرون عندما قال نجيب وهو لا يزال في مستشفى الشرطة يعالج من آثار حادث الطعن.

سأله أحد أصدقائه عن أكثر شيء يخاف منه، فقال: أكثر ما أخاف منه أن أرغم على تغيير أي شيء في أسلوب حياتي واختلاطي بالناس وتمشيتي بينهم في الشارع، سيعز على كثيرًا أن أرغم على الابتعاد عن الناس، وأن تكون بيني وبينهم حواجز أمنية، إن حياتي كانت دائماً وسط الناس، ولم أر منهم إلا كل الحب، فقد كانوا دائماً يقبلون على وأنا أسير في الطريق ويصافحونني ويطمئنون على، أخاف أن أحرر من كل ذلك؟

وتساءل نجيب في أسى: لماذا أحرر من دهاء المشاعر الإنسانية التي طالما أحاطني بها الناس؟

شيء من هذا حدث قبل أن يخرج نجيب من المستشفى، فقد أصبح الرجل الذي كان في متناول أصدقائه ومعارفه عنهم.

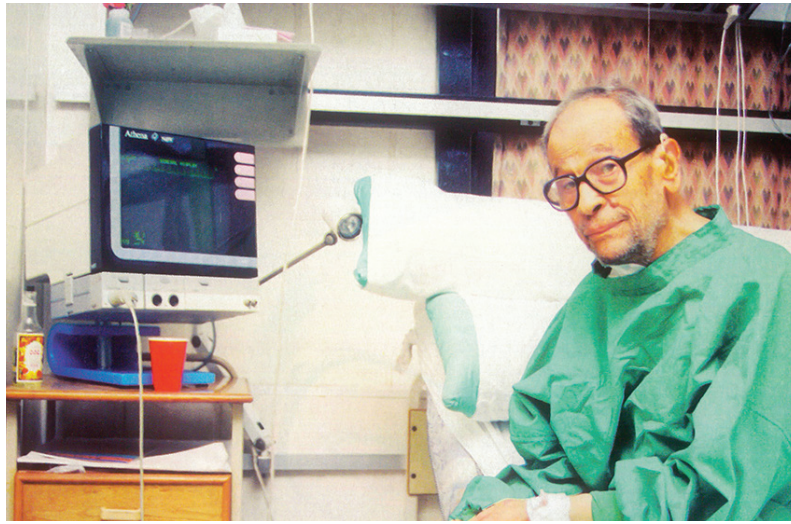
يحكي رجا النقاش في مقاله «نجيب محفوظ بالبطاقة الشخصية»، الذي أعاد نشره في كتابه «في حب نجيب محفوظ»، أنه ذهب لزيارة الأستاذ في مستشفى

الشرطة بعد حوالي عشرة أيام من محاولة اغتياله، لأنه لم يرغب في أن يزاحم العشرات بل المئات الذين كانوا يتجمعون كل يوم في المستشفى لرؤية نجيب والأطمئنان عليه.

قال «رجاء»: بعد عشرة أيام يكون الزحام قد خف، ويمكنني أن أذهب إليه وأسلم عليه في هدوء وبعيداً عن أي ضجيج، فهكذا أحب أن تكون علاقتي بنجيب محفوظ، وبكل الذين أحبه، علاقة هادئة لا صخب فيها ولا شكليات.

استقبل «رجاء» في المستشفى اللواء عبدالوهاب الوتيدى مدير الخدمات الصحية بوزارة الداخلية، وقال له: إننا لا نسمح بالزيارة إلا في حالة واحدة هي أن تكون زيارة عمل، فهل هناك عمل تنوي أن تقوم به مع نجيب محفوظ؟

قال رجا: لا... إنها زيارة تحية وتهنئة وتمنيات بالصحة والعافية. فرد الوتيدى: إذن أكتب ذلك في دفتر الزيارات، فهذا هو المسموح به.



وحيد في الزحام يتعذب

بعد الحادث الغادر كانت يده أعجز من أن تمسك أى شيء بأى درجة من الاتزان

المظاهر، لكن للضرورة أحكامها، انتهى زمن التجوال في دروب القاهرة القديمة وحواريها، كثيراً ما رأيته خلال الستينيات والسبعينيات يجول في موطنه الأول، حواري وشوارع الجمالية، كنت أزعجه حتى لا أقطع تأملاته واستعادته المكان.

ويزيدنا زكى سالم معرفة بتفاصيل الخروج الأول، يقول: بدأنا في الحديث عن فكرة خروج الأستاذ من بيته، وعودته إلى لقاء أصدقائه ومحبيه، وقد تبنى هذه الفكرة بشجاعة د. يحيى الرخاوى، الذى زار الأستاذ في المستشفى بعد الحادث، واقترب بطيبة من الأستاذ وأصدقائه المحيطين به، وكانت أول خروجه للأستاذ فرحة رائعة لنا جميعاً، فقد استعاد الأستاذ انطلاقه المعهود، وتجدد حبه الأصيل للحياة، وللناس والنيل والهرم والشوارع والحواري وحركة الحياة المتدفقة في شرايين مصر المحروسة.

ويضيف: تم الاتفاق على الخروج نهاراً، حتى يستمتع الأستاذ بشمس الشتاء الدافئة، والتي حرم منها لأسابيع طوال، ولتتاح له رؤية جمال الطبيعة الذى حجب عنه، وتم تجهيز عربة الحراسة المرافقة لأول مرة، وخرج الأستاذ بيننا جميعاً، وكنا خمسة: الأستاذ، ويحيى الرخاوى، وجمال الغيطانى، ويوسف القعيد، وأنا، وركبتنا سيارة الرخاوى وانطلقنا في شوارع القاهرة، حتى وصلنا إلى منطقة الأهرامات، وصوتنا الأستاذ بجوار الهرم، كما أخذنا أكثر من صورة معه، وجلسنا في فندق «مينيا هاوز»، حيث عقدنا ندوة أدبية وثقافية جميلة، وتناول الأستاذ أول رشفة من فنتجان القهوة، وأشعل أول سيجارة بعد فترة طويلة من وجوده في المستشفى والبيت، وسعدنا جميعاً بخروج الأستاذ إلى عالمه الواسع، وسعد هو أيضاً بذلك، ومن ثم كان التفكير في تكرار هذه الندوة، كل يوم أو حتى كل بضعة أيام، وتم التفكير في اتساع نطاق الأصدقاء، فأصدقاء الأستاذ كثيرون، ويتمنون لقاءه والخروج معه إلى أى مكان يجبه.



ثروت اباطلة

عانى نجيب محفوظ بعد محاولة الاغتيال وجعاً ربما لم يشعر به إلا هو، رغم أن كثيرين تضامنوا معه في مواجهته.

ففى صباح ٥ يونيو من عام ١٩٩٥ كان محضر محكمة جنايات المنصورة يطرق باب بيت نجيب محفوظ ليسلمه عريضة دعوى إقامتها ضده محام من مدينة السنبلاوين، يتهمه فيها بالتعدى على كل الأديان التى تؤدى شعارها علناً: بأن نسب إلى الله العظيم باعتبار أن عظمته هى محور العبادة والتقدس فى كل هذه الأديان اسماً من غير أسمائه الحسنى وهو «الجيلاوى»، وذلك على سبيل الامتهان.

ويسجل أمين الحكيم فى كتابه «حاضرة المتهم نجيب محفوظ.. الملف القضائى لأديب مصر، وقائع ما جرى، فقد رأى المحامى - الذى حرص الحكيم على عدم ذكر اسمه - أن هذه التهمة تستوجب عقاب المتهم الذى هو نجيب محفوظ بالواد أرقام ١٦٠ و ١٦١ و ١٧١ فى قانون العقوبات، وهى المواد التى تخص إدراء الأديان، ولم يكتف بذلك بل طالب بالتفريق بينه وبين زوجته استناداً إلى الحكم الصادر آنذاك فى دعوى الحسبة ضد الفكر والباحث د. نصر حامد أبوزيد، وقضى بالتفريق بينه وبين زوجته د. ابتهاج يونس، على أساس أن جريمة محفوظ لا تقل بشاعة عن جريمة نصر حامد أبوزيد، وطالب بتعويض مؤقت بمقداره ٥٠١ جنيه، مؤسناً دعواه على ما ناله من ضرر نتيجة الأفعال التى ينسبها للمتهم.

فى عريضة الاتهام شرح المحامى الأفعال التى ينسبها للمتهم نجيب محفوظ قال : إنه فى يوم ٧ ديسمبر ١٩٩٤ نشرت صحيفة الأخبار تصريحات منسوبة للأديب الشهير، أدلى بها فى أعقاب محاولة الاغتيال التى تعرض لها أمام منزله على يد شاب متطرف، حيث انتقلت نيابة أمن الدولة العليا إلى غرفته بمستشفى الشرطة، الذى نقل للعلاج فيه، وكان من بين ما قاله فى محضر التحقيق فى ٢٥ أكتوبر ١٩٩٤ تعليقاً على نجاته من الحادث «الجيلاوى مش غضبان منى».

وهى جملة رأى المحامى أن قائلها يحرف فى الدين، ويضيف اسماً إلى الأسماء الحسنى والتسعين للمولى عز وجل، وهو دليل على استهتاره بالمقدسات، يستوجب العقوبات السالف ذكرها.

حملت القضية رقم ١٧٨٧ لسنة ١٩٩٥ جنح السنبلاوين، وحددت المحكمة جلسة ٢٧ نوفمبر ١٩٩٥ موعداً لنظرها أمام محكمة جنايات المنصورة، وترافع عن نجيب محفوظ محاميه د. أحمد السيد عوضين، وفى ٣٠ نوفمبر ١٩٩٥ حكمت محكمة المنصورة برفض الدعوى وبإراءة نجيب محفوظ.

لقد حاول نجيب محفوظ خلال السنوات التى فصلت بين محاولة اغتياله فى ١٩٩٤ ووفاته فى ٢٠٠٦ أن يستعيد حياته التى كان يعيشها قبل أن يحاول متطرف جاهل ذبحه تقريباً إلى الله، تعلم الكتابة من جديد، أصدر أعمالاً أدبية عظيمة، كتب للصحف، أجرى حوارات صحفية، خرج مع أصدقائه وحضر جلسات طوال الأسابيع فى أماكن متفرقة.. لكن يقينى أنه كان وحيداً تماماً رغم الزحام الذى يحيط به، وهى الوحدة التى كان يعانى فيها وحده.



رجاء جارودى

عانى نجيب محفوظ بعد محاولة الاغتيال وجعاً ربما لم يشعر به إلا هو

فى ذهنه؟ ويجيب بنفسه على سؤاله: هذه قدرة أكثر من مدهشة ومقدرة فائقة أن يظل - وهو فى هذه السن - محافظاً بكل هذه النصوص معاً، دون أن تختلط بعضها مع بعض، ودون أن يصلح فى تركيب عبارة واحدة، ولا يغير كلمة واحدة.

كان هذا ما جرى فى شأن الكتابة، لكن كان هناك همّاً آخر، وهو الوحدة التى وجد نجيب محفوظ نفسه فيها، ويمكننا أن نعود مرة أخرى إلى جمال الغيطانى الذى يتحدث عما كان يشعر به نجيب حتى وهو بين أصدقائه، يقول جمال: خلال جلستنا معه أحرص على ألا ندخل فى أحاديث جانبية، عندما يشعر أن الذين معه انصرفوا عنه، ولا يستطيع الإصغاء إليهم، يتداخل فى نفسه، يمضى إلى أزمئته الخاصة، عندئذ أبادر بسؤال، برواية خبر أو نادرة، الآن يصغى الأستاذ معظم الأوقات، إما أنه يصغى إلى محدثه، أو إلى داخله، ذروة تدفقه عندما يروى ذكرياته عن المدينة، عن الحياة الأدبية، عن الأزمنة المنقضية.

كان نجيب محفوظ مقالاً، واجه ظروف ما بعد محاولة اغتياله وهو يتألم، عاش لأن الحياة فرضت عليه فرضاً.

يحكى الغيطانى عن سنوات الألم محاولاً أن يخفف وطأتها، يقول: خلال تلك السنوات الأربع التالية للحادث، رتب أوضاعه، ونتيجة إرادة داخلية قوية تكيف مع الظروف الجديدة، ليس نتيجة الحادث فقط، ولكن نتيجة التقدم فى العمر والوهن، لقد نالت الشيوخوخة من بصره فلم يعد يستطيع القراءة، عرضنا عليه المساعدة، لكنه لم يحملنا من أمرنا نصيباً، رتب مع رجل طيب محبته اليومية إليه ليقرأ له لمدة ساعة أهم الأخبار فى صحف الصباح القومية والمعارضة، أما المقالات والنصوص الأدبية المهمة فيقرأها عليه الأصدقاء فى جلساتنا الليلية التى أصبح لها ترتيب خاص.

ويخبرنا جمال الغيطانى بما كان يحدث فى الجلسات ومحاولات نجيب أن يكون على طبيعته التى كانت. يقول: أحياناً يثير أحداً موضوعاً ما، ويطلب رايه، فيجيب بكلمة أو كلمتين عابرتين على سبيل المثال، سألته عن رايه فى أحداث سبتمبر بعد عام من وقوعها، فقال لى فى البداية: وهل يحتاج الأمر إلى رأى؟ وما كررت عليه السؤال، قال: إنت شايف، سكت، انتقلنا إلى موضوعات أخرى، وإذا به بعد نحو نصف ساعة يميل إلى الأمام، يشير بأصبعه، هنا نضعي كلنا، ندرك أنه سينطق ما يهمنى، ما يعبر عن رايه.

قال نجيب، شوف، بالنسبة لستمبر أظن أنه لم يقع حادث أضر بعلاقات الشرق والغرب مثل هذا الحادث، الذين ارتكبهوا أساءوا إلى الإسلام أبلغ إساءة، وسبقه سلوكيات المطالبان التى أسأت أيضاً للإسلام وصورته، إننا بحاجة إلى جهد كبير لنعود إلى الوضع السابق على سبتمبر.

وصيمنت نجيب قليلاً ثم يقول: لا أظن أن الوضع سيعود كما كان، ما زلنا فى بداية مرحلة لم تتحدد معالمها ولا ندرى نهايتها. ويقول جمال: أحياناً تثار مناقشات حول موضوعات أدبية، أو سياسات داخلية أو خارجية، يكفى أن يصغى ويستوعب لينطق بالحكمة، ما زالت قدرته على توليد النكتة فى ذروتها، وأوسوبياً يجعلنا نضحك من الأعماق بعد قفشة مفاجئة، مباحثة لا نتوقعها. بعد أن تسلم الشيك اللبونى من إبراهيم المعلم، سكت قليلاً ثم قال: تعرفوا أنا باكر فى ايه دلوقتى؟

تطلعوإ إليه صامتين.

قال: باكرأهرب. وانفجروا بالطبع ضاحكين، كانت أخبار الذين اقترضوا الملايين وبعضهم المليارات تنشر يومياً فى الصحف هربوا بأموال المودعين، أموال الغير، ودعاية محفوظ كم بدت نافذة موحية موجعة.

وفى مرة أخرى كانوا يتحدثون عن رعدة شهيرة بمناسبت تصريحها بأنها تنوى التقاعد، بعد لحظة صمت قال لجمال: ابقى طلعيها فى الذخائر. والذخائر سلسلة أشرف عليها الغيطانى وكانت تصدر عن هيئة قصور الثقافة، قدمت فيها نصوصاً مهمة من التراث العربى.

لقد حاول أصدقاء نجيب محفوظ أن يسكروا الحالة التى وجد نفسه فيها، وبعد ما يقرب من شهرين كان الخروج الأول من البيت. يحكى لنا جمال الغيطانى عن المرة الأولى التى كانت فى ديسمبر.

يقول: كان الشتاء مكتئلاً، قصيدنا هضبة الأهرام: يوسف القعيد، زكى سالم، والدكتور يحيى الرخاوى الذى أشرف على تنظيم أيام الأسبوع والمرحلة الأخيرة من علاجه، ثم أصبح حرقشوا أساسياً فى حلقات الحرافيش، تناولنا الغدا يومئذ فى فندق مينيا هاوز، وكان الأستاذ تحت حراسة الشرطة، وضع جديد سوف نعتاده، بل سيصبح أفراد قوة الحراسة أصدقاء لنا، وكانهم أسرة جديدة للأستاذ ولنا، وضع نحن يسع إليه، وضع أنهى أيام السعى فى شوارع المدينة التى عاشها ومنح بعض مناطقها الخلود، طوال عمره كان ضد

يقول جمال: أفكر فى يده اليمنى، فى بطء حركتها، تلك اليد التى حفرت نهراً للإبداع العربى، اليد التى كتبت «الثلاثية»، و«الخرافيش»، وأولاد حارتنا، أتأمل لون الجلد الغامق الذى لم أعرفه، فى اليد التى قبلتها مراراً، أفكر فى رقباده، فى أيامه بعد الشفاء، أشق أنه سيتكيف مع الظروف الجديدة، تماماً كما تكيف مع ظروفه بعد أن تقل السمع وكل البصر، مع علمى أنه لا يغير عاداته إلا بصعوبة شديدة، أحلم الآن بتلك اللحظات التى أتجمعها، عندما أصبح كعادتنا خلال حواري القاهرة القديمة، نسعى خلال الزمن العتيق. ويضيف: لحظات عودته إلى الكتابة حلت بعد أربع سنوات من العلاج الطبيعى اليومي، عندما مال علن ليسر إلى قائلنا: اليوم تمكنت من الكتابة دون أن أنزل عن السطر.

يحكى «جمال»: بعد الحادث عرضت عليه وعرض عليه المحبون تخصيص ساعة أو ساعتين يومياً لكى يعمل علينا ما يرغب فى كتابته، لكنه شكرنا معتذراً برقة، فالكتابة بالنسبة له أداء خاص جداً، يبقينه سراً باستمرار، فكيف يمكن لإنسان مهما كانت درجة القرب منه أن يشاركه أشد لحظات حياته خصوصية.

ويضيف: أربع سنوات استغرقها العلاج الطبيعى حتى لحظة إفضائه لى بقدرته على الالتزام بالسطر دون أن ينزل عنه، أى أن نجيب محفوظ تعلم الكتابة فى حياته مرتين: الأولى فى طفولته، والثانية فى العقد التاسع، وتلك الأشق والأصعب، ولكن نظرت إلى يده، إلى ما تخطفه من حروف كبيرة مضطربة لحظة توقيعه على نسخة من مؤلفاته، هذه اليد التى كتبت رواياته وقصصه القصيرة وأضافت إلى الأدب العربى والإنسانى، تلك اليد التى أصابتها الكراهية والتعصب والجهل.

الشهادة الثالثة كانت للدكتور يحيى الرخاوى الذى كان صاحب فضل كبير فى تأهيل نجيب محفوظ نفسياً بعد الحادث ليستكمل حياته.

فى عدد مارس من العام ٢٠٠٢ كتب الرخاوى فى مجلة «أدب ونقد»: لا يوجد طبيب أعصاب فى الدنيا يمكن أن يتصور أن العطب الذى لحق بالعصب المسئول عن حركة يد أستاذنا اليمنى وأصابعه يمكن أن يتراجع أمام إصرار هذا الشيخ العظيم أن يواصل الحياة، ليواصل العطاء ويواصل الإبداع، فعلها شيخنا بمثابة معجزة عاصرتها يوماً بيوم.

يخبرنا بما جرى، يقول: بعد الحادث الغادر كانت يده أعجز من أن تمسك أى شيء بأى درجة من الاتزان، ناهيك عن أن تمسك بقلم يتحرك سنه على ورقه، لكنه فعلها، كل يوم راح يدرب نفسه على التحريك الطليق «شخطة»، ثم على التحريك البطيء، ثم راح يتصور أن يكتب شيئاً ما، واكتفتنا بعمل صفحة واحدة فى كراسة تلو كراسة، كانت الصفحة تأخذ فى البداية سطرين أو ثلاثة على الأكثر، ثم أربعة، لم أكن أتبين فيها حرفاً واحداً، يمكن قراءته، وكنت أتابع تقدمه ساعة بساعة، كنت أفرح فرحاً لا يخفى حين أنجح فى أن أقرأ حرفاً واحداً بين كل ما شخبط.

ويضيف الرخاوى: بدأت الحروف تتميز فى شكل هلامى أسفل يسار كل صفحة، لم أسأله، تبينت بعد شهر طوال أنه توقيعه، اسمه، لكن ماذا تحت ما يشبه التوقيع، أشكال أخرى ليست حروفاً، وبعد شهر تبينت أنها أرقاماً، ثم بعد عام وبعض عام عرفت أنه التاريخ، وكان يشاركنى فرحتى وأنا أبلغه بعض ما نجحت فى قراءته، أعنى كنت أشاركه فرحته، وحين استطاع بعد أكثر من عامين أن يكتب جملة على بعضها، كان هذا هو عيدنا الكبير، ورحبت أميز فى بعض الصفحات: «رب اشرح لى صدى، وحباً لسعد زغلول، والنحاس باشا، وبعض الحكم القديمة»، ثم تعليقاً فى نصف سطر على حادث سياسى آنى، وتدرج الحال حتى ظهرت الأحلام بخط يده للناس.

لم يكن نجيب محفوظ يرى بوضوح ما يخطه بقلمه- كما يقول زكى سالم- فقد كان يحارب فى معركة متواصلة دون أن يرى ما حققه من انتصار مبهر. ويحدثنا سالم عن بدايات كتابة نجيب محفوظ للأحلام فترة النقاهة، وكيف خرجت إلى النور.

يقول: بعد تجربة الأحلام الثلاثة الأولى، قرر الأستاذ أن يكتب الأحلام فى ذهنه، فبعد أن يستيقظ من نومه، يتذكر الأحلام، وينظر فيها، فإذا وجد فيها ما يصلح للمعالجة الفنية، يبدأ فى معالجته بطريقة أدبية تفضى عليه معانى وأفكاراً، وظلالاً وأصداء، ثم يصيغ الحلم جملة جملة حتى يكتمل تماماً فى ذهنه، ويظل يردده وهو جالس وحده، حتى يحفظه، ويعداها يبدأ فى حلم جديد، وهكذا حتى تتجمع فى ذهنه ثلاثة أحلام أو أكثر فيمليها معاً على الحاج صبرى.

كان الحاج صبرى موظفاً بجريدة الأهرام، أرسله ثروت اباطلة إلى نجيب محفوظ ليقرأ له الصحف والمجلات بعد أن أصبح غير قادر على القراءة.

يضيف زكى: تعرض الحاج صبرى لوعكة صحية، فعرضت على الأستاذ أن يملئ علينا الأحلام التى يحفظها فى ذهنه، حتى يتفرغ للأحلام الجديدة، فوافق وأخذ يملئ بهدوء وبساطة، وكأنه يقرأ من كتاب، بلا إعادة ولا تردد ولا تغيير فى كلمة، اثني عشر حلماً معاً، أملاها دفعة واحدة، فكيف كان يحتفظ بها جميعاً





اعتقادي أن إعادة طبع كتاب ممنوع من التداول، في هذا التوقيت.. تعكس عمق تفكير وذكاء وطبق شديدتين، لأسباب كثيرة أستطيع أن أتوقف عند بعضها.. وإذا شئت محاكاة مؤلفه محمود عوض، قد أظيل.. لأنه تقدر في حياته.. وبعد أن غادر دنيا.. بقدرته على التحريض الممتع في أن يجعلك تقرأ وتفكر.. يأخذك إلى طريق الحقيقة، مع إشارات واضحة تجعل الوصول إلى الفهم العميق أمراً سهلاً.



نصر القفاص

ممنوع من التداول

التجلى الجديد لـ «محمود عوض»



هكذا كان «محمود عوض» الذي وصفه «إحسان عبد القدوس» بأنه «عندليب الصحافة»، ربما لأنه لم يسبقه أحد في ملامح ومواصفات موهبته.. ويصعب أن يتكرر حتى لا أصادر على المستقبل.. بأنه مستحيل أن يتكرر.. كما يصعب أن يحاكيه أحد من الذين عبروا جسر «البحث عن الحقيقة»، لأن الصحافة بالنسبة له لم تكن بحثاً عن المتاعب.. بل كانت رسالة وقيمة ومعنى، تستحق ما دفعه لأجلها.. احتراماً للقارئ الذي كان يقدره.. فقد كان يخاف من قرائه، كما يخاف عليهم.. احترامهم فعاش في ضمير كل من قرأ له.. وحفر لنفسه مكاناً في تاريخ الصحافة المصرية والعربية، هو أهل له ويستحقه.

أخسى أن تأخذنى شخصية وموهبة المبدع «محمود عوض» وهى دون إنكار أخذتني وما زالت. وكتاب «ممنوع من التداول» الذى جاء وقت إعادة إحيائه.. فهو يحوى أصول وجذور مسألة «الصراع العربى - الإسرائيلى» وقد كانت لحظة صدوره الأولى فتحاً مبيئاً.. فالكتاب صدر بعد ٥ نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧، خمس سنوات.. وقبل حرب أكتوبر عام ١٩٧٣، بأكثر من عام بقليل.. وكان أول كتاب تدور به مايكات الطباعة، بما يحويه لخمس طبعات خلال شهر قليلة.. وهو حدث لافت بمقاييس ذلك الزمن.. وحتى اللحظة التى نعيشها.. فتقصد الكتاب بأنه كان ظاهرة.. وما زال- دون مبالغة، وسيدرك ذلك القارئ بنفسه.. لأنه كتاب ستجد نفسك تحتاج إلى إعادة قراءته بين حين وآخر.

قاتل «محمود عوض» بالكلمة عبر طريق مختلف عن أقرانه من المثقفين والصحفيين، لأنه كان «مفكراً» بكل ما تحمله الكلمة من معنى وعمق.. وكان صاحب موقف يقوم على أعمدة من العلم والمعرفة والفهم والشجاعة.. لذلك ذهب إلى الغوص فى أعماق «المسألة الفلسطينية» عبر تشريح جثة «المسألة الصهيونية»، ثم قدم «ممنوع من التداول» أولاً.. وعلى التوازى قدم برنامجيه الذى خطف عقول الشعب المصرى.. بل والشعوب العربية.. وكان اسمه «من قلب إسرائيل» ووقتها كان يسبق أهم نشرات الأخبار فى «البرنامج العام» عند الثانية والنصف ظهراً.. واستطاع من خلاله كشف أسرار هذا «الكيان» وتفاصيل ما يحدث داخله.. فتحول الكتاب- ممنوع من التداول- مع البرنامج- من قلب إسرائيل- إلى «صداع فى رأس إسرائيل» فحاولت العلاج، عبر نصب العقبات والعراقيل فى طريقه وخلال مشواره المهنى.. ويمكننى القول بحكم اقترابى منه، وكان هذا شرفاً لى ولأمتالى.. أنه لم ينحن.. لم ينكسر.. بل واصل القتال بالكلمة، حتى أصدر رائحته «.. وعليكم السلام» غير الكثير من

الكتب التى عاشت، وستعيش لأن قلمه كان لساناً.. وهنا تجدر الإشارة إلى تناوله «القلم الذى أصبح لساناً» عن «عبدالله النديم» لتخليد مقاتل سبقه إلى احترام الكلمة.

عندما يكتب «محمود عوض» فهو يحرص على أن يأخذك لكى تعيش الزمن.. يرسم لك كما لو كان يكتب بلغة السينما.. ستجد ذلك فى بداية الكتاب.. يستعرض الوقائع والتاريخ بمهارة مدهشة.. يختصر دون ابتسار.. يحرص لك على البحث عن المزيد من القراءة والمعرفة.. ثم يأخذك لتغوص معه فى أصل «فكرة الصهيونية» من الألف إلى الياء.. اللغة عنده كانت كما الموسيقى، لذلك هو لا يستطرد ولا يكرر المعانى والمراذفات.. وفجأة ستجد نفسك دخلت فى عمق الموضوع، من القصر الطرق.. دون أن ينسى تقديم معلومات قد تصدمك.. وحقائق قد تؤلمك.. ثم يزرع داخلك الثقة فى النفس، لذلك يذكر الفرد.. فيقول المؤلف: «إن تأسيس دولة لا يمكن فى إرادة شعب بإنشاء دولة، بل يمكن أيضاً فى إرادة فرد قوى قوة كافية».

يقفز «محمود عوض» بالقارئ دون أن يترك تفصيلية أو معلومة تسقط منك.. وهو يهتم بالأرقام ذات الدلالة.. ويتركز على الوقائع التى تفتح أبواب الأنغاز، وتبدد أى غموض يمكن أن تعانى منه.. ويأخذك إلى عمق «العقلية الصهيونية»، فيشرح ذلك من خلال ما كتبه الذين أسسوا هذا «الكيان» ويظهر ذلك بإشارته إلى كتاب «التجربة والخطأ» الذى تركه «حاييم وايزمان» عندما وضع أسس «الصهيونية» نظرياً.. فهو كان يقول: «التصريح السياسى يكون حقيقياً فقط، عندما يوازيه عمل نقوم به نحن فى فلسطين.. إن التصريحات تعتمد على الآخرين.. أما الإنجاز فلا يعتمد إلا علينا نحن.. هذا هو كنهه حياتى الصهيونية».

يكشف الكتاب ويؤكد أن «فلسطين» كانت قائمة- وستعود- قبل اغتصابها.. ويظهر ذلك فى كتب وتصريحات الذين صاغوا المؤامرة عليها.. ويقدم لك بالمعلومات والوقائع والمستندات.. كيف ضاعت فلسطين، وكيف أصبحت «إسرائيل» خنجرًا فى قلب العرب؟! ويفسر لك سر «صفتة» قيام «الكيان» مع الغرب، بداية من «لندن» حتى تولتها «واشنطن»، بل أنه يشير إلى خطورة «الاستيطان» الذى حدث وتوسع فيما بعد، حتى بدا شديد الخطورة منذ سنوات.. فهو توقف عند ما كتبه «بن جوريون» وذكر فيه: «إن وعد بلفور وهدف عصبية الأمم من الانتداب، سيقبضان قصاصات ورق.. إذا لم نستطع جلب اليهود إلى فلسطين، وتجهيز الأرض

للتوطن- الاستيطان- على نطاق واسع.. إن الهجرة والتوطن سيخلقان حتمًا الحقائق التى ستجلب الاستقلال».

وهنا نتوقف لنضع خطوطاً تحت كلمة «الاستقلال» التى استخدمها «الصهاينة» كبديل عن «الغتصاب» لوطن كانوا يسمونه ويدكرونه اسمه «فلسطين» قبل أن يتجهجوا ويتكروا وجوده خلال السنوات الماضية. اختار المؤلف، أن يقدم فى الجزء الأول رؤيته.. ثم ذهب للجزء الثانى ليقدم عرضاً لعدد من الكتب المتعلقة من التداول، واعتبرها ضرورة للفهم واستخلاص الدروس.. لأنه ليس مثل كثيرين كانوا- وبعضهم ما زال- يستحلون الهزيمة بالبقاء واللغات.. كما لو كانوا مرضى بجلد الذات.. وكان سبيله هو نشر ومناقشة أفكار الأعداء، باعتبارها الطريق الأقصر لتجاوز الهزيمة- النكسة- واختار ثمانية كتب قدمها برصانة وموضوعية شديدين.

الكتاب الأول.. «التاريخ السرى لحرب إسرائيل» ومؤلفه ميشيل بارزوهار، ويتناول تفاصيل ما حدث قبل الحرب و خلالها.. حتى توقفت.. وجاء العرض بإيقاع سينمائى، يجعل القارئ يعيش الأحداث كما لو كان شاهداً فعلياً شديد الإثارة.. لذلك ستجد خلال القراءة، وغالباً ما ستعود لإعادة قراءته بهدف والمحموطة شديدة الأهمية أنه لم يفت على «محمود عوض» تنبيه القارئ إلى أن العنوان يجب أن يكون «التاريخ الإسرائيلى لحرب ١٩٦٧» حتى لا يسقط أحد فى فخ أن المعلومات دقيقة وصحيحة.. لكنه ذكر أن مؤلف الكتاب الإسرائيلى له أربعة كتب أخرى حول الصراع العربى - الإسرائيلى.. وذكر أنه حصل على معلوماته من حوالى مائتى شخصية عسكرية وسياسية فى إسرائيل وأمريكا وبريطانيا وفرنسا!

الكتاب الثانى.. «بناء الجيش الإسرائيلى» ومؤلفه «إيجال آلون» نائب رئيسة وزراء إسرائيل.. وهو من الجيل الصهيونى الذى نشأ على أرض فلسطين، كما كان «موشيه ديان» وكلاهما تربى فى منظمات الإرهاب المسلحة التى أسست الكيان.. ورغم مرور أكثر من نصف قرن على صدور كتاب «ممنوع من التداول» ستجد فى هذا الفصل، ما يفسر لك أحداثاً كثيرة تشهدها المنطقة بعد «طوفان الأقصى» ودون مبالغة.. ستكتشف أن ما نعيشه من تطورات بعد «الطوفان» يمثل زلزالاً يهز الكيان الصهيونى!

الكتاب الثالث.. «مستقبل إسرائيل» تأليف «شاؤول فريد لاندور» وتمثل إعادة قراءة خلاصته مسألة شديدة الأهمية.. لأنه كاشف للعقلية الإسرائيلية، ورؤيتها



لمستقبل تصل منتهى آماله وأحلامه إلى اتفاق سلام مع مصر.. وي طرح البديل فى كل من الأردن وسوريا ولبنان والسعودية.. لذلك ستجد نفسك فى حالة تفكير عميق، حول ما كان وما أصبح كأننا.. وكيف تغير العقل الإسرائيلى؟! ثم كيف تعرض لانتكاسة بما حدث فى «الطوفان».. ثم الانكسار خلال الحرب على إيران! والأهم أن التفكير الإسرائيلى فى أعماقه، يخشى أى وفاق اجتماعى داخل الدول العربية.. يخشى أن ينتهى الغش والكذب.. يخشى اختفاء المؤامرات بين النخب!

الكتاب الرابع.. «الجيش والسياسة فى إسرائيل» كتبه «عاموس بير لميوتز» وأهميته أوضحها «محمود عوض» فى تقديمه بأن المجتمع الإسرائيلى، تم تصميمه لكى يكون أشبه بمجتمع «إسبرطة» القديم القائم على محاربين حتى لو ارتدوا ملابس مدنية.. ولعلنا سمعنا «فتنياهو» وهو يخاطب مجتمعه مؤخراً قائلاً: «علينا أن نتأهب لنكون كما إسبرطة، باعتباره مجتمعاً يزعم أنه ديمقراطى.. وأغلبية ساسته ونخبه هم من العسكريين! حتى مؤلف الكتاب الحاصل على الدكتوراه من جامعة كاليفورنيا الأمريكية، هو فى الأصل من الذين خدموا فى وزارة الدفاع الإسرائيلية.. لنجد أنفسنا أمام معادلة شديدة التعقيد.. يمكن تبسيطها فى أن «الكيان الصهيونى» عبارة عن جيش خلق مجتمعاً ودولة.. لكنهبقى حريضاً على أن يكون الجيش محترفاً، ومتضرعاً للقتال تحت قيادة مدنية هى فى أغلبها من عسكريين سابقين!

الكتاب الخامس.. «المراج ضد الميخ» مؤلفيه «بن بورا» و«يورى دان» وهما صحفيان أحدهما عمل بجريدة «يديعوت أحرونوت» والثانى فى جريدة «معاريف» وأهميته ترجع إلى أنه قدم دراسة حالة للمعارك الجوية بين مصر وإسرائيل.. والأكثر أهمية أنه أفاد كثيراً قيادة القوات المسلحة، خاصة سلاح الطيران قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣، ولن يحتاج القارئ إلى كثير من الجهد ليفهم أسرار الانتصار.. وأسباب إخفاق سلاح الطيران فيما قبل حرب أكتوبر.

الكتاب السادس.. «الطريق إلى الحرب» من تأليف «ولتر لاكير» وعرضه يكشف عن الأسس التى قامت عليها حملات ما زالت مستمرة، ضد «مصر وسوريا» فى زمن المد القومى.. وستجد أنه كتاب أمريكى بامتياز، هدفه النيل من المسكر الشرقى- الاتحاد السوفيتى والصين- وشاء «محمود عوض» أن يقدمه بأمانة لكى نفهم أن حرب يونيو ١٩٦٧، استهدفت العالم العربى.. ولا يتحقق ذلك سوى عبر ضرب مصر.. ولن أظيل فى التنبيه إلى ما حملة من سموم.. فقد كان أهم أهداف «ممنوع من التداول» هو فتح النوافذ لكى نرى ونسمع ما يقوله ويراه أعداؤنا!

الكتاب السابع.. «العرب وإسرائيل» ومؤلفه إنجليزى هو «تشارلز دوجلاس هيوم» المراسل الحربى لجريدة «التايمز» لذلك لا تندش عندما تقرأ رؤية «بريطانيا» للمنطقة التى غرست فى قلبها خنجرًا مسموماً اسمه «إسرائيل»، وهنا اكتفى بالإشارة إلى أن قضية «العرب وإسرائيل» كما أسماها مؤلف الكتاب.. كانت بعد حرب يونيو ١٩٦٧، تبدو أنه تم سمها.. ثم جاءت حرب أكتوبر ٧٣ لتتسبب أفكار الغرب وإسرائيل ودعايتهما.. فما بالك عندما تقرأ «ممنوع من التداول» وقد تابعت «طوفان الأقصى» ثم «الحرب على إيران» وما حولهما من تفاصيل كثيرة!

الكتاب الثامن.. «جولدا مائير» الذى كتبه «مارى سيركين» وهى صهيونية تحمل جنسية مزدوجة- إسرائيلية وأمريكية- وتستطيع القول إن حكايتها.. تعنى حكاية قيام «إسرائيل» كما تكشف عن حكاية بعض من حكام العرب.. ويكفى أن أترك لك القراءة والفهم! بدأ المؤلف- محمود عوض- كتاب «ممنوع من التداول» بكتابة أربعة فصول، ليقدم رؤية ومعلومات تشهد الطريق للقارئ.. قبل أن يستعرض الكتب الثمانية الكاشفة للعقل والفكر الصهيونى عقب «نكسة يونيو ١٩٦٧» لإيمانه بأن الهزيمة بدأت فى اللحظة التى أهملنا فيها معرفة العدو.. وكأنه أراد أن يفتح قوساً، واختار أن يخلق القوس.. عندما كتب الجزء الثالث بقلمه وجعل عنوانه «وأخيراً» كلمات ليست أخيرة، ليكشف خلاله عن أن الصراع مستمر.. ووضع يده على ما قاله «بن جوريون» عن المستقبل بأن «الشعب اليهودى هو تجمع محاربين.. وراح يحدد أسباب النكسة- الهزيمة- من وجهة نظر مصرية وموضوعية.. فذكر أن: «ما حدث فى ١٩٦٧ أننا ارتكبنا خطاين.. أولهما الحساب سياسياً.. والثانى أننا تركنا علاقات القوى العالمية تنطق ضدنا».. ثم وضع يده على أخطر مسألة.. عندما أوضح خطورة مرض متوطن استشرى فى جسد المجتمع والولة.. فقال: «الأجهزة عندما كانت تخدم الأفراد.. لا تخدم الأمة».. كانت تسعى لتحقيق النزوات، بدلا من أن تسعى لغرض الحرب.. وعندما لم يتم تدارك هذا الخطأ الفادح فى الوقت المناسب.. فإن الخطأ تضخم، إلى أن اكتشفنا فى صباح الخامس من يونيو.. أنه لم يصبح خطأ.. بل أصبح مرضاً!

واصل إلى الضغط على العصب الحساس، لأحد أهم أسباب الهزيمة.. فأوضح أنه تمثل فى الإعلام، وقال بوضوح: «من كان يقرأ صحفنا.. أو يستمع لإذاعتنا فى الفترة السابقة على ٥ يونيو.. كان يحس بالطمأنينة المطلقة والفرح المتزايد».

وأضاف: «كنا نحسب كل شئ على وفق الصحف بدقة متناهية.. وطالما فعلنا ذلك لى الورق، فإننا كنا نتنصص الصعداء.. ونستريح»! ويصل إلى النتيجة المؤلمة: «الذين دفعوا ثمن هذه الدعاية الكاذبة.. هم نحن وليس عدونا.. لقد أصبحنا نحن الضحايا.. ضحايا أوهام ومبالغات اخترعناها.. وبعد ذلك رددناها.. وفى النهاية صدقناها!»

كلمات «محمود عوض» فى «كلمات ليست أخيرة» جاءت صادقة.. صادمة.. مؤلمة.. قاسية.. لكنها أسهمت فى أن تنير الطريق، إلى انتصارات أكتوبر ١٩٧٣.. لذلك يستحق أن نضعه ضمن الذين قاتلوا فى هذه الحرب.. والمفارقة أنه قال كلمته بشجاعة، وقدم للكتاب الدكتور «محمد عبد القادر داتم» الذى كان يشغل وقتها، منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الثقافة والإعلام.. ليبقى الدرس واضحاً لمن يريد أن يتعلم.. فالدولة القوية تملك إعلاماً قوياً.. تملك صحفيين يحترمون القارئ.. يخافونه.. يخافون عليه.. وطريقهم لتحقيق ذلك هو الحرية التى انتزعها «محمود عوض» والمهنية التى بلغ أرقى درجاتها.. وللأسف هؤلاء يدفعون الثمن فادحاً.. وقد دفعه.. عندما حاولوا أن يجعلوه- ممنوعاً من التداول، لكنه انتصر عليهم فى حضوره وغيابه.

الكتاب يصدر عن دار الثقافة الجديدة

أرض الأشرار

يوميات صحفية فى قلب اعتصام رابعة الإرهابى



الزميلة فيروز عبد العزيز داخل اعتصام رابعة

ذكر اسمها، حتى لا ينكشف أمرها، وكم كانت تتعذب لأن هذا المنشور لم يكن ينسب لها، لكنها ضحت بذلك حتى تتم مهمتها. بعد عام من فض اعتصام رابعة الإرهابى، جمعت فيروز أوراقها وأصدرت كتابًا عن تجربتها من دار كنوز، ومن هذا الكتاب ننشر بعض يوميات فيروز من قلب الاعتصام، بقناعة تامة أن هذا الكتاب الذى لم يلتفت له كثيرون من أهم وأدق ما نُشر عن الاعتصام، لأنها كانت أخبرتنا بأنها دخلت الاعتصام وهى محايدة تمامًا، تريد أن تعرف الحقيقة، وعندما عرفت أنها أدركت أن الاعتصام كان باطلاً.. وأن الإخوان كانوا على باطل.. فحق الحياء كان فى النهاية ضد الإخوان.

فى 2013 كانت الزميلة فيروز عبد العزيز تعمل محررة صحفية فى جريدة الفجر، وعندما بدأ اعتصام رابعة الإرهابى، قررت أن تذهب إلى هناك لتقوم بمغامرة صحفية تسجل من خلالها ما الذى يمكن أن يحدث فى هذا الاعتصام. حذرها الجميع من أن هذه المغامرة يمكن أن تدفع حياتها ثمناً لها، فإذا ما اكتشف الإخوان هويتها الصحفية وعملها فى جريدة الفجر المعادية للجماعة، فحتمًا ستعرض لتعذيب شديد، وليس بعيداً أن ينتهى الأمر بقتلها. لم تلتفت فيروز لهذه التهديدات، قررت أن تمضى فى طريقها. دخلت الاعتصام يوم 2 يوليو 2013 ولم تخرج منه إلا قبل الفض بأيام قليلة، نشرت خلال تواجدها فى الميدان تغطيات صحفية عديدة، سبقت بما كتبه صحف ومواقع ووكالات أنباء، وكانت تفعل ذلك دون

نقلتلى لحظات التفتيش من حالة الفضول لاكتشاف الأعماق الإنسانية للاعتصام والمعتصمين، إلى إحساس بائس فى مهمة، وحتماً سادفع ثمناً فى مقابلها، وأدركت أن المسألة أكثر من إشباع رغبة وإرضاء فضول، وأن الأمر يستوجب منى أن أحدد الآن إما أن أكمل طريقى وأتحمل المسئولية وأستعد لدفع الثمن أياً كان، وإما أن أعود إلى بيتى.

سعدت باجتياز مدخل الاعتصام بعد الإجابة عن أسئلة الفتاة، التى تولت مهمة تفتيشى، تستفسر عن سبب حملى كاميرا، وهل أعمل فى الإعلام أم لا.

حاولت أن أطمئنها لتسمح لى بالمرور، ورغم أن الابتسامة لم تكن تفرق وجهه هذه الفتاة، فإنها كانت ابتسامة صفراء تبعث على الخوف وتقلقنى، وكنت أشعر بأن وراءها خطراً ما.

أدرت ظهرى للحاجز الأمنى، ونظرت إلى الداخل، فإذا بى أرى عالماً مليئاً بالإثارة.. خيماً منتشرة على جانبي الطريق المؤدى لوسط الميدان، وأعداداً كبيرة من أعضاء الجماعة وأنصارها من تيارات الإسلام السياسى الأخرى، يفتشون الأرض ويتبادلون الحديث، وكثيرون منشغلون بقراءة القرآن.

صوت هتاف المحيطين بالمنصة الرئيسية يملأ الميدان، وكانت مظاهر البيع والشراء التى بدأت تصاحب التظاهرات فى ميدان التحرير، خلال أيام الثورة الثمانية عشر الأولى، تظهر بوضوح فى محيط رابعة العدوية، فعلى اليسار يفتش بائعو الحقايب والملابس الأرض، وعلى اليمين عريات الماكولات والمشروبات الساخنة والباردة.

لم يكن الاعتصام أخذ شكله الذى بدا عليه فى الأيام التالية لعزل محمد مرسى، وكان الوصول إلى المنصة الرئيسية لا يستغرق وقتاً كبيراً، والأعداد أقل مما حاولت أن تظهره القنوات الفضائية حينها، كما أن أعداد النساء المشاركات

انطلقت بسيارتى فى اتجاه شارع «النصر»، ونشوة المغامرة تسيطر على، خاصة بعدما نجحت فى تغيير هيتى.. كانت عقارب الساعة تشير إلى الثانية بعد ظهر يوم ٢ يوليو ٢٠١٣، ولا شئ يوحى بشئ، والجميع يتربص ماذا يمكن أن يحدث، وماذا سيفعل الجيش بعد انتهاء مهلة الـ٤ ساعة. بمجرد اقترابى من اعتصام الإخوان بمدينة نصر، بحثت عن إحدى منشآت القوات المسلحة لأركن سيارتى بجانبها، بعيداً عن الاعتصام خوفاً من أن يتتبعنى أحد وأنا أغادره ويتعرف على، لكن الأمر بدا وكأن الإخوان سيطروا على المنطقة بأكملها.

أوقفت سيارتى بجوار النصب التذكارى للجندى المجهول، وأفرغت متعلقاتى من حقيبتى، تركت كل البطاقات والكارنيهات التى تكشف شخصيتى الحقيقية، ولم أبق إلا على كارتية الدراسات العليا بكلية الإعلام جامعة القاهرة.

على بوابة الاعتصام، الذى فرض هنا بجوار مسجد رابعة العدوية، قبل أيام قليلة من مظاهرات ٣٠ يونيو، يشكل شباب الجماعة سلاسل بشرية تتراص خلف بعضها، وكانوا يحملون عصى، فى تلك اللحظة أدركت أن قدمى قادتنى إلى خطر يستوجب الانتباه والحرص فى كل خطوة أخطوها داخل المكان.

مرت دقائق التفتيش ثقيلة، وبينما تبعث الفتاة فى حقيبتي تصبب العرق منى، حتى شعرت بأنه يغمر جسدى، ويتلاشى معه حماس القيام بالغمارة، وقد أطالت الفتاة النظر إلى كارتية الدراسات العليا، وذهبت به إلى سيدة تجلس على رصيف مجاور لحاجز تفتيش السيدات، تملكنى الخوف الشديد، الآن كشف أمرى، وسينالنى من العقاب ما أستحقه، إلا أن السيدة أشارت للفتاة بما فهمت منه أنها تسمح لى بالمرور.

اعتصام «رابعة العدوية»، وكتابة موضوعات صحفية من هناك. لم رجب بالفكرة، وبدت على وجهه علامات الاستغراب، وهو ينظر إلى هيتى، ولسان حاله يقول: «كيف تذهبين إلى هؤلاء وأنت هكذا؟». انتهت إليه وفكرت فيما يفكر فيه.. لا بد من تغيير هيتى السافرة، قبل أن أذهب إلى أناس يرون أنى ناقصة دين، ولم يشغلنى الأمر كثيراً فأسهل شئ فى مصر هو أن تغير هيتك. لم يصمد رئيسى فى العمل ولم يدافع عن موقفه كثيراً أمام إصرارى، واكتفى بتجديري من العواقب قائلاً: «خدى بالك من نفسك..».

انطلقت مسرعة إلى منزلى القريب، لأرتدى ملابس تتناسب مع الاعتصام، لكن من أين أتى بما يشبه ملابس نساء الإخوان، وبينما أسير بسيارتى فى شارع شهاب بمنطقة المهندسين، حيث منزلى، لفت انتباهى مبنى محل «التوحيد والنور»، فادركت أن القدر يرسل لى إشاراته، أوقفت السيارة وتوجهت إلى المحل.

على الباب سألت العامل عن ركن بيع ملابس المحجبات، نظر لى بنطالى القصير وقميصى عارى الكتف وشعرى المجدد بتسريحة «كيرلى»، وتلجلج قليلاً، ثم قال: «فى الطابق الثالث»، صعدت إلى الطابق الثالث، ولم يختلف الأمر كثيراً، حيث ظل العاملون ينظرون لى نظرات استهزاء أو استنكار أو تعجب، وكانهم يتساءلون: «لماذا أنا هنا؟».

بادرتهم بالحديث: أريد ملابس فضفاضة سوداء وغطاء للرأس وقفازين وجورباً طويلاً، أسود اللون.. اشتريت ما أريد، وتوجهت إلى منزلى فى الشارع نفسه، ارتديت الملابس الجديدة فى دقائق، وغادرت المنزل مرة أخرى وسط استغراب حارس العقار الذى ظل ينظر لى كثيراً.

لحظة بعد أخرى تأخذنى الهتافات إلى عالم من غموض أريد اكتشافه، وشيئاً فشيئاً تسربت لى رغبة فى أن أكون بينهم لأعرف من هؤلاء؟ فيم يفكرون وماذا يريدون؟

هم بالتأكيد مختلفون عن معتصمى «التحرير»، لا يشبهونهم، وقد كانت اعتصامات التحرير بالنسبة لى «مانيفستو» الاعتصامات الثورية. ربما كان الدافع الأكبر لى هو فضولى الصحفى، لكن دافعاً إنسانياً آخر لم أستطع تحديده على وجه الدقة، كان يُشعل رغبتي فى الذهاب إليهم.

كانت مصر كلها تقف على أعتاب المجهول، قبل يومين خرج الملايين ضد جماعة الإخوان المسلمين، التى وصلت إلى قصر الاتحادية منذ عام تقريباً متوكة على عصا ثورة ٢٥ يناير ودماء الشهداء، وطوال هذا العام لم تفعل شيئاً أكثر من إدارة ظهرها لمطالب «ينابر».

ومنذ ٢٠ ساعة أصدر قائد الجيش الفريق أول عبدالفتاح السيسى البيان الذى عُرف بمهلة الـ٨ ساعة، طالب فيه السلطة والقوى المعارضة بالتوصل إلى حل للأزمة، وإنهاء حالة الصراع السياسى، التى تصاعدت مع إصدار الرئيس المعزول إعلانة الدستورى فى ٢١ نوفمبر ٢٠١٢.

بعد دقائق من تفحص الوجوه، والتركيز مع الهتافات التى يرددونها الآلاف، وكأنها تخرج من حنجرة واحدة، والانتباه إلى الأداء الموسيقى الذى يردد به الواقفون على المنصة هتافتهم، اتخذت قرارى:

سأذهب إليهم.

طلبت من رئيسى السماح لى بالذهاب إلى

«هتافات عالية تغلب عليها اللغة العربية الفصحى، مزيج من الهتافات الثورية التى كنت أردها وأسمعها فى ميدان التحرير، والهتافات الإسلامية التى سمعتها فى تظاهرات الإسلاميين من قبل..»

سرت باتجاه مصدرها.. كان إحدى شاشات التلفاز يقرر عملى حول المشاشة تجمع عدد من زملائى، بين ساخر ومؤيد، نظرت إلى المشهد المهيّب، واختفت الابتسامة التى غطت وجهى قبل دقائق وأنا أتذكر مشاهد تظاهرات يوم ٣٠ يونيو ٢٠١٣.

الهتافات تخرج من حناجر «متسعة، عن آخرها، وجميع الموجودين ينظرون باتجاه منصة يقف عليها عدد من قيادات تيار الإسلام السياسى. أحد الواقفين على المنصة يصرخ بصوت جهورى: «تكيبيبيبي».

انتابتنى حالة من الرهبة الشديدة أمام المشهد الذى لم أزد مثله من قبل، وضعت كوب الشاي على مكتبى، واقتريت أكثر من الشاشة محدقة فيها، لعلى أكتشف الأمر، وأفهم ماذا يحدث.

جماعة الإخوان وصلت إلى قصر

الاتحادية متوكة على عصا

ثورة 25 يناير ودماء الشهداء

كان شباب الإخوان يشكلون سلاسل بشرية تتراص خلف بعضها وكانوا يحملون العصي

تغوّل الإخوان على الأرصفة الملاصقة للأسوار العسكرية ونصبوا الخيام ونشروا ملابسهم عليها

قيادات وعناصر الجماعة الإرهابية كانوا ينظرون لمطالب المعارضين نظرة دونية

أرض
الأشرار



محمد البلتاجي يحرش من أعلى منصة «رابعة»،



مرشد الإخوان محمد بدیع على منصة «رابعة»،

الكاميرا في سيارتي. عدت للميدان مرة أخرى بحجة أنني فقدت بطاقتي داخل الميدان، ودخلت مباشرة إلى منتصف الميدان، ولأني لم أكن قد رتبت ماذا أفعل، دخلت إلى دورة المياه في الطابق الثاني في دار المناسبات، لم استغرق دقائق قليلة، وعدت في اتجاه الخروج، ووقفت على بُعد ٥٠ مترًا من مدخل الميدان، وكانت الوفود الصعيدية ما زالت تتدفق، والغريب أنهم بمجرد دخولهم كانوا يندمجون بشكل سريع في الاعتصام، ويتعرفون على بعضهم، والبعض الآخر يذهب في اتجاه خيام معينة.

ذهبت وسألت أحدهم، كان يقف بين ٥ أشخاص: أنتم قادمون من الصعيد؟

أحدهم رد بـ «نعم، والآخر سألتني لماذا أسأل، فقلت له إن أقاربني يريدون المجيء، وهناك من يقول إن الطريق مقطوع، فقال لي إن الطريق ليس مقطوعًا، هم من أي منطقة بأسبوط؟ قلت

له قرية اسمها منقباد تابعة لمركز أسبوط. نادى الرجل على شخص يُدعى حسن. شاب في

الثلاثينيات يبدو أنه متعلم، وتظهر عليه ملامح القيادة، كان يحمل ٢ هواتف موبايل، ومعه حقيبة أوراق. قال له الأخت تقول إن أقاربها في مركز

أسبوط، ولا يستطيعون المجيء إلى هنا، ويخافون من ظروف الطريق ويريدون وسيلة نقل.

لم يسألني «حسن» عن أي تفاصيل، فقط قال لي أعطيني أسمائهم ومكانهم، وسيلة اتصال بهم، وسوفر وسيلة لنقلهم إلى هنا. كان الأمر

حقينتي واستخدام هاتفي المحمول لأهذا قليلًا، بالنسبة لي مفاجئ وكأني وهرلت نفسي، حاولت

أن أبذل طبيعيتي وشغلت نفسي بالبحث في ستون، وبمسرد الأخبار فقط كانت المصبة والتقنوات

لتي، سرتب كل شيء، بارك الله فيك. عرفت أن هؤلاء جاءوا من محافظاتهم لتنظيم

مسيرة من رابعة، إلى «الاتحادية»، ثم ستعود إلى «رابعة»، وأنهم سيعدون إلى محافظاتهم يوم

السبت، وبعدها غادرت الميدان. وفي لحظة الخروج تزايدت الوفود، وتراصت

أتوبيسات المحافظات، بجوار سيارات فارعة، معظمها من ماركة مرسيدس، خارج الميدان.



عدت إلى منزلي في الحادية عشرة مساءً تقريبًا. وجلست أمام شاشات الفضائيات، التي كانت تحلّل تداعيات عزل مرسى وإعلان خارطة الطريق، وتأدية الرئيس عدلي منصور اليمين الدستورية. داخل «رابعة»، لا يمكن أن تعرف شيئًا مما يدور خارج الاعتصام، وكأنك تدخل عالمًا آخر، ومصدر الأخبار فقط كانت المصبة والتقنوات الفضائية الداعمة للإخوان.

استيقظت في الساعات الأولى من صباح يوم الجمعة ٥ يوليو، على شائعات متناقضة حول تفاصيل القبض على رجلتي الجماعة القويين، المرشد محمد بديع، ونائبه خيرت الشاطر، فطوال الليل تبارت القنوات الفضائية في إذاعة أخبار القبض على الرجلين، والكل يضع شارة «حصري». لكنني كنت فقدت الثقة في كل من حولي. قررت الذهاب لأرى بعيني وأسمع بأذني وأرصد بكامل حواسي حال معتصمي رابعة بعد القبض على قياداتهم.

انطلقت إلى رابعة، وبينما كنت أعلى كوبري أكتوبر في اتجاه شارع النصر، رأيت المشهد

حتى إن بعضهم اصطدمن بي أكثر من مرة، وحاولت استعادة توازني، وتقليل مراقبتي

للأخوات، والانضمام لهن في الهتاف خلف الواقفين على المنصة، حتى بداوا في توجيه

الدعاء على أعداء الإسلام، والدعوة بنصرة الرئيس المؤمن، وجدتني أحرك شفتاي فقط دون

تفاعل حقيقي مع ما يقال. وشهد هذا اليوم وجودًا حقيقيًا لدالميديا،

ووسائل الإعلام الغربية، وأيضًا سيارات البث الخاصة بالتلفزيون المصري، وقد تغير شكل

المنصة تمامًا. فقد أعادوا بناءها، وأصبحت أكثر أرضيتها بالسجاد، وتحول محيط المنصة، خلف

الاعتصام، المواجه لصحن جامع رابعة، إلى ما يشبه تكتة عسكرية يسيطر عليها حراس الجماعة،

واعتقد أنهم كانوا غير مصريين، فلهجتهم مختلفة عنّا وأغلقوا الباب المؤدى إلى المنصة، وتم

بناء حجرة بالخشب خلف المنصة وتمتد إلى أسفل المنصة، بوابة حديد، يقف عليها حارس ممنوع أي

أحد يدخلها أيًا كان، إلا قيادات أحمدر، والبلتاجي،

وصفوت حجازي، وقيادات الجماعة الإسلامية، والجبهة السلفية، وجميعهم كان يتحدث في

اتجاه واحد هو رفض الانقلاب وعودة الشرعية. وبدأ يدخلها أيًا كان، إلا قيادات أحمدر،

وصفوت حجازي، وقيادات الجماعة الإسلامية، والجبهة السلفية، وجميعهم كان يتحدث في

اتجاه واحد هو رفض الانقلاب وعودة الشرعية. وبدأ يدخلها أيًا كان، إلا قيادات أحمدر،

وصفوت حجازي، وقيادات الجماعة الإسلامية، والجبهة السلفية، وجميعهم كان يتحدث في

اتجاه واحد هو رفض الانقلاب وعودة الشرعية. وبدأ يدخلها أيًا كان، إلا قيادات أحمدر،

وصفوت حجازي، وقيادات الجماعة الإسلامية، والجبهة السلفية، وجميعهم كان يتحدث في

اتجاه واحد هو رفض الانقلاب وعودة الشرعية. وبدأ يدخلها أيًا كان، إلا قيادات أحمدر،

وصفوت حجازي، وقيادات الجماعة الإسلامية، والجبهة السلفية، وجميعهم كان يتحدث في

اتجاه واحد هو رفض الانقلاب وعودة الشرعية. وبدأ يدخلها أيًا كان، إلا قيادات أحمدر،

وصفوت حجازي، وقيادات الجماعة الإسلامية، والجبهة السلفية، وجميعهم كان يتحدث في

اتجاه واحد هو رفض الانقلاب وعودة الشرعية. وبدأ يدخلها أيًا كان، إلا قيادات أحمدر،

وصفوت حجازي، وقيادات الجماعة الإسلامية، والجبهة السلفية، وجميعهم كان يتحدث في

اتجاه واحد هو رفض الانقلاب وعودة الشرعية. وبدأ يدخلها أيًا كان، إلا قيادات أحمدر،

وصفوت حجازي، وقيادات الجماعة الإسلامية، والجبهة السلفية، وجميعهم كان يتحدث في

اتجاه واحد هو رفض الانقلاب وعودة الشرعية. وبدأ يدخلها أيًا كان، إلا قيادات أحمدر،

وصفوت حجازي، وقيادات الجماعة الإسلامية، والجبهة السلفية، وجميعهم كان يتحدث في

اتجاه واحد هو رفض الانقلاب وعودة الشرعية. وبدأ يدخلها أيًا كان، إلا قيادات أحمدر،

وصفوت حجازي، وقيادات الجماعة الإسلامية، والجبهة السلفية، وجميعهم كان يتحدث في

اتجاه واحد هو رفض الانقلاب وعودة الشرعية. وبدأ يدخلها أيًا كان، إلا قيادات أحمدر،

وصفوت حجازي، وقيادات الجماعة الإسلامية، والجبهة السلفية، وجميعهم كان يتحدث في

اتجاه واحد هو رفض الانقلاب وعودة الشرعية. وبدأ يدخلها أيًا كان، إلا قيادات أحمدر،

وصفوت حجازي، وقيادات الجماعة الإسلامية، والجبهة السلفية، وجميعهم كان يتحدث في

اتجاه واحد هو رفض الانقلاب وعودة الشرعية. وبدأ يدخلها أيًا كان، إلا قيادات أحمدر،

وصفوت حجازي، وقيادات الجماعة الإسلامية، والجبهة السلفية، وجميعهم كان يتحدث في

اتجاه واحد هو رفض الانقلاب وعودة الشرعية. وبدأ يدخلها أيًا كان، إلا قيادات أحمدر،

وصفوت حجازي، وقيادات الجماعة الإسلامية، والجبهة السلفية، وجميعهم كان يتحدث في

اتجاه واحد هو رفض الانقلاب وعودة الشرعية. وبدأ يدخلها أيًا كان، إلا قيادات أحمدر،

وصفوت حجازي، وقيادات الجماعة الإسلامية، والجبهة السلفية، وجميعهم كان يتحدث في

اتجاه واحد هو رفض الانقلاب وعودة الشرعية. وبدأ يدخلها أيًا كان، إلا قيادات أحمدر،

وصفوت حجازي، وقيادات الجماعة الإسلامية، والجبهة السلفية، وجميعهم كان يتحدث في

اتجاه واحد هو رفض الانقلاب وعودة الشرعية. وبدأ يدخلها أيًا كان، إلا قيادات أحمدر،

أحملها لأسجل بها كل ما أستطيع تسجيله، فقد بدأت أتعامل مع الاعتصام بشكل مختلف، الآن

أبدأ اكتشاف كل ما يدور داخله ورصده وتسجيله. بدأ واضحا أن أعداد الخيام تضاعفت، وأضيف

على من رأيتهم سابقًا خليط من البشر، وزادت أعداد النساء بشكل ملحوظ، بعضهم كان يساعد

في ترتيب الخيام ونصبها، كما تضاعفت أعداد الأطفال، وأصبح التجول في الميدان أصعب بكثير

من الأيام السابقة على عزل مرسى. كان الجميع في انشغال تام بتجهيز الميدان

والاعتصام، أنت أمام خلية نحل، كل من فيها يتحرك، وفي اتجاهات مختلفة، وقد اصطدمت

مرات عديدة بأشخاص يحملون معدات وخيامًا لنصبيها.

دخلت الميدان في الحادية عشرة صباحًا، وتركته في العاشرة والنصف مساءً، وشكله كان يتغير كل

ساعة تقريبًا، كل ساعة تزداد تفاصيل الزحام فيه، وتتضاعف عدد المشاركين. لحظة دخولي الميدان

شاهدت سيارات رعب نقل كثيرة تحمل لافتات ومعدات وخيامًا وأعمدة خشبية، وكانت هناك

مجموعات كبيرة من الشباب صغير السن، تقفشر الأرض، وتكتب على هذه اللوحات ما يريدون من

شعارات لتجهيزها وتعليقها في أرجاء الاعتصام. في منتصف اليوم، ونحت الشمس الحارقة، زادت

هيستريا الكتابة على جدران المباني في محيط الاعتصام، خاصة المباني التابعة للقوات المسلحة،

تصف ما حدث بدأ الانقلاب... وبدأ أنهم قرروا ترسيخ كلمة «انقلاب» في أذهان المصريين، وكانت

كل بوستراتهم ولافتاتهم تؤكد ذلك. وحتى كانوا يتحدثون على المنصة، ورغم أنني لم ألتهم

أو أميز أصواتهم، كلهم كانوا يصرخون بأصوات عالية وبطريقة هستيرية رفضًا لد«الانقلاب»،

وعلى خلفهم ملصق كبير بطول المنصة، يعتبر ما حدث انقلابًا على شرعية الرئيس.

وبعد منتصف اليوم بدأ الاعتصام يأخذ شكله، الذي ظهر به بقية الأيام، من حيث التنظيم. وكان

الجميع— خاصة القواعد— في حالة غضب غير طبيعية، والهتافات أغلبها صراخ، وانست حدود

الاعتصام لتشمل من أول «التنظيم والإدارة» عند مدخل النصر، وحتى مبنى إدارة المرور من

ناحية «طبية مول»، وضمت الشوارع الجانبية، وبدأ أن المسؤولين عن تنظيم الاعتصام كانوا على

علم بكل تفاصيل الشوارع الجانبية، والمنطقة المحيطة بالاعتصام، وكيف يستغلونها، فعضوا دار

المناسبات ومبنى سكن طاليات جامعة الأزهر. وقد بدأت تظهر الأسر، وتضم الخيام عائلات.

كنت أسمع، طوال اليوم، أن عائلات القيادات الإخوانية انضمت للاعتصام منذ الصباح الباكر،

ورغم أنني ظلت أبحث عنها، وأسأل عن أماكن وجودها، فإنني لم أفجح في العثور على أي فرد من

أبناء القيادات، ولم يكن أحد يعلم أين هم، لكن الحديث عن وجودهم لم ينقطع.

ويحدث أيضًا عن أماكن الأخوات، كنت تعلمت أن أصفهن بالأخوات، وليس النساء، وقد ذهبت إلى

تجمعهن بسار المنصة. وبصعوبة شديدة تسلمت إلى المنصة، وأمامها مئات النساء، أغلبهن شابات،

وبعضهن تشير ملابسهن السوداء الأنيقة، التي تشبه ملابس الخليجيات، وهواتفهن المحمولة

الغالية، إلى أنهن من أبناء أقرىاء الجماعة، وكن يشكلن مجموعات صغيرة تضم كل واحدة منها

٤ أو ٥ فتيات يقفن بعيدًا عن الآخرين ويصلين معًا ولا يتحدثن مع الأخريات من العامة، حتى

إنني شعرت بأن هذا الانفصال متعارف عليه في الجماعة، وأنه لا يجوز للفقراء الاقتراب من

الأثرياء. جلست وسط الأخوات نحو ساعة ونصف

الساعة، مرت خلالها صلاة العصر. وبعد الصلاة افترشت الأخوات الأرض وانشغل معظمهن

بترديد الأذكار، وانشغلت الأخريات بالأحاديث الجانبية، وجلست بينهن أتفحص الوجوه

الغاضبة المحتقنة، في انتظار الانتشاء من ترديد الأذكار، ومرت الدقائق وعيناي تتفحص

المحيطات بي من فتيات صغيرات تجمعن حول جهاز كمبيوتر محمول، يطالعن المواقع الإخبارية

الإخوانية، فقد كنت ألح الشعارات الإخوانية تعلق صفحة الكمبيوتر.

وبينما انشغلت عينااي بالتفحص والمراقبة، تابعت أذني الهتافات الحماسية والصيحات التي

تنطلق عبر المنصة، وتنفض لها الأخوات وقوفًا،

يتعاطاه القابعون في «رابعة»، يجعلهم متفقيين في كل شيء، لديهم القناعة نفسها، والحجج

نفسها، فالجميع ينتظر ما سيفعله الرئيس محمد مرسى، انتظار الفاتح، يتحدثون عن

منبحة للمعارضين، وبينما دولة تتسع لهم، ومن سواهم سعيش ذليلًا، يُكفر عن ذنب معارضته

لحكمهم الإسلامي، الذي يتيح للحاكم الشرعي تطبيق الحدود على الخارجين.

ويخطئ متعجلة ذهبت مسرعة في اتجاه بوابة الخروج، وبالقرب من البوابة صادفت مهندس

كمبيوتر كنت أعرفه، وبمجرد أن شاهدني أمامه، قال: «ما شاء الله... مبروك على الحجاب»، وقد

كنت أعرف هذا الرجل منذ فترة، ولم أكتشف لحظة واحدة أنه إخواني، إلا في لجنة الانتخابات

الرئاسية بمسكن الضباط في الرماية، حيث سئمتني القديم، فقد كان مسئولًا مع آخرين عن

حملة «مرسى» داخل اللجنة، وبدأ من تعامله وقتها أنه قيادي بالمنطقة.



استيقظت من النوم بعد الظهر يوم ٣ يوليو، وكانت الحياة بالنسبة لي متوقفة تمامًا. ننتظر

خيرًا سعيدًا بعزل مرسى، أو غير سعيد بتأكيد بقاءه، ليتحدد مصير البلد.

كانت لدي رغبة حقيقية في ألا أغادر منزلي، لكن أصدقائي أقنعوني بضرورة النزول لدعم

الجيش لاتخاذ قرارات لصالحنا، وكان اليوم هو أكثر الأيام التي تلقت فيها اتصالات تحثني

على الذهاب إلى الاتحادية، وذهلت من العدد الممول الذي وجدته هناك، كنا في انتظار خطاب

السياسي الذي تأخر ما زاد حالة القلق، ولاحظت ظهورًا مغطًا لأعضاء التيار الشعبي المصري، وكان

واضحًا أن لهم دورًا كبيرًا في الترتيب للاعتصام أمام الاتحادية، إذا جاء خطاب السياسي في

مصلحة الإخوان. وحين بدأت إذاعة الخطاب ساد الهدوء محيط

الاتحادية، وانصرف كل منّا إلى أقرب مكان يسمع منه جيدًا، وتجمعت الأعداد حول السيارات، التي

فتحت أجهزة الراديو، واقتربت بصحبة أصدقائي من إحدى السيارات. هذا القلق وراح التوتر

والترقب مع إعلان السياسي عن خارطة الطريق وعزل مرسى، لكن الجميع ظل منصتًا حتى انتهى

الخطاب وبدأوا في التليل والتكبير والتعبير عن الفرح، فانطلقت الزغاريد، وأحضن كل منا

الأخر، وانهمرت الدموع على الوجوه. ووقتها أدركت أن السياسي سيضع ثمن خطابه،

وظلت عينااي تدمع دموع الفرح، وأنا لا أصدق أن السياسي، الذي قيل لنا إنه «إخوان»، وإن نساء

أسرته منتقيات، انجاز للشعب ضد مرسى الذي عينته لأنه واحد منهم كما يراد لنا أن نصديق.

كانت سماء الاتحادية تصدح بأجواء فرح عارمة ومكثرة الصوت على المنصة تدبّع الأغاني

الوطنية بصوت عبدالحليم حافظ، وشادية.. «يا حبيبتي يا مصر»، وزادت حماسة المتظاهرين.



صباح ٤ يوليو جرت إذاعة إلى اعتصام رابعة، استعدت نفسي حين، علني أن أنسى أنني من

الأعداء، وأخفى فرحتي بعزل مرسى قدر الإمكان، فلا بد أن القابعين على أبواب رابعة العدوية لن

يرحموا أحدًا نزل ضدهم، أو حتى عارضهم بكلمة، لا بد أنهم لم ينأمو ليلتهم الماضية بفعل

الضربة الموجهة التي تلقوها. في الطريق إلى رابعة كان واضحًا أن الحياة

بدأت تعود إلى الشوارع على عكس الأيام الماضية، التي كنت أشعر فيها بأن البلد تجمد وفي انتظار

ما يذيب الجليد، وبمجرد وصولي إلى جامعة الأزهر بمدينة نصر، بدأت تظهر ملامح الاعتصام.

عدد كبير من السيارات مصطف على الناحيتين، والأتوبيسات تنزل القادمين من

الريف، وكل منهم يحمل في يده كيس بلاستيكي أو حقيبة سفر صغيرة، وسخانات الكهرباء الصغيرة،

وقد زادت الحواجز الأمنية، واتسعت المقادير، وتغيرت وجوه المسؤولين لتصور رئيسهم محمد مرسى،

إشارة الواثقين في قدرته على تجاوز المرحلة، وسحق المعارضين وتلقيتهم درسًا يعيد إليهم

صوابهم، فالمعارضون للإخوان من وجهة نظرهم، عملاء وخونة، وعديوهم الدين ومرترقة.

خرجت من الميدان، ولديّ قناعة بأن شيئًا ما



فيروز

يومًا بعد يوم بدأت تظهر جنسيات أخرى داخل اعتصام الإخوان في رابعة لا سيما السوريات



في الاعتصام كانت قليلة، وتبادر إلى ذهني أن هناك مكانًا مخصصًا للسيدات، فسألت أحد المعتصمين أين توجد النساء؟

استنكر لحظة النساء وأشار بيده تجاه المنصة، وقال: الأخوات تجمعن هناك.

لم تكن هناك وسائل إعلام كثيرة، فقط الموالية للإخوان، وكان واضحًا انتشار كاميرات قناة

«الجزيرة» والعاملين بها في أرجاء المكان، خاصة بالقرب من المنصة، وكانوا يضعون شارة «الجزيرة»،

وهو ما لم أره في الأيام التي تلت عزل مرسى. كان لافتًا بالنسبة لي في هذا اليوم غياب

نجوم الجماعة، وقد تملكني إحساس حينها بأن الجمع يسيطر عليه السلفيون والجماعات

الإسلامية الأخرى. وكان السوداء الأعظم منهم إما شبابًا صغيرًا أو شيوخًا، وبينما كان الشيوخ

أكبر من ٦٠ عامًا غير معروفين، كان عدد كبير من الشباب معروفين ونشطاء في فعاليات التيارات

الإسلامية، وبدأ أنهم متمرسون على التعامل مع المظاهرات، وظهر ذلك في طريقة استقبالهم

الاحتفائية بالقادمين للمشاركة في التظاهر، بعد المرور من حواجز التفتيش.

وقد كان الجمع أشبه بجلسات ومؤتمرات نشر الدعوة، والمنصة الرئيسية متواضعة من حيث

التجهيزات وقلة عدد اللافتات الملصقة عليها، بالمقارنة بالأيام التالية لعزل مرسى، واقتصرت

هذه اللافتات على التنديد بالإعلام الكاذب والإعلاميين «سحرة فرعون»، والتأكيد أن الرئيس

الإخواني هو صاحب الشرعية.



تجولت في المكان لأعرف حدود الاعتصام، كانت له بوابتان الأولى عند «طبية مول»، وهي أقل

ثمنين من الثانية عند مدخل «طريق النصر». كان سهلًا وأنت تتجول في الميدان أن ترى جدران

المؤسسات العسكرية القابعة في محيط الميدان، يصطف أفراد حراساتها أمامها، دون أن تلمسها

يدى المعتصمين. بينما اختفى ذلك فيما بعد حيث تغول الإخوان على الأرصفة الملاصقة

للأسوار العسكرية ونصبوا الخيام ونشروا ملابسهم ومتعلقاتهم عليها. كما أن عقارات

منطقة رابعة لم يكن طالتها ما طالها بعد عزل مرسى من استيلاء على حرماها ومدخلها. كما

أن بعض المحيطة بالاعتصام كانت تعلق أعلام الإخوان وصور مرسى، ولافتات مكتوبًا

عليها «لا إله إلا الله»، خاصة في العتائم الواقعة بين مدخل «النصر».

وبينما التجول بالميدان بمسكة بكاميرا تصوير فوتوغرافي يلتصق كتفي بإحدى المراسلات

الأجنبيات لتتبادل الابتسامات الخاطفة قبل انطلاقتها مسرعة لتصوير إحدى المسيرات

محدودة العدد، وبينما أتفحص ملابس الفتاة المتبرجة يسود إلى الندم لقدومي متكررة

بملابس سوداء ثقيلة جعلتني أتصعب عرقًا، وكان من الممكن المجيء متبرجة مثل مراسلات

الصحف الأجنبية، لم أدرك يومها كيف وفرت لي هينتي التتكرية الشبيهة بملابس الأخوات

معاشية حقيقية لم يكن من المقصور توافرها بهيئتي المتبرجة.

غادرت الميدان بعد ساعات قليلة، فلم أجد ما يثيرني ويدفعني للبقاء؛ فالقابعون بالميدان

سيطرت عليهم كل مساوئ السلطة من غرور وطمسرة وعدم إدراك للواقع، يرفضون أي حديث

عن تنازلات ويسخرون من مجرد الدعوة لإقالة حكومة هشام قنديل رئيس الوزراء الإخواني،

الذي ظلت المعارضة تطالب بإقالته قبل شهر من ٣٠ يوليو. ينظرون لمطالب المعارضين نظرة دونية

جعلتهم يصوتهم بالعالمانيين الكفرة، يتحدثون عن بقائهم في السلطة لعشرات من السنين،

ويشيرون بأصابعهم لتصوير رئيسهم محمد مرسى، إشارة الواثقين في قدرته على تجاوز المرحلة،

وسحق المعارضين وتلقيتهم درسًا يعيد إليهم صوابهم، فالمعارضون للإخوان من وجهة نظرهم،

عملاء وخونة، وعديوهم الدين ومرترقة. خرجت من الميدان، ولديّ قناعة بأن شيئًا ما

أرض الأشرار

كان رجال الإخوان يحملون الشوم والعصى وينفذون ما يشبه حملة تفتيش داخلية

عند دخول الاعتصام انطلقت فتاة تتحسس جسدى بطريقة عنيفة ومستفزة وتنظر إلى متأهبة



عنف عناصر جماعة الإخوان

مهيباً . مئات المتظاهرين ينتشرون خارج الميدان وحالة التأهب واضحة عليهم، رغم أن الساعة الآن لا تتجاوز الثامنة صباحاً . أبطأت سرعة سيارتى استعداداً للنزول من الكوبرى، والخضوع للتفتيش، بعدما اكتشفت أن هناك نقاط تفتيش للسيارات والأفراد قبل حدود الاعتصام . هذا المشهد لم أزه من قبل، لم يكن امتد عمل اللجان الشعبية حتى كوبرى أكتوبر، ولم أر من قبل الحشود فى طريقها للميدان، تخيلت فى اللحظة الأولى أنهم يخلون الميدان، وأن الجماعة استعانت بشبابها الأقوياء لإرغام من يرفض مفارقة الميدان على الرحيل، بعد عقد صفقة . وأنا على الكوبرى تبين الأمر جيداً، لم يفضوا الاعتصام، لكنهم تمهدوا . أعضاء اللجان الشعبية يصطفون فى صفوف خلف بعضها، بين كل صف والآخر نحو ٥٠ مترًا . وكان الأمر شديد التنظيم، وبدأ أنه طريقة جديدة لإعادة ترتيب أوضاع الميدان وعملية الدخول إليه .

سألنى شاب فى الثلاثينيات من عمره بصوت حاد ومتسرع: داخلة الاعتصام؟

– إن شاء الله .

طلب منى النزول من السيارة . فترجلت على الفور، وفتشوا سيارتى تفتيشاً متأنياً ودقيقاً، ودون استئذان أخذ أحدهم حقبة يدي وفتحها وفتشها، وأخذ كارنيه الدراسات العليا الخاص بى، وأعطاه للشاب الذى سألنى فى البداية .

ولم يلبثت أحد إلى حالة الاستياء والذهول البائدة على ملامحى، وبعدما دقق الشاب الثلاثينى النظـر فى الكارنيه وأعاد قراءة بياناته أكثر من مرة، سألنى عن الكاميرا التى أحملها وفيما أستخدامها، قلت له إننى أصور الاعتصام، وأنشر الفيديوهاـت على مواقع التواصل الاجتماعى، فدقق النظر مرة أخرى فى الكارنيه وفى صورتى القديمة المتهالكة، وأعاده لى، وطلب منى ركن السيارة والسير حتى الاعتصام، دون أن يعطينى أى فرصة لأسأله عن ضرورة هذه الإجراءات الشديدة، عن الأيام السابقة .

بالفعل أوقفت السيارة بجوار منزل كوبرى أكتوبر، وحملت حقبة يدي والكاميرا وسرت على قدمى، ولم أكد أجاوز بضعة أمتار حتى استوقفتنى الحواجز الأمنية المنتشرة فى شارع النصر، ولم يتقدنى من بين أيديهم تأكيدى لهم أننى تعرضت للتفتيش قبل دقائق .

فتشونى أكثر من مرة، وعندما أعلنت تدمرى مما يحدث، وأننى تعرضت للتفتيش أكثر من ٣ مرات، جأئنى شاب صغير برفقته فتاة، وطلب منها اصطحابى للدخـل، حتى يتم تفتيشى ذاتياً .. لقد حدث ذلك وبشكل مهين جداً . أوقفتنى الفتاة فى ركن جانبى بجوار الحاجز الأمنى، الذى أصبح حائطا، يقطع الشارع بطول مدخل الميدان . دون استئذان انطلقت الفتاة تتحسس جسدى بطريقة عنيفة ومستفزة، وتنظر إلى متأهبة، كما لو كانت تنتظر أى تدمر أو اعتراض منى، لتجد سبباً لتأديبى وربما صفعى على وجهى أو حتى تعذيبى، فكيف لى أن أعترض على إجراء تأمين الميدان، حتى لو كانت عمليات التفتيش لا تنتهى؟ لم يكن أمامى غير امتصاص الغضب، وكتم دموى حتى تنتهى . لكن الواقعة أعادتنى بالذاكرة إلى زيارة قمت بها مع صديقتى لأحد أقاربها فى السجن . تعرضنا للتفتيش بالطريقة نفسها، ما جعلنى أتيقن أن هذه الفتاة زارت السجن كثيراً وتمارس على ما كان يمارس عليها .

حاولت جاهدة أن أبـدو غير متدمرة، وأحسست وقتها بأن عينيـى ستخـذلنـى، وتـسـرق دمـوع الإحساس بالمهانة . وكـم تمنيت لو شاهدت هذه الفتاة مرة أخرى بعيداً عن الميدان . توقفت الفتاة وانصرفت وكلـى غضب باتجاه الميدان . أعتقد أنهم عاقبوني على رفضى التفتيش المتكرر أو هذه طريقة لردع أى شخص يفكر فى الاعتراض على قراراتهم . وكان ذلك واضحاً فى طريقة استدعاء الفتاة وتعاملها معى .

وفى عز الغضب والعجز أفقت على الفتاة تنادىنى.. أنت أنت، خذى حقيبتك، فقد كنت انصرفت دون أخذ حقيبتى . أدرت وجهى ناحيتها مرة أخرى، وأنا أنظر فى الأرض، خوفاً من أن تتلاقى عنـيـها القـويـة وعينيـى المكسورة، وأفقد أعصابى وتكون العواقب وخيمة . مددت يدي وأخذت حقيبتى دون أن أنظر إليها وانصرفت . ساقـتـنـى قـدمـاى باتجاه دورات المياه لأغسل وجهى، والملم أشلاء نفسى . وأعود إلى بيتى وكفانى ما حدث . لكن ودون أسباب قررت البقاء فى الميدان .. ورغم أننى تعرضت للتفتيش كثيراً طوال أيام الاعتصام فإن هذه المرة كانت الأكثر إيذاء لى . والتفتيش الذاتى كان قراراً لحظياً لأعضاء اللجنة الشعبية، ولا قواعد ثابتة له .

وقبل أن أتجول داخل الميدان، اصطدمت بأعداد كبيرة من الرجال، يصطفون أمام الخيام، وينتشرون بينها، يحملون الشوم والعصى وينفذون ما يشبه حملة تفتيش داخلية، فقد كانوا يدخلون إلى الخيام ويفتشونها ويعرفون من بداخلها، وساکـنـو هذه الخيام لم يتدمروا أبداً، بل تركوا حاجاتهم لهؤلاء يعيشون فيها كيفما شاءوا . والخيام شبه خاوية، رغم أن الوقت ما زال مبكراً على صلاة الجمعة .

بصعوبة شديدة وصلت إلى حدود المنصة الرئيسية، أمام جامع رابعة العدوية، المشهد مزدحم بالتفاصيل، وعشرات الكاميرات معلقة فوق المنصة المكتظة بشباب يحملون معدات التصوير، التى يستخدمها العاملون بالمحطات الفضائية .

ظلمت أتجول بعينى حولى، يميناً ويساراً، لأرصد حالة الميدان . وقد تعجبت من اختفاء حالة الغضب التى ظهرت أمس بسبب القبض على بديع والشاطر . واستقرت الجموع فوق المنطقة المحيطة بالمنصة، فلم يبق مكان لموطئ قدم، وحاولت المرور حتى الجهة اليمنى من المنصة، حيث توجد الأخوات، لكن دون جدوى . حتى تجاوزت الساعة الحادية عشرة .

لم تكن الوجوه منكسرة أو حزينة للقبض على قيادات الجماعة، وأيضاً لم تكن سعيدة، بل كانت تسيطر عليها حالة من النشاط والناشط، وكانت الأنظار مشدودة نحو أمر ما، أنا لا أراه... حالة الهرج والمرج تسيطر على الميدان ومئات الشباب الصغار «طلاب جامعة، ينتشرون، ويهرولون يميناً ويساراً، ويحملون أشياء ويصطحبون أشخاصاً ويوزعون العصائـر وأعطية للراس . وقفت أمام الحاجز الذى بُنى بأحجار تم خلعها من رصيف الشارع .

الامر يوحى بأننا مقبلون على حدث كبير، حركة الميدان متسارعة، ومسيرات صغيرة تجوبه، وخيامه خالية من البشر؛ فالجميع يتحرك، ومدخله ومخارجه صارت أشبه بتكنات عسكرية بفعل عمليات البناء والتأمين، وسيارات ضخمة تنقل مواد البناء، وأصوات الهتافات تملأ الأرجاء . الكل منشغل بعمل ما يؤديه . كل ذلك كان يقول إننا مقبلون على حدث ضخم .

وقد كان مشهد السيارات التى تنقل مواد البناء غريباً جداً بالنسبة لى، فلم أفهم سبب وجود كل هذه السيارات، وما تحملـه من مواد تكفى لبناء سور حول مدينة .

وبينما استرق السمع علمت أن اليوم سيشهد مسيرات للشوارع المحيطة بالاعتصام، وستقطع خلاله الطرق وتعمل الحياة فى المنطقة للإعلان عن قوة الاعتصام . يريدونه مثل أيام ٢٥ يناير الأولى فى التحرير .

كانت حرارة الشمس أقل سخونة من الأحداث على أرض الميدان، وهناك تم سألنى عن كيفية المشاركة فى المسيرة المتجهة إلى شارع الطيران، وأخرى تسأل عن الانضمام للجان التفتيش النسائية عند البوابات .

وانتشرت أنباء عن لقاء أعضاء تحالف دعم الشرعية، خاصة القيادى الإخوانى عمرو دراج، مع مسئولين امريكـيـن للضغط على الجيش لإعادة الشرعية، وشائعات تؤكد عودة الرئيس ما بين لبلة وضحاها، والحالة المعنوية فى ارتفاع ليس له مبرر من وجهة نظرى، فالجماعة الآن فى غرفة الإنعاش تقريبا . لكن وجوه المعتصمين ومن ينتشرون بالميدان وحالة النشاط، توحى بأن شيئاً ما يحدث لا أستطيع توقعه .

ظلمت أقف بجوار الحاجز فترة طويلة، لأستكشف المكان وأحاول استيعاب ما يحدث، وفوجئت بشاب يلقي على راسى من أعلى سلكا كهريباً، ويطلب منى أن أساعده فى تركيبه . بينما يتحدث من يقفون بجانبنا عن مسيرات قادمة من كل بقاع مصر، خاصة المناطق الغربية من الاعتصام، وتحديدأ عين شمس .

وقال لى الشاب الذى ساعدته فى توصيل سلك الكهترىـا من عمود الإشارة إلى مجموعة الخيام القريبة، إن ما يقرب من عشرين مسيرة تضم آلاف المؤيدين للشرعية رجالاً ونساء، خرجت من عين شمس فى اتجاه الاعتصام للانضمام إلى مسيرات ستخرج اليوم عقب كلمة «سيدنا» .

كنت قد سمعت كلمة «سيدنا» تقال ذات مرة، على المرشد محمد بديع، قائلها بالصفة إحدى القضايا التى انتقدت الإعلام والهوجة الإعلامية على «سيدنا» عندما وصف الإعلاميين بأسخرة فرعون.. وعندما كررها الشاب فهمت لماذا حالة النشاط والتأهب العالية التى يبدو عليها الميدان، وتوقعـت أن المرشد سيأتى أو ربما أتى بالفعل لإلقاء كلمة أمام المعتصمين .

خشيت أن أسأله، ماذا يقصد بكلمة «سيدنا»؟ فعملوماتى وما رددـه الإعلام أن بديع قبض عليه مع الشاطر، فكيف سيأتى وقد قبض عليه؟، قلت ربما يكون الشيخ يوسف القرضاوى، أو أحد كبار الجماعة . ولم أسأل الشاب حتى لا ألفت الانتباه إلى أننى لست منهم .

وقتها أدركت أهمية الذهاب إلى محيط المنصة للاستماع إلى كلمة المرشد، إن صدق توعى، ثم بدأت الشائعات تنتشر، «سيدنا سيحضر الدكتور مرسى معه لإلقاء كلمة يعلن فيها قيام دولة الإسلام وتعليق الماشاق لجميع المعارضة» . وفى طريقى للمنصة كنت أحاول جاهدة اختراق صفوف البشر، التى أصبحت متلاصقة تماماً كأنهم بنیان مرصوص بمهارة وتنظيم، ولم أستطع الوصول إلى محيط المنصة فاعتليت أحد الأرضفة المجاورة لها، بصعوبة شديدة، وأمسكت الكاميرا، لأسجل بها كل ما يحدث على المنصة . وبدأ الأمر طبيعياً، فليست هناك شخصيات مهمة، فقط بعض شباب الجماعة وشيوخها المعروفين يتحدثون عن عودة الشرعية .

وفجأة، ودون سابق إنذار، أمسك أحدهم بالميكروفون، وكان يعرضه المعتصمون، فهتفوا وصفقوا له . وأخذ الرجل يردد عبارات إسلامية، بطريقة توحى لك بأننا مقبلون على معركة حربية .

وقد قال بصوت جهوى: الله أكبر.. الله أكبر والله الحمد . ورددوا هم من خلفه بصوت زلزل أرجاء منطقة رابعة . كرروا الأمر عدة مرات، هو يتف و هم يرددون . ثم بدأ كلمته وقال: بسم الله الرحمن الرحيم.. إن الله يدافع عن اللذين آمنوا، إن الله لا يحب كل كفار ذاقق، الحمد الله الذى جعلنا من الذين آمنوا، وسبحانه وتعالى هو المدافع عنا . من خان العهد وخان الأمة وخان القائد وخان الرئيس، إن الله لا يحبهم ويسليم الحق ويعطل الباطل . الله أكبر الله أكبر والله الحمد .

وهنا ظهر «بديع» فوق المنصة، بعد أن ظلمت لدقائق أتشكك فى شخصيته، لأن من يحيط به من شباب ضخم البنية، يخفونه بينهم .

«جاءكم استأذاناً وحبيبتنا ومرشدنا..، قالها الرجل الممسك بالميكروفون، وهو يقدمه.. الأستاذ الدكتور محمد بديع المرشد العام للإخوان المسلمين فى مصر والعالم بأسره . ثم علت الصيحات والهتافات، وأخذوا يرددون أغنية أو نشيداً خاصاً بهم . وتوقف الزمان بالنسبة لى عند هذه اللحظة، ولأن الرجل قصير القامة والحراسة تحيط به من

أرض الأشرار

قيادات الجماعة كانت تذهب إلى شقق مجاورة لمسجد رابعة العدوية من أجل الاستراحة

كانت طالبات الإخوان تبدو عليهن علامات الامتعاض ويتساءلن لماذا نخرج نحن فقط فى المسيرات؟

إليها. تركتني جهاد أجلس على أحد المقاعد الخشبية المروصوة فى صالة الشقة، التى لم أتبين تكوينها جيدا، لتأثير الإعياء والتعب على قدرتى على التركيز.

دخلت جهاد لتفحص الحجرات، وتوفر لى سريرا مناسباً، وعادت بعد دقائق، واصطحبتنى لإحدى الغرف المظلة على مبنى المرور، وقالت لى: حاولى تنامى، وسأحضر لك عصيرا اشربيه وسوف تستيقظان من النوم بصحة جيدة، ولو أردت العودة للميدان عودى، وإن أردت الذهاب إلى منزلك افعلى، فالأمر لك.

ورغم أننى كنت أدرك وقتها أهمية الفرصة التى منحتها لى القدر، فإن التعب والإرهاق، كانا أقوى والرغبة فى النوم كانت أكثر إغراء، وبالفعل نمت بعد محاولة فاشلة للتصنع على حديث الفتيات

خارج الحجرة. فقد دخلت فى نوبة نوم عميقة. استيقظت بعد أكثر من ثلاث ساعات، لأجد جهاد تتناول طعاماً بصحبة شابات صغيرات فى مثل سنّها بالحجرة المجاورة، الغريب أنهم أغلقن باب الحجرة على بالفتحاح، ما جعلنى أطلب منهم فتحه، وكنت قد استعدت عافيتى بما حصلته من ساعات النوم.

دعتنى الفتيات للجلوس معهن وتناول الطعام، وكنت بالفعل جائعة، فجلست أشاركهن وجبات الأرز وقطع الدجاج والبطاطس المحمرة. وبعد دقائق انتهى الجميع، وذهب البعض لإعداد الشاى، وقررت الأخريات الذهاب إلى الميدان، بينما خلدت اثنتان إلى النوم.

كانت جهاد تتردى ملابس منزلية، فطلبت منى مرافقة اثنتين من الشابات، حتى الميدان، لأنها تحتاج إلى النوم قليلا. ذكرنى الوضع ببيوت الطليات.

وبالفعل نزلت إلى الميدان بصحبة الشابتين، اللتين لم تتركا لى أى فرصة للحديث معهما، فقد كانت خطواتهما سريعة جداً، وكنت أجرى خلفهما تقريبا، حتى ضاعتا منى تماماً داخل الميدان، وظللت واقفة أبحت عنهما دون جدوى. لكن بعد دقائق جاءتنى إحداهما تخبرنى بأن الأخوات تجهزن لتنظيم مسيرة تطوف الميدان، وطلبت منى الانضمام لهن، فمشيت خلفها بوجه مبتسم، وعلى بُعد أمتار قليلة، كان التجمع يضم الشابات والسيدات، الثلاثى يبدو عليهن الشقاء والفقر وتردى الأوضاع المعيشية. انضمت إليهن وغابت عنى من اصطحبتنى للمسيرة.

وجدت نفسى بمفردى وسط هذا الجمع من الناققين على الجيش ومؤيدى السيسى و٣٠ يونيو، ويكيلون الانضمام، والدعاء لا يتوقف لحظة، والغضب يسيطر على الوجود.

كانت أغلب بنات المسيرة من طالبات الجامعة، تبدو عليهن علامات الامتعاض، ويتساءلن لماذا نخرج نحن فقط فى المسيرات؟ ولماذا لا يخرج الرجال؟ وقد وجدت نفسى أشبههن، تماماً وكأنى تحولت إلى واحدة منهن، مصطلحاتى متلهن، تفكيرى قريب منهن، حتى علامات الإعياء البادية على وجهى أشبه به تعانيه وجوههن. تحركت مع المسيرة وتركتها فى منتصف الطريق لاتحدت فى الهاتف المحمول.

أردت شراء بسكويت وعصير. كان «الكشك المتواضع» على مقربة منى أمام إحدى الخيام. وكان يقف بجواره شخص متواضع جداً فى كل شىء، الشكل والمستوى الاجتماعى، كان قصير القامة وضعيف البنية، وله لحية مشتمة ويبدو من ثيابه أنه فقير. سألتنى عن أخبار المسيرة، فقلت له أنا تعبت ولم أستطع السير.

فاكمل أسئلته: من أين أنت؟

- الصعيد.
- قدمت مع أسرتك؟
- لا، أنا هنا بمفردى مع صديقاتى فقط.
- كيف تأتين بمفردك دون اهلك؟
- أدرس فى جامعة القاهرة، وصديقاتى فى المسيرة.

- هل اهلك غير مؤيدين للدكتور مرسى ويعملون الانقلاب؟
- أنا أعيش هنا وأدرس هنا وهم يشاركون بالفعاليات الاحتجاجية فى بلدنا.
- وأين تسكنين؟
- فى المدينة الجامعية.

- أنا اسكن فى منطقة فيصل ويمكن أن تعطينى رقمك لتسقى وتأتى الاعتصام معاً.

هنا بدأت أشعر بأن الكلام ليس بريئاً، فصددته بقوة وقلت له: لا، وما تقوله لا يصبح أنا أجيء مع صديقاتى.

ولما شعر بالإحراج قال لى إنه رجل متدين، ويعمل موظفاً فى مؤسسة حكومية، ويبحث عن واحدة يتزوجها. فتركته ورحلت.

لم أعلم، فكيف أن أتعرض لهذا الموقف داخل الاعتصام، أتوقع يأتى هذا الرجل إلى هنا، والأمور مع الفتيات يتربص هكذا بالنساء بدعى أنه يبحث عن زوجة، لكن من خلال أحاديثى المتكررة مع الفتيات اكتشفت أن معظم الإخوان يستغلون الأحداث والتجمعات الخاصة بهم لإقامة علاقات مضاهرة بين الجموع، ولا يمنع أن يكون الحدث فرصة للارتباط والزواج، حتى إن أبناء صفوت حجازى قالوا لى فى مقابلات لاحقة إنهم تعرفوا على أبناء أسامة ياسين وأبناء الدكتور مرسى لأول مرة فى الاعتصام.

قررت الرحيل إلى البيت، وكان الواقف على المنصة يتحدث عن أن قوات الجيش تضيق الخناق على المعتصمين عند الحرس الجمهورى، وأنها تقتلع خيامهم وتحاول طردهم من هناك. والمفروض أن يذهب المعتصمون برابعة إلى هناك، بما لا يسمح بتقليل الأعداد هناك حتى لا يتم الإخلاء.

وأنا فى طريقى إلى الخروج كانوا قد بدأوا فى ملء أجولة الرمال ورمسها فوق بعضها، وبناء الأسوار الأسمنتية، وبدأت تقل أعداد الحراسة، بينما تزيد عمليات التحصين. ولم يكن وقتها المستشفى الميدانى قد تم بناؤه.



عنف سيدات جماعة الإخوان

التحرك تتحدث عن تدين سيدنا وعلمه، وكيف واجه النظام الفاسد طوال سنوات عمره كله، وأنه أتى للميدان مجازفاً بحياته من أجل نصرة الإسلام، ولا أقل من أن تبدل الأخوات كل غال ونفيس فى سبيل الدولة الإسلامية القادمة لا محالة، بعد عودة الرئيس قريباً.

وانطلقت المسيرة تجوب الميدان فى صعوبة، يتقدمها شابان يمسحان الطريق للأخوات، وفتاة تهتف ونحن نردد خلفها: «إسلامية إسلامية رغم أنف العلمانية».

وقبل أن تصل المسيرة إلى نهاية الميدان، أوقفنا شاب من الشباب الأشداء فى الجماعة، وتحدث مع الفتاة القائدة للمسيرة لمدة دقائق، عادت بعدها لتخبرنا بأنهم سيتوجهون إلى مقر الحرس الجمهورى لتحرير الرئيس المختلف من قبل سلطة الانقلاب، وهنا لاحظت اختفاء صفوت حجازى ومحمد البلتاجى، وكان يطلق عليهما «فارسى الميدان»، لم أرهما منذ الصباح، ولا حتى بجوار المرشد، رغم أنهما كانا أول المسئولين عن ترتيب أوضاع الاعتصام.

وبينما أنا منشغلة بأفكارى، لفت انتباهى حديث قصير عن أن البلتاجى وحجازى يحشدان للذهاب إلى الحرس الجمهورى، وبالفعل اعتلى حجازى المنصة وأعلن التوجه إلى دار الحرس لتحرير الرئيس من محتلفيه، وفى دقائق انتشرت أعداد كبيرة خارج حدود الميدان تستعد للانطلاق إلى الدار.

وبينما اتخذت مكاناً موازياً للتجمع لأصورهم، لاحظت وجوداً مكثفاً لداليا، الغربية وعشرات الكامييرات نصحبهم. وكانوا خليطاً من نساء وشباب وأطفال. لكن الغريب أنهم كانوا يحملون أكياساً وحقائب بها متعلقاتهم الشخصية، ما جعلنى أشعر بأن الأمر لن يقتصر على المسيرة التى لا يحملون فيها إلا المصقات والملفات. وتوقعات أنهم سيعتصمون أمام الحرس، وصدقت توقعاتى عندما أعلنوا أنهم باقون حتى تحرير الرئيس. واستمر حشد المتظاهرين لنحو ساعة قبل الانطلاق باتجاه دار الحرس الجمهورى.

وعندما خرجت لأتابع رحيل المسيرة لاحظت أن الشباب الذى يشرف على تنظيمها، يجمعون بطاقات الرقم القومى، ولم أفهم سبب ذلك وقتها. كانوا نحو ٧ أو ٨ شباب، يبدو عليهم أنهم متعلمون ويعملون فى وظائف جيدة، أعمارهم فى الثلاثينيات، وهينتهم تقول إنهم «أولاد ناس»، وكانوا مسئولين عن الإشراف على عملية التنظيم، من ترتيب المنصة، وأعضار المتظاهرين فى أتوبيسات وتسكينهم فى الاعتصام، وكانوا إلى حد كبير يشبهون بعضهم بعضاً فى بنية الجسم، والملبس الذى يبدو عليه أنه غالى الثمن، وشكل الحياة المهنذية.

بدأوا ينظمون شكل المسيرة، أفضل مجموعة فى الشكل والملبس أو أصحاب المناصب القيادية، سواء سيدات أو رجالاً، يقفون فى الصف الأمامى لقيادة المسيرة. وكانوا دائماً يحرسون على أن تمثل المقدمة تشكيلا مختلفا من الطوائف والفئات، ولا تقتصر فقط على الإخوان، دائماً ما كانوا

يسألون عن سيدات غير محجبات للوقوف فى المقدمة، أو ينتقون الشباب الذين يوحى مظهرهم وملبسهم بأنهم لا ينتمون للجماعة، غالباً كانوا يريدون أن يظهروا أن المسيرة ليست للإخوان فقط.

وبعد انطلاق المسيرة، كان الجميع يتحدث عن ضخامة الأعداد المشاركة فيها، وبالفعل تركت المسيرة أثرها على الميدان، حيث بدا فارغاً، على عكس ما كان عليه طوال اليوم.. كانت قنوات التليفزيون، خاصة الجزيرة، تنقل المسيرة من «رابعة»، إلى «الحرس الجمهورى»، وكانت الهواتف تستقبل سيلاً من الرسائل الإخبارية. وعلمت من المعتصمين أن الداهمين لتحرير الرئيس نصبوا الخيام بعد مشاجرة حدثت بينهم وبين حراس المبنى العسكرية، أسفرت عن مقتل ه منهم أو إصاباتهم، دون تحديد على وجه الدقة، واكتشفت بعدها أن ذلك لم يكن صحيحاً بالرة، بل مجرد شائعة مثل كل الشائعات التى كانت تتقاذف أمام أعيننا طوال الوقت.

وزادت الشائعات أكثر، فالبعض تحدث عن مهاجمة المتظاهرين للحرس الجمهورى، وأن قوات الحرس أطلقت عليهم الرصاص، والبعض تناقل رواية أخرى تناقض هذه الرواية تماماً. وأخذ المعتصمون يرددون كلمات نسبوها للشيخ صلاح سلطان، مساعد وزير الأوقاف فى عهد مرسى، وحديث البلتاجى لضباط الحرس الجمهورى، وكيف أنهم سيعمدون بالرئيس فجراً أو بعد غد على أقصى تقدير. وشاع أن ضباط الجيش تأثروا بكلام البلتاجى لدرجة أن بعضهم بكى، وذهبوا إليه وقبلوا يده وراسه.

وظل الميدان طوال المساء منشغلاً بمحاصرة المعتصمين للحرس الجمهورى، ومن بقى هنا يُحلق الأمال العريضة حول المرابطين هناك، فقد شبه المعتصمون من ذهبوا بفرسان الحروب الإسلامية، وظلوا يتحدثون عن قدراتهم وأنهم مديرون ولديهم قدرة قتالية عالية تجعلهم يتصدون للقوات العسكرية، ويقتون أسر الرئيس ويعودون به إلى الميدان.

كان كل حدث يشبهونه بأحداث تاريخية، إما وقعت أيام الرسول أو فى عصر الدولة الإسلامية، أو حتى أيام الرئيس جمال عبدالناصر.

ولم يتطرق أحد لأى أحاديث غير الحديث عن المرابطين أمام الحرس الجمهورى ومطالبتهم بيفك أسر الرئيس بالقوة. وقد سمعت أثناء مغادرتى للميدان، أحد افراد التأمين يقول لمرافقيه، إن الأبطال سيحررون الرئيس ويعودون به وسنقيم العرس غداً بالميدان، والرئيس سيعدم الإعلنيين والقضاة والداخلية.

والأننى كنت قد اعتدت على شائعات الميدان، ومغالة من به فى ذكر كل شىء، لم يشغلنى ما يقولون عن عودة مرسى، لكننى كنت أتجوس من مسألة المرابطة أمام الحرس الجمهورى، فقد شاهدت المتظاهرين أثناء مغادرتهم الميدان يحملون متعلقاتهم الشخصية، وما يلزمهم لقضاء أيام قادمة، وهذا يعنى نيتهم البقاء لأيام، وربما يحدث اشتباك أو احتكاك بينهم وبين قوات الجيش خاصة فى ظل حالة الشحن التى يتعرضون لها طيلة الأيام الماضية بالاعتصام، ومع إصرار القيادات وحشها الشباب على عدم العودة دون تحرير الرئيس.

كنت وصلت إلى ذروة الإرهاق والتعب، كان اليوم صعباً والحرقاسياً، حتى إننى وصلت منزلى على حالة إعياء شديدة جعلتنى طريحة الفراش لليوم التالى، الذى كنت قد قررت ملازمة منزلى فيه، والاكتفاء بمتابعة الأحداث

عبر التلفاز. وبالفعل ظللت أمام قناة الجزيرة طيلة يوم ٦ يوليو فى انتظار حدث كبير كنت أتوقعه أمام دار الحرس الجمهورى.



بعدها قضيت أمس السبت أمام شاشة التلفاز فى بيتى، قررت المرور على الميدان اليوم لاستطلاع الأحوال، ولم أكن أنتوى البقاء كثيراً فيه، فارتدبت ملابسى العادية تحت البعابة السوداء، حتى إن خرجت من الميدان نزعتما عنى ومارست حياتى بشكل طبيعى.

عندما اقتربت من الاعتصام، لاحظت أن إجراءات التشديد الأمنى، التى سيطرت على الأمور أمس الأول، يوم زيارة المرشد، اختفت وتراجع الحاجز الأمنى من عند مهبط كوبرى أكتوبر إلى مكانه أمام ميدان الاعتصام، ونحول من أشخاص وصفوف بشرية، إلى حجارة وكسر الرصيف المروص.

وبعد اجتياز التفتيش، دخلت الميدان، وقد عادت الأعداد التى اختفت ليلة الجمعة، مع خروج مسيرة الحرس الجمهورى، وامتلاً الاعتصام بالقواعد الإخوانية، وزادت أعداد غير المصريين، وانتشرت سيارات الماكولات وبيع الأدوات المنزلية والأحذية، وأغطية الرأس «القبعات»، والمستلزمات الشخصية، وتحول جزء كبير من أرض الميدان إلى سوق شعبية، وانتشر أطفال الشوارع يتجولون بيننا ويسار، وبعضهم يحمل عصا غليظة ويمشى مزهواً بنفسه.

وهكذا فقد عاد الميدان إلى شكله التقليدى خلال الأيام السابقة، خاصة أيام ثورة يونيو، وهو ما لم يتغير كثيراً فى الأيام اللاحقة.

والشائعات عن عودة الرئيس ما زالت متناثرة، والمنصة تعد المعتصمين بالجنة والفردوس الأعلى، وأعلن صفوت حجازى من على المنصة عن تصعيد جديد، والتجهيز لتحركات ضخمة تعيد الرئيس المختطف إلى الحكم، وأن هناك استعدادات كبيرة لمسيرتين مساء اليوم إحداهما تنطلق إلى مقر الأمن الوطنى، والثانية تضم للمرابطين أمام الحرس الجمهورى، وقد ظل الإعداد للمسيرتين والإعلان عنه عبر المنصة مستمراً حتى انتهاء صلاة العشاء، ثم انطلقها. وسررت شائعات أخرى عن انضمام بعض المشاهير لمسيرة الحرس الجمهورى، خاصة نجوم كرة القدم وبعض الفنانين والسياسيين ورموز حركة شباب ٦ أبريل.

وانتشر بالميدان المراسلون الأجانب، وكانما تم استدعاهم على وجه السرعة، فهم يتجولون حول المنصة ولا يعينهم سائقو الخيام. وتم أشهد طوال الفترة التى قضيتها فى «رابعة»، مراسلا أجنبياً يتجول بالكاميرا بين المعتصمين فى الخيام، أو يتحدث معهم. كان معلهم يقتصر على التسجيل مع قيادات الاعتصام كل يوم، ومتابعة ما يقوله مشاهير المنصة وتصوير الحشد الدائم أمامها. كانوا نحو ١٠ مراسلين.

كنت مرهقة من أحداث يوم الجمعة، والشمس حارقة، فقررت الجلوس داخل مصلى السيدات فى مسجد رابعة، لأستريح وانتظر حتى تنخفض حرارة الشمس. ومساحة المصلى تصل إلى ٨ أمتار فى ٨ أمتار تقريبا، تأخذ ربعها كراتين كثيرة مخزنة.

كانت الأخوات يتحدثن عن مهاجمة قوات حراسة دار الحرس الجمهورى المعتصمين ومحاولاتها طردهم وقض الاعتصام، لكن «المعتصمين المجاهدين صابروا وربطوا وانتصروا عليهم وظلوا فى أماكنهم»، وسمعت سيدة وجهها أبيض منتفخ تفوح منها رائحة الشراء، تخبر الأخوات بأنها أرسلت أخوات إلى هناك بصحبة أزواجهن وأطفالهن لإعداد الأطعمة للمعتصمين هناك، ولم تخف قلقها من أن تهاجم قوات الحرس المعتصمين وبينهم الأطفال.

واستطردت تحكى عنهن، وكيف أنهن أخوات مناضلات لديهن استعداد لفناء الرئيس بأرواحهن. وقد فاجأنى حديث المرأة وهى ضخمة البنية، وفى الأغلب من زوجات القيادات، لأنهن كانوا ينادونها «يا دكتورة»، وقد كان ملحوظا انتشار الطبيبات بين الأخوات، فأغلب من يتولين تنظيم المسيرات وتحركات الأخوات طبيبات، خاصة منهن زوجات القيادات.

ظللت أستمع لأحاديث الأخوات، حتى تسرب إلى أذنى حديث عن شقق مجاورة لمسجد رابعة العدوية، يذهب إليها القيادات للاستراحة، غمضت عيني تماماً وألقيت يديّ بجوارى دعم الشريعة، وأخرون أشير لهم بعبارات «الناس وأخرجت صوتاً خفيفاً يؤكد أننى زائفة فى سُبَات عميق.

وعادت الأخوات يتحدثن عن شقة بجوار الاعتصام، فى نهاية أقيم بها مائدة عشاء فخمة بالأمس، حضرها البلتاجى وقيادات تحالف دعم الشريعة، وأخرون أشير لهم بعبارات «الناس بتوعنا، وأقاربنا، ورجالنا، والناس اللى انضموا لينا»، لم أفهم من هم هؤلاء وكنت أتمنى لو أن الحديث طال بعض الشىء لأعرف من المقصودين، لكن إحدى الفتيات انتهيت إلى وجودى، فركلتنى بقدمها وهى تقول الصلاة حائت، اذهبى للوضوء لأن النوم يفسد الوضوء. استجبت لها وانصرفت فى هدوء، وقد بدا واضحاً ما أعانيه من إرهاق وتعب شديدين، فبادرتنى إحدى الجالسات بسؤالى:

- أنت مريضة؟

- أه.

- لماذا تشعرين؟

إرهاق وتعب بفعل شدة حرارة الشمس، وقد ظللت طوال يوم الجمعة واقفة على رجلي دون راحة.

سعدت بعض الأخوات بما قلت واعتبرته نضالاً، والمتفئض لسانعتى، وقالت إحداهن لآخرى: خذينا إلى أعلى لتسترخ، وقدمى لها شيئاً تشربه، وأعطيناها دواءً مسكناً كى تستطيع النوم.

ها سمعت صوت المرأة الضخمة عائلاً تسألنى: ما اسمك؟

- فيروز؟

- اسمك بالكامل.

- فيروز عبد العزيز.

صمتت لدقائق، وكأنها تراجع فى ذاكرتها قوائم العائلات الإخوانية ويبحث عن اسمى بينها، ثم نظرت إلى وسألتنى: أنت طالبة؟

طالبية بالدراسات العليا فى كلية الإعلام جامعة القاهرة، وأصور أحداث الاعتصام لصالح وكالة أنباء عالمية أعمل معها بالقطعة.

نظرت إلى نظرات لم أفهمها، واستمرت فى الأسئلة: أنت هنا لئودك لا قريب ولا صديقة برفقتك؟

حاولت أن أنهى الحوار بإظهار أننى على وشك الانهيار، وقلت لها: للأسف جميعهم كلهم يعارضون مجيئى إلى الميدان ما يضطرنى إلى القدوم بمفردى.

أنقذتنى من أسئلة السيدة، شابة لاحظت ما على من إجهاد وتعب وأننى أهتز يميناً ويساراً من شدة الإعياء، فأمسكت يديى وقالت لهن: اتركوها لى سأذهب بها وأبقى معها حتى تتعافى.

وبالفعل أمسكت الفتاة يديى، وكنت أستند عليها، وخرجنا من الاعتصام حتى عمارة قريبة، دون أن يلتفت لينا أحد ويوقفنا ليسألنا لى أين؟ دخلت العمارة بصحبة الشابة التى علمت فيما بعد أن اسمها «جهاد»، وهى مسئولة عن شعبة داخل تنظيم الأخوات. طرقت جهاد باب الشقة القابعة فى الطابق الأرضى، ففتحت لنا شابة أخرى تتردى ملابس النوم، وتخفى وجهها خلف نظارة طبية كبيرة نسبياً.

كنت بالفعل أشعر بإعياء شديد، زاد فى المسافة الصغيرة بين مسجد رابعة والعمارة التى وصلنا



محمد بدیع

صفوت

حجازى حرض

على اقتحام

الأمن الوطنى

والحرس

الجمهورى



صفوت حجازى

فقه

الزلازل

مرآة الله.. مرايا البشر

ليس أكثر إغراء للعقل من حدث يختل فيه النظام الذي اعتاده.. تتحرك الصفائح التكتونية في باطن الجغرافيا، فترتج المدن، وتترنح الجدران الأسمنتية فوق قاطنينا ببرود مادي صرف. في تلك الثواني الخاطفة التي يغيب فيها أمن الطمأنينة المعتاد، تنفتح في وعي الإنسان فجوة وجودية سحيقة تتجاوز رصد مقياس ريختر. الإنسان، ذلك الكائن الهش المعلق بين تراب الأرض وأفق السماء، يندفع عقله الرافض لفكرة العبثية المجردة غريزًا نحو السماء، محاولاً فك شفرة الغضب أو التمهيط الكامن خلف الغبار. فما إن تهدأ الأبنية حتى يبدأ في تشييد رواياته الخاصة؛ يفتش عن مغزى، ويمنح المصادفة اسمًا، ويصوغ من الفرع تفسيرًا يطمئن إليه.. يتحول الحدث الطبيعي إلى مرآة يرى فيها كل إنسان صورته عن

الله.

تستيقظ الذاكرة الجمعية من مرقدها التاريخي، تندفق قصص الطوفان القديم، وترتسم على وجوه الناجين ملامح الخوف الأزلي ذاتها. تنجذب الأسئلة من تفاصيل الدمار الملموس إلى مدارات التأويل، والرغبة القديمة في أن يكون لكل شيء معنى: كيف نرى الخالق في لحظة الانهيار، هل نلمح وجه الإله الغاضب المنتقم، أم نستشعر يد الإله المربى الرحيم؟

تقادر اللحظة التي تتصدع فيها الأرض، أو يتلعب البحر شاطئه، أو تستيقظ الريح على غير موعد، حدودها الفيزيائية إلى أفق لاهوتي بعيد تشكيل مفاهيم الابتلاء، والعقوبة، واللعنة، وتضع تصوراتنا

الذهنية عن الإله على محك الاختبار الأقصى. لا نبحث عن تفسير كارثة بعينها، ولا نزعم امتلاك مفاتيح الغيب، وإنما نحاول الاقتراب من الذاكرة التي تجعل من كل كارثة رغبة علوية في تقويم طين البشر وتنبيه الضمائر الإنسانية وسط الركام، من المسافة التي تفصل بين الله كما تخبرنا النصوص

لا كما ورثناه.



هبة المنسي

1 جولوجيا الذاكرة

يتجاوز السجل التاريخي للزلازل رصد التصدمات والصدوع، ليكشف عن رغبة إنسانية قديمة في تبديل الصمت الجيولوجي إلى خطاب مقروء. عاش الوعي البشري الأول تقلبات الطبيعة كوقائع مباغتة تستدعي بناء تفسيرياً؛ إذ تختزل أقدم المرويات الإنسانية ميلاً متكررًا يدرج الفيضانات والبراكين داخل سياقات أخلاقية تمنح الكارثة معنى يتخطى حضورها المادي. واكتسبت الاضطرابات الكونية في القوائم المدونة الأولى أبعادًا عاطفية تزن مواقف المجتمعات ومدى التزامها بالنواميس السائدة، ما أسس لنمط فكري ثابت يقرأ التضاريس بعين المراقب.

الطوفان في ذاكرة الحضارات القديمة يبرز كأولى العلامات الكاشفة لربط سلوك البشر بحركة البر والبحر. تروى ألواح الطين السومرية في ملحمة جلجامش وأسطورة «أترا هاسس»، كيف ضاقت الآلهة بضجيج البشر، فقررت إرسال طوفان نهري عارم يطمس معالم الاستقرار ويعيد صياغة الوجود ببرود تام.

حضرت سرديّة الطوفان أيضًا في التراث الإبراهيمي عبر الكتاب المقدس والقرآن، لكن داخل سياقات دينية مختلفة من حيث الغاية والدلالة؛ حيث ارتبط الماء المنهمر الذي غمر قمم الجبال بنهاية عالم قديم وولادة آخر، ليطبع الحدث بصماته في الوعي الجمعي بوصفه أحد أكثر النماذج رسوخًا لفكرة الكارثة ذات الدلالة الإلهية.

حفظت مدونات المشرق العربي التفاصيل البصرية لقصص الفناء الكبرى، لتتسج من حوادث الطبيعة صورًا سكنت الوجدان وشواهد حية داخل المخيلة المشتركة. فالرياح التي اجتاحت ديار عاد في الأحقاف استحالَت، من عاصفة رملية موسمية، إلى أداة اقتلاع سرعت الأجساد وتركّت المساكن خاوية كاعجاز نخل. كما نقلت النصوص «الصبيحة»، في وادي القرى، من ظاهرة صوتية أو هزة أرضية محلية، إلى صاعقة أتت ثمود فأصبحوا في ديارهم جاثمين. وفي قصة سدوم وعمورة، امتزج المشهد بالمطر الكبريتي الذي جعل عالي المدن سافلها، مخلفًا بحيرة ميتة وثقت معها التضاريس كنص عقابي صريح يربط مباشرة بين اختلال القيم واضطراب الطبقات الصخرية.

تكرر البناء التفسيري للزلازل والبراكين في الموروث الديني عبر مختلف العصور، ليلغى عشوائية الجغرافيا لصالح يقين السماء. فحمل الإله «بوسيدون» في الأساطير اليونانية لقب «مزلزل الأرض»؛ إذ اعتقد الإغريق أن ضربات رمحه في باطن الصخور تعبر عن سخطه، محاولًا اضطراب البر إلى خطاب موجّه ضد المذنبين والطغاة. وفي التاريخ الإسلامي، حشد المؤرخ جلال الدين السيوطي في كتابه «كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة» أخبار الرجفات الأرضية التاريخية، رابطًا إياها بحالة الأخلاق العامة، ليصبح اهتزاز البنيان صوتًا يعاتب الأحياء ويقض مضاجعهم.

وامتدت الظاهرة إلى الغرب؛ إذ شهد زلزال لشبونة الشهير عام ١٧٥٥ حملات توبة جماعية قادها رجال الدين باعتبار الكارثة سوطًا لتقويم المدينة، وهو ما ناقشته كتابات الفيلسوف الفرنسي «فولتير»، متأملًا دهشة الوعي أمام انهيار الكنائس فوق رؤوس المصلين. لقد صنعت النصوص والتأويلات هذا التداخل الوثيقي حتى ترسخت قناعة بأن الكون يحمل رسالة تفوق الظاهرة، وانتقلت منها القراءة إلى الوعظ والذاكرة الشعبية، فأضحت جزءًا من الاستجابة التلقائية للكوارث؛ إذ يكشف الاندفاع التلقائي لفتح دفاتر الحساب القديمة مع كل ارتداد أرضي، عن عمق ملامح الخوف المستقر تحت وطأة الانقراض.

2 كيف يرانا الله؟

تنتقل النصوص الدينية في مقاربتها للكوارث الطبيعية من تفكيك السلوك البشري ذاته؛ حيث ترسم القراءة الروحية إطارًا كاشفًا لطبيعة العلاقة بين الخالق وخلقته لحظة غياب الأمان المادي، ويخرج الحدث الطبيعي في هذه الرؤية عن حدود حركة الفيزياء، ليتخذ مكانه كرسالة تستوجب الفهم ومراجعة النفس.

تعكس الأدبيات العقائدية مستويين متوازيين في تتبع مآلات النازلة؛ إذ يخضع المجتمع كله لسُنن كونية عامة تسري على الناس جميعًا وقت اهتزاز الأرض، في حين يتفصل هذا الجمع في الحساب الفردي الدقيق الذي يزن درجات التسليم القلبي والسرائر تحت الانقراض، باعتبار وحدة المصير المادي تختلف تزامنًا عن وحدة المال عند الله.

وتتسع المسارات التفسيرية داخل المتون لتفصل بين الغايات الروحية للتصيرية، حامية الفعل الإلهي من رداء الاختزال في فكرة الانتقام الصرف. يتصدر



مرآة الله..
مرايا البشر

العلم يقف عند حدود رصد الآلية

وتفسير الكيفية تاريخًا أسئلة المعنى والغاية

معلقة في فضاءات الفلسفة واللاهوت

العقل يبحث تلقائيًا عن مُدان

يحمل خطيئة فيتحول الحطام من واقعة

جامدة إلى قاض ينطق بنص عقابي منظم



صورة الله في الإدراك البشري. فالكارثة الجغرافية واحدة، أما ملامح الإله التي تستيقظ معها فيبعد الوجه التي تتطلع وسط الغبار والركام إلى السماء. وكلما ترسخت في الوعي صورة الرب الذي يترصد الخطايا، ازداد استعداد الإنسان لتحويل كل شر إلى عقاب، وكل مصيبة إلى لعنة.

4

اللجنة.. لماذا نخافها ونصدقها؟

تكتسب اللجنة حضورها التاريخي من قدرتها الفائقة على سد الفراغ المعرفي؛ فالعقل البشري يعجز عن تحمل فكرة الكارثة العارضة، فيفضل تصديق وجود حكم غيبي حتى يطارده المذنبين على القبول بفرضية عشوائية الطبيعة الباردة. حيث تؤدي اللجنة وظيفة بنوية تتجاوز حدود التهريب الشفهي؛ فتمثل الأداة الأشد كفاءة لإعادة ترميم النظام الأخلاقي وقت انهيار الجغرافيا. وهو ما يفسره الأنثروبولوجي «رينيه جيرار»، عبر «آلية كبش الضياء»، مبيّنًا أن الكارثة الطبيعية تفرز رعبًا يفوق طاقة الجماعة على الاحتمال، ما يدفعها تلقائيًا إلى الهروب نحو فضاء التفسير السببي المنهجي.

يبحث العقل تلقائيًا عن مُدان يحمل خطيئة تصبو وراءها ضربات السماء، فيتحوّل الحطام من واقعة جامدة إلى قاض ينطق بنص عقابي منظم، والبعد الغيبي إلى قانون يفسر انهيار الممالك. وتوالى الأوبئة، وتصدع الأرض، ما يمهّد السبيل لولادة موروث تتناقله الأجيال خارج نطاق المتون العقائدية. الخيال الثقافي يتسع ليربط بين المتون الروحية والموروثات الشعبية، صاهراً المعاني الوجودية العميقة مع حكايات الشعوب الشفهية، حتى تداخلت فكرة السخط التاريخي مع مخاوف العامة اليومية. بات الحديث عن اللجنة نمطًا تعبيرياً مستقلاً يتوارثه الناس ويفسرون به انكسارات الجغرافيا وضياع الممالك القديمة، متخذين من فكرة الملاحقة الغيبية درعاً نفسية تحميهم من رعب المجهول. ويمرور الزمن

بالخلق، وتفصيل طريقته في فهم الألم، واستقبال الوقائع، وقراءة أبعاد التدمير المشهود فوق الأرض؛ ليتبين في النهاية أن منبع التوجس يقيم في الذات، وليس في الكلمات المكتوبة على ألواح الوحي. فالصور المتفاوتة للخلق تنطلق من باطن الفراغ الممتد؛ فيجتلي ملمح الإله الغاضب الذي يراقب الزلاّت أكثر من التفاته لمحاولات النهوض البشري، ويظهر المنتقم الذي تقرّر المخيلة في ظله النوازل كتقصص مباشر صريح. كما تحضر، بالتوازي، سمات الرحيم الذي تنقلب المحنة في كنفه إلى باب للمراجعة والرجاء، وصور المرئى الذي يجعل من الابتلاء طريقاً للنضج الروحي المستقل، ويفصله تماماً عن رداء الإدانة. وتتشكل إلى جوار هذا التعدد صورة أكثر خفاءً، تنتمي لرب ينتظر زلة الإنسان، فيغدو النجاح المادى مؤقتاً، والنعمة قابلة للسحب المباغت، وتضعب الكارثة الجيولوجية بمنابة إعلان متأخر عن خطأ بشري مجهول.

وتتداخل التجارب الأولى في صياغة المشهد الذهني المتشعب؛ فطريقة تعامل الوالدين، ونوع السلطة داخل الأسرة، والأسلوب الوعظي المعتاد، كلها عوامل تقضي إلى تفتيت الرصيد الدينى الأصيل. حيث تنماس بعد ذلك مع الذاكرة الجمعية التي تشتغل في اختزان قصص العقاب والبشش، وتغفل حكايات الرحمة. فقد يفسر هذا التراكم خروج شخصين من باب المسجد نفسه، بعد سماع الخطبة ذاتها وبذرة الوعيد عينها، لينظر أحدهما إلى السماء بقلب راض مستسلم، بينما يغادر الآخر مثقلاً بالخوف والترقب، رغم اتحاد الكلمات المسموعة. لفت عالم النفس الاجتماعي إريك فروم الانتباه إلى هذا التفاوت عبر تفكيك نموذج للعلاقة مع الخالق؛ الإله السلطوى الذي تقوم صلة البشر معه على الخوف التام والخضوع المطلق، والإله الإنساني الذي تركز الصلة في مداره على المسؤولية الذاتية والنمو والمحبة الروحية. ركز «فروم»، في تحليله على الكيفية السلوكية التي يصنع بها الإنسان تصوراتهِ الوجدانية، والطريقة التي تنعكس بها النواة الداخلية للخلق على نظرة الفرد لنفسه وللعالم المحيط به، بعيداً عن مناقشة حقيقة اللاهوت المجردة.

لكن التصورات تتنوع مع اختلاف الثقافات والطوائف والمدارس الدينية، بل ومع تباين التجارب الفردية داخل المجتمع الواحد، ويصعب تبيناً لذلك الحديث عن نخط أحادي لله في الوعي البشري؛ فالإنسان لا يتفاعل مع النص المكتوب بقدر تفاعله مع النسخة التي أعاد وجدانه تشكيلها، ومع المعنى الذي راكمته سنوات الخوف أو الطمأنينة، وافتقد أو النجاة.

ومن ثم تبدو الزلازل والفيضانات وغيرها بريئة من

باللعنة أو صك العقاب المطلق، وتبرهن أن المصيبة قد تشكل نداءً يباطل مختلف معناه باختلاف سريرة المتلقي.

إن حدود الجزم بإرادة الله ترتبط حتمًا بهذا التنوع، وهى المنطقة التي تفرض فيها النصوص سباجاً يحمى العقل الإنسانى من تنصيب نفسه ناطقاً باسم المشيئة العلوية. تظل الحكم الربانية الكامنة وراء النوازل غيبية ومستعصية على الإحاطة البشرية الكاملة، ما يجعل ادعاء معرفة الغاية الدقيقة وراء حادث بعينه تجاوزاً يتجاهل اتساع وحرية التدبير الإلهي.

3

.. وكيف نراه؟

يقرأ آلاف الأشخاص النصوص ذاتها، ثم يغادر كل منهم ومعهم مخزون إدراكي مغاير تماماً لسمات الخالق. بيد أن الاختلاف هنا يتجاوز طبيعة الكلمات المكتوبة، مرتدداً صوب الوجدان البشري وطريقة استقبال المعنى والتكريات والخبرات الفردية المتركمة. فالكلمات العقائدية تعبر المسارات النفسية قبل استقرارها في الأذهان، لتبدأ رحلة ثانية يتحول فيها المفهوم التلقيني إلى انطباع وجداني، والمعرفة المجردة إلى شعور حي، والعقيدة الموروثة إلى تجربة إنسانية كاملة تنعكس على ملامح الفرد حين يغيب الأمان.

وبينما ترسم المتون الإبراهيمية لوحة مركبة ومتوازنة للخلق، تتجاوز فيها الرحمة مع العدل، وتتلاقى المغفرة مع الحساب، ويتصلب الإمهال بالعقوبة، والقرب بالهيبية. يتحرك عبرها البناء المتكامل كنسيج موحد يستعصى على الاختزال أو الفصل؛ فالحكمة تلازم الرحمة بالإنظام، والعدل يتداخل مع اللطف، والعقوبة تنجرّد من الغاية الذاتية المستقلة لتستقر كجزء من منظومة أخلاقية كبرى تنظم صلة السماء بالأرض.

تفرز بحوث علم نفس الدين فارقاً حاسماً بين ما يتلقاه العقل في قاعات الدرس، وبين ما يستقر في الصدر وسط اضطرابات الحياة. ينمو في الوعي ما يُوصف بمفهوم الله، وهو الرصيد المعرفي والتعليمي المكتسب من كلام الخطباء ويطون الكتب، في حين تتشكل في العمق النواة الوجدانية المستمدة من اختبارات الحياة اليومية ورتوش الطفولة الأولى. وتتطابق النظرتان في أحيان كثيرة، وتتباعدان في أخرى إلى حد يحفظ فيه الإنسان نصوص اللطف، بينما يعيش بداخله في حضرة خوف دائم من العقاب، أو يردد آيات العفو وهو يعجز تماماً عن تصور إله يصغ عنه بالفعل.

إذ يكمن جذر الأزمة في الحيز الصغير الفاصل بين النص كما هو، والانطباع الشعوري الذي استقر في أعماق النفس. يملك هذا الهامش، على ضلّته الظاهرية، قدرة كاملة على إعادة تشكيل صلة الإنسان

التراث الإسلامي يعيد تأطير الموت تحت الأنقاض ليصبح وشاحاً للتكريم الروحي



مفهوم «الابتلاء» المعانى بوصفه أداة تحميص تهدف إلى تركيبة النفوس ورفع الدرجات، وهو اختبار يقع تاريخياً على الأنبياء والأتقياء بشكل أشد. ويتقاطع التصور الأول مع «العقوبة» الناتجة عن تراكم الانحرافات الأخلاقية، بينما يلوح «الاستدراج» كأكثر الرؤى عمقاً؛ حيث ينال الغافلون وافر النعم والاستقرار المادى مع استمرار انحرافهم، لتدهمهم القوانين الكونية فجأة.

تطرح المدونة الشرعية نماذج تفسيرية ممتدة للعلاقة بين الخطأ والجزاء، تثبت أن التدبير الإلهي يتعدد بتباين المواقف البشرية، ويرفض القوالب الأحادية الجامدة. يتصدر إيليس المشهد كأول من استحق اللعن والطرد، وجاء عقابه مثلاً صارماً للقصص من الكبر الأعمى والاستعلاء على المشيئة، في حين يفتقر مسار آدم تماماً ليقدم نموذجاً مغايراً؛ زلّ الطين الإنسانى وأخطأ، ففتحت له أركان الأرض أبواب المحبة والقبول والتوبة دون إقصاء أو طرد أبدي. ويرسم فعل قابيل الجريمة الأولى على الأرض، فارتبط سلوكه بنفى داخلي وجزاء أخلاقي مستمر يلاحق القاتل كوشم أبدي، بينما تلوح عاد وثمود في الذاكرة كحالة للعقوبة الجماعية التي تحركت فيها سُنن الجغرافيا لتطمس دياراً أصرت على التكذيب ومواجهة التنبيه. ويتكامل البناء مع قصة أصحاب السبت من بنى إسرائيل، بوصفها محطة لقصص نوعي ارتبط بالتلاعب بالوصايا ونقض العهد الوثقة.

حيث تؤكد الشواهد المتنوعة أن الرؤية ترفض تقديم معادلة خطية واحدة للتعامل الإلهي مع المفوات؛ فالحساب يتحرك صعوداً وهبوطاً ليتخذ أحياناً لمساق لتوبة، وتارة رداء الابتلاء، والتحميص، ومرة يُساق كلعنة تضرب المصّرّين، ومزاراً يمتد كإمهال واستدراج يقيس مخبوء السرائر تحت غبار الحياة.

وقد صاغ المتصوفة، وفي مقدمتهم الشيخ عبد القادر الجيلاني، الفروق الدقيقة بين تلك المسارات من خلال رصد الاستجابة النفسية للمبتلى؛ فإذا أفرزت الضائقة ضجراً وشكوى للخلقية كانت مؤشراً على العقوبة، وإذا ولدت صبراً جميلاً كانت تحميصاً وتكفيراً، بينما تبرز أمارات الارتفاع في الرتب عند ظهور الرضا الكامل وطمأنينة النفس العميقة للأقدار الجارية؛ إذ تمنح الرؤية العرفانية تفصيلاً دقيقاً لأسباب وقوع المصيبة على الناس بكامل فئاتهم، مظهرة تباين المصائر الروحية رغم اتحاد المصير المادى تحت الركام.

وتتجلى المفارقة في منح النصوص رتبة الشهادة لصاحب الهدم والغريق، وفق ما نقله التراث الإسلامي صراحة، ما يعيد تأطير الموت تحت الأنقاض ليصبح وشاحاً للتكريم الروحي؛ فيكتسب الصالحون بالصبر مقاماً رفيعاً، وينال العاصون بالاستيقاظ فرصة لمراجعة دفاتر حساباتهم، بينما تمثل الواقعة للظالمين نهاية حتمية لدى زمني مُنح لهم، لتبطل الادعاءات التبسيطية التي تسارع إلى وسك كل ظاهرة



عقب الكارثة تمتلئ دور العبادة

وتتضاعف أعمال الصدقة وتتسارع مراجعات

الذات ويعيد كثيرون ترتيب علاقتهم بالله

استحالَت إلى أداة سيكولوجية شاملة لتفسيّر الشر
والآلَم الوجودي في مواجهة فوضويّة الطبيعة.
على انتشار حكايات اللعنة وتفضوها الجماهيري
على قصص البركة ينضج من خلال تشريع الغريزة
النفسية التي تحرك الفضول البشري تجاه المأسا
وي التوجس. إذ يترك الخوف جاذبية سريديّة تقص
سطوة السكينة؛ فالأخبار الصادمة والنفوس
المشحونة بنهايات مأساوية تثير مناطق الحذر
والترقب في الدماغ البشري، ما يجعل تداول روايات
العقاب والمنع أسرع بكثير من تناقل أخبار المنع
والرخاء المستمر.

تلبى قصص الملاحقة حاجة خفية في النفوس، وتوتمتع كل منظمة عدالة ببدلية ومؤجلة في ضمير المواطنين والمتسفيين: إذ يجد العقل عزاءه في تصور أن الظالمين والظلمة سيظلون لهم لعنة كونية غير مرئية تقتصم منهم وتجرف عروشهم فجأة، لتبلى رغبة الخيلة في تحويل الموروث الروحي المفيد إلى لغة نفسية عابرة للثقافات، تنتقل بين القارات كلما توافرت مادتها المثالية.

على سبيل المثال، جرد الخيال الثقافي في المقابر المكيّة الصّورة شراءً حويّداً لتطبيق الفكرة الإضمار الحرفيّة وصناعتها أشهر الملاحظات الثّابتة في العصر الحديث. بدأت الأسطورة من تحذيرات منقوشة على عتبات المقابر المكيّة لحماية أجداد الملوك ومقتبليّاتهم من الوصول للأثر؛ فصيّد بجمال جافة تنوع المتحمّين بالموت بأمرض مستعصية أو باقتراض التماسيح والحيات. استغلت الصحافة الغربيّة العفوس المحيط بفتح مقبرة توت عنخ آمون عام ١٩٢٢، وتزاماً الوفيات الطبيعية لبعض أعضاء الفريق الأثري، لتصنع حبكة دراميّة عالميّة تنقلّت النصّ الجانزيّ من دائرة الطّقس القديم إلى فضاء الرعب العالمي المصالح لتحرير الحوادث الفرديّة والجماعيّة.

تحتفل مسيرة اللعنة عبر الحضارات أن الأفكار لا تعيش بقوة النصوص التي ولدت فيها، وإنما بقدرتها على تغيير طريقة قراءة البشر للواقع، فما إن يتشربها الوجدان حتى تكف عن أن تكون جزءاً من تراث ديني أو أسطورة قديمة، وتستقر في النفس البشرية بوصفها عداوة، بقدر أن الإنسان كل شر جديد، مهما اختلف زمانه أو مكانه.

تجزر في الوعي الإنساني تصور قديم يرى العالم
بناء أخلاقيا متماسكاً، لا تتصلف فيه الأعداء عن
استحقاق أصحابها. حيث تظل تلك القناعة حسيبة
قبل أن يخترها الإنسان بسنوات طويلة، ثم تبعت
بكامل قوتها كلما اختلف نظام الحياة فجأة؛ فيصبح
الأسب سؤالا عن العدالة، والنجاة موضع بحث عن
السبب، ويبدأ العقل في إعادة ترتيب المسائر داخل
ميزان يطمئن إليه خارج حدود المصادفة المجردة.

ويفسر الاندفاع غريزيًا نحو «الخلف الكورث» من خلال آلية دفاعية تعرف بدوهم العالم، «العدل»، صاغها عالم النفس «ميفلين ليرنر» بوضوح تنزع البشر المستمر لتصديق أن الكون محكوم بنظامًا أخلاقي صارم يتال فيه كل فرد ما يستحقه تمامًا: حيث ترتبط الجرائم بالصلاح، وتصلح الحسن بالإنصاف والخطأ الأخلاقي. ويحمي هذا التصور النفسي الطمأنينة الداخلية لتجنب الأذى، فبدلاً من اعتراف الناجين بأن بقاؤهم تحت الأضواء ملق بخطر رقيق من المصادفة الجغرافية، يفضلون عزل الكارثة وتفسيرها كحقيقة بلحت بأحدهم استحقاقها، صيانةً لأنهم الروحى ودافعاً عن استقرارهم الفكري.

أثر هذا البناء النفسى يمتد إلى إعادة تشكيل السلوك الإنسانى عقب الكارثة فتتمثل دور العبادة، وتضاعف أعمال الصدقة، وتنتشر موجات الدار، ويوعيد كثيرون ترتيب عائلاتهم بالله وبالأخريين، وتكون ما حدث اعادة فتح دفاتر الحساب المؤجلة. ولما استجاب هذا الاستجابات كلها من تفسير دينى واحد، يقدر ما تعكس حاجات النفس إلى الاستعادة توازنها البدلى، وإقناع ذاتها بأن العالم لا يزال قابلاً للهمم، وأن الإنسان مملوك، ولو جزئياً، أن يعيد بناء علاقته بالحياة بعد أن تصدعت أمواج فحاة.

وبالتزامن، تفيض نظرة الساجين بأسئلة الذات والوجود. يشعر بعضهم أن بقائه يمثل رسالة شخصية تستوجب تغيير المسار، بينما يظل آخرون إحصاساً بالذات لأنهم خرجوا أحياء ورحل غيرهم، ويضفي فريق ثالث وقتاً طويلاً في مراجعة تفاصيل الساعات السابقة للقرار، بحثاً عن اللحظة التي يظن أنها صنعت الفرق بين الحياة والموت. تتعدد الصور الاستجابية، لكنها تجتمع عند محاولة واحدة: إعادة إدراك العقد داخل نظام أخلاقي يمنحه مغزى إنساني احتمالاً.

الخوف يصنع المعنى عبر تنشيط طبقات المخيلة العميقة، وترتيب حوادث الطبيعة وفق سياق روحي مألوف يدفع البشر لمواجهة هواجس طفولتهم ونشأتهم الأولى، قبل التفاتهم إلى تأمل الصدوع العلمية. ومن ثم أفضت الاستجابات التلقائية لترجمة الصدمة وتأطير الفقد إلى أن يهرب العقل

إذ تأتي ظواهر الجغرافيا لتنسف الثقة الزفية،
 وتعرض نرجسية الإنسان في الصميم، وتكشف عن
 هضاب فسيح يتحرك وفق سننه الكبرى، لا تتبدل
 قوائمه تبعاً لرغبات البشر، ولا تتوقف عند مستوى
 يقينهم، لتضع غرور الصلوق أمام حقيقة جملة
 الضليل والنظم. ثم تنهال الخلق في هندسة حجبهم
 العلوي القاتمة، فلانكاره لا تحمل بالضرورة تفسيراً
 شخصياً، ولا تعلن حكمها بلفة ينتظرها الإنسان،
 وإنما تضعه وحياً لوجه أمام اتساع وجود يتجاوز
 قوايسه، ويبعد وهم الامتياز الذي نفس إياه
 طويلا.

ومن ثم، لا تبدو محاولات «تكويد» الظواهر الطبيعية داخل إطار أخلاقي مجرد سعي إلى تفسير الكارثة، بقدر ما تعكس إصرار الوعي على إعادة صياغة العالم كله على مقاسه. فكلما اتسعت المسافة بين المخلوق والكون، ازداد ميل العقل إلى اختزالها في قصة تخصه، ورسالة تعنيه، وحكم صدر بحقه.

ويرتد السعى البشرى لاهثاً وراء تفسير كل نائية بعينها، رغبةً في استعادة المركزية الضائعة؛ وإقناع ذاته بأن الوجود كله مشغل بمراقبته، وكأن الكون لا يكتمل إلا إذا دار في فلك التجربة البشرية، ولا يصبح مفهوماً إلا إذا اتخذ الإنسان مرجعه الأخير.

ربما كان أكبر أوهام الإنسان أن ينتظر من الحياة ما
تقدمه به أصلا؛ فالكل من يدع يومه أن يدور حول
أحد، وقد وجدته الذي طال بقراً حركته بهذه الطريقة،
ثم سماها إرادة إلهية. وما بدأ، عبر التاريخ، سعيًا
إلى فهم السماء، لم يكن في كثير من الأحيان سوى
محاولة إخضاعها لمصر الأرض. وكان الوعي يقصر
على أن يكون كل من ينظر إلى المطلق قبالة للفهم وشرطه
هو يظهر الشرح المستتر في بناء التصورات؛
وإذا لم تبدأ المحاكاة التي حين تفترض على مشيئته،
وإن من اللحظة التي تفترض سوى أنه
مطالبة بأن تدخل حدود ادراكنا.

قاطع لكارثة بعينها يحمل
محاكمة ضمنية لله

وتبقى الغاية أرفع من قفزات التأويل وثقافة الأحكام المستهلكة في الشارع.

أما علم النفس فيركز على تفكيك الواقع الاجتماعي الإنسانية لتسليق وجود الراسل العنصرية، متجاوزاً إثبات جماعة الغريب أو فهمها، أو التمسك بالشراخ العنصرية والجامع لحركة هذا الحادى كله. ويعزو الإصرار على استنطاق الصمت الحادى بوصفه حيلة دفاعية يكتنرها الوعى القلق، غايتها صيانة العظماءية العنصرية فى مواجهة رغبة المصادفة العنصرية؛ لتسم النظريات العنصرية بى تبيان أن الإدراك البشرى لا يحتمل بقاء الكارثة بلا لالة واضحة، ما يدهعه تلقائياً لدمع الواقع الطيبية ضمن سياق أخلاقى يمنحه وهماً بالسلطة والقدرة على تفادى مخاوف المستقبل، فتفعل الأسطر الساكنة لدى الجفاف فى القراءة النفسية، تستعمل فى سنن كونه مجردة عن إنداء الإقطاط يختبر على التسليم البشرى وصلاية البناء الداخلى للفرار.

تتكيف كل مقاربة داخل الحقل الذي تنتمي إليه لتلزم الجيولوجيا رصد حركة الأرض، ويقتضى الفحص السلوكي عند تتبع البناء الداخلي للصدور، بينما يحرس النص الشرعي والمدار الفلسفي توازن الجبهة بعيداً عن إعلاء الإحاطة الكاملة بالغييب. فينتهي نضال القائل عند تخوم المعرفة، لتلوث مساحة التدبير إذ يظل تساوّل النازلة الحرف من اختزاله في نافذة يتيمه، وأزاح من حصرة في جواب فردى.

كل تفسير قاطع لكارثة بعينها يحمل، في جوهره، محاكمة ضمنية لله؛ لأنه يفترض معرفة دوافع حكمه ومقاصده. وحين يتحول التأويل إلى يقين، ينسحب

من صمت الطبيعة إلى حتمية تفسيرها أخلاقياً.

تتحرك القاريات المتعددة في سارات متوازية ترصد حدود الأرقام وبناء المواقف الوحيدة تدخل أو تصادم مصطلح تفاوت الإجابات تنبؤية وجود رسالة الرؤية وراء كل ظاهرة طبيعية مشكلة مساحة لتقاطع السلفية والديمقراطية العلمية حول أطر الجزم بمعنى الدمار.

في حين تكتفى البيولوجيا بتفسير الكيف المادية التي تقع بين الأزمان الجغرافية، وتترك الفيزياء الجوية خرساء وخارج نطاق المعادلات الرياض حيث ينطلق علماء طبقات الأرض من رصد القلوب الفيزيائية الصارمة التي تحكم عناصر الكوكوكو معتبرين الزلزال واضطراب المناخ أو خسوف حركة ميكانيكية حتمية تنتج عن تضيق الخلطة وتبدل النوايس البينية عند أي أبعاد الطاقة وأغايات الواضحة فيقبل العلم عند رصد الاختلاف تفسير الكيفية تاركاً أسئلة اللالة وانغماس الكفاءة وراء الفقر والخراب معلقة في فضاء الفلسفة والاوهوت.

يمنع النقص الديني الإنسان من احتكار الجاهل بالعلم النوازل، ليضع سياجاً أصولياً يحفظ الإرادة العلمية من التلاعب التبسيطية. وتؤكد المذاهب الفقهية والتفسيرية أن المصائب المعاناة تمثل منظومة من خبرات مفتوحة تتعدد معانها وتطبيقاتها. فالأستاذ المتقن في المصائب ودرجته تسليماً للروح: فالجزء بغير الغرض منها، سواء كان فردية أو جماعية، يعد تجاوزاً يتجاهل اتساع التدبير الإلهي وخصوصية حساب الغيب للبشر، لتبدل بذلك الأدعاءات الشفهية المسعرة نحو رسم كل أرضية بسمه الغضب العرف.

وتسلك الفلسفة اللاهوتية طريقها نحو اعماق، كتفتي فيه بخصص قدرة العقل ومواجه ادعائه الفكرية؛ حيث يمتد الاله ذاته كالموج للتأمل قبل صياغته في قوالب تأويل سريره يتشغل فلاسفة الدين بتبشيره علاقة الرب بغيره ومراجعة غايته التجس في عالم يؤمن بان فيه وبالعدل والرحمة، بعيدا عن تعيين هدف عاجل وقصد بذاتها. ويتسع الأفق التفسيري لتصبح الالهة من دلالة الغضب أو التبرير المرضي، بل تتحول لحظة عزى مدى الفهم الإنساني أمام أسماء المشرق

قاطع لكارثة بعينها يحمل
محاكمة ضمنية لله



مذكرات مجنون أبو الهول

عالم بريطاني يعيد كتابة تاريخ

التمثال الأعظم بعد 30 سنة من البحث

1 نقطة البداية

يبدأ الجيولوجى البريطانى كولين دى. ريدر كتابه، الذى يضم عشرات الصور والرسوم التوضيحية، برفض ما يصفه بـ«النهجيات الشعبية، التى تربط التمثال بحضارات مجهولة أو تدفع عمره إلى آلاف السنين قبل ظهور الدولة المصرية، ويتعامل معه كجزء من التاريخ المعروف للحضارة المصرية؛ فهو لا ينزع أبو الهول من المصريين القدماء، وإنما يرجع أن بدايته تعود إلى الأسرة الثانية، أى قبل عصر خوفو وخفرع بقرن. ومن الصفحات الأولى يعيد «ريد» فتح واحدة من أقدم المشكلات المتعلقة بالتمثال، وهى عدم وجود نص معاصر لعصر خفرع ينسب إليه بناء أبو الهول بشكل مباشر، كما يقول الرأى الأكثر شيوعاً، ويستعيد كتابات عالم المصريات الأهم، سليم حسن، الذى أجرى حفائر واسعة فى منطقة أبو الهول خلال ثلاثينيات القرن العشرين، وأشار إلى أن نسبة التمثال إلى خفرع تبدو منطقية فى ضوء موقعه والسياق المحيط به، لكنها تظل غير مدعومة بنقش صريح من عصر الملك بحسب المسألة. غير أن غياب هذا النقش لا يعنى أن علاقة خفرع بأبو الهول ضعيفة أو قائمة على التخمين وحده؛ فهناك مجموعة كبيرة من الأدلة الأثرية والمعمارية التى تفسر سبب تبني معظم علماء المصريات لهذا الرأى: إذ يقع التمثال فى قلب المنطقة المرتبطة بمجموعة خفرع، وتوجد علاقات واضحة بين حوض أبو الهول والمعبد الموجود أمامه ومعبد الوادى والطريق الصاعد، كما كشفت الدراسات عن روابط بين الصخور التى أزيلت أثناء حفر الحوض والكتل الحجرية المستخدمة فى المنشآت



كولين دى. ريدر

نحت أبو الهول حدث
فى الأسرة الثانية قبل
عصر خفرع بقرن
ولم يكن يحمل رأساً
بشرياً فى البداية

وتقول إن جدف رع أمر بنحت أبو الهول فى صورة أبيه خوفو، بوصفه ملكاً ذا صلة بالإله الشمسى رع. لكن الجيولوجى البريطانى كولين دى. ريدر يبدأ كتابه الجديد Rewriting the History of the Great Sphinx، من فرضية أكثر جرأة: ماذا لو كان السؤال نفسه يبدأ من نقطة خاطئة؟.. ماذا لو لم يكن علينا الاختيار فقط بين خفرع أو خوفو أو جدف رع، وإنما إعادة النظر أصلاً فى المرحلة التاريخية التى نحت فيها التمثال؟.. وماذا لو كان أبو الهول أقدم من عصر أهرامات الجيزة الكبرى وأن ما نراه اليوم قد لا يكون الشكل الأول للتمثال الذى نحتة المصريون القدماء؟. والمؤلف جيولوجى لديه خبرة مهنية تمتد لعقود، وعمل جيولوجياً فى مشروع المسح الجيوفيزيائى بسقارة، ونشر دراسات فى دوريات متخصصة فى المصريات، ويمثل الكتاب حصيلة ما يقرب من 30 عامًا من بحثه فى أبو الهول وجيولوجيا المواقع المصرية.

مها صلاح

موجوداً آنذاك، لكنه يكشف عن أن الهضبة لم تكن أرضاً مهجورة اختارها خوفو فجأة لبناء هرمه، وأن للمكان تاريخاً بشرياً أقدم يمكن أن تكون بعض مراحل قد سبقت المشروعات الملكية الضخمة التى غيرت وجه المنطقة فى الدولة القديمة. ويذهب «ريد» إلى أبعد من ذلك عندما يناقش احتمال وجود نشاط دى طبيعة شعائرية «طقوس» فى بعض أجزاء الموقع منذ فترات مبكرة جداً، قد تسبق حتى الملوك الأوائل، لكنه لا يستخدم هذا الاحتمال للقول إن أبو الهول نفسه يعود إلى عصور ما قبل الجذرات، بل لطرح فكرة أن اختيار الموقع قد تكون له جذور أقدم من التمثال الذى نعرفه.

4

المحاجر تقلب ترتيب الأحداث

يقدم «ريد» هنا واحدة من أهم حجج الكتاب وهى أن شكل هضبة الجيزة تغير كثيراً عندما بدأت مشروعات الأهرامات؛ فقبل بناء الأهرامات الكبرى كانت مياه الأمطار التى تسقط على المناطق المرتفعة تتحرك فوق سطح الهضبة عبر مسارات طبيعية، لكن هذه التضاريس تعرضت لتغيير هائل عندما بدأ مشروع الهرم الأكبر. احتاج خوفو إلى كميات ضخمة من الحجر، ففتحت المحاجر وقطعت مساحات من الصخر وأعيد تشكيل أجزاء واسعة من الهضبة، ويرى «ريد» أن هذه الأعمال قطعت أو غيرت بعض المسارات الطبيعية التى كانت المياه التى يوجد فيها أبو الهول. ومن هنا

موجوداً آنذاك، لكنه يكشف عن أن الهضبة لم تكن أرضاً مهجورة اختارها خوفو فجأة لبناء هرمه، وأن للمكان تاريخاً بشرياً أقدم يمكن أن تكون بعض مراحل قد سبقت المشروعات الملكية الضخمة التى غيرت وجه المنطقة فى الدولة القديمة. ويذهب «ريد» إلى أبعد من ذلك عندما يناقش احتمال وجود نشاط دى طبيعة شعائرية «طقوس» فى بعض أجزاء الموقع منذ فترات مبكرة جداً، قد تسبق حتى الملوك الأوائل، لكنه لا يستخدم هذا الاحتمال للقول إن أبو الهول نفسه يعود إلى عصور ما قبل الجذرات، بل لطرح فكرة أن اختيار الموقع قد تكون له جذور أقدم من التمثال الذى نعرفه.

2 الجيزة قبل خوفو وخفرع

من الأفكار المهمة التى يقدمها الكتاب أن هضبة الجيزة لم تكن منطقة خالية قبل عصر خوفو وخفرع، فالمؤلف لكى يدافع عن وجود أبو الهول فى عصر أقدم، كان عليه أولاً أن يثبت أن هضبة الجيزة نفسها لم تبدأ أهميتها مع ظهور الأهرامات الكبرى. ولهذا عاد إلى الأدلة التى تؤكد النشاط البشرى فى المنطقة قبل الأسرة الرابعة، ويشير إلى شواهد تعود إلى فترات أقدم، من بينها آثار مرتبطة بثقافة المعادى، فى الألف الرابع قبل الميلاد. و«ثقافة المعادى» هى ثقافة أثرية من عصور ما قبل الأسرات، ظهرت فى مصر السفلى خلال الألف الرابع قبل الميلاد، وسُميت بهذا الاسم نسبة إلى موقع المعادى جنوب القاهرة، حيث كشفت الحفائر عن بقايا مستوطنة مهمة أصبحت أحد المواقع الرئيسية التى عُرفت من خلالها هذه الثقافة. ولا تعنى هذه الأدلة، بطبيعة الحال، أن أبو الهول كان موجوداً فى ذلك الزمن، وهى نقطة يحصر الجيولوجى البريطانى على الفصل بينها وبين فرضيته الأساسية: فوجود الإنسان فى الجيزة قبل عصر الأهرامات لا يثبت أن أبو الهول كان

3 الحجر يبدأ فى الكلام

إذا كان غياب النصوص يترك الباب مفتوحاً للأسئلة حول باني التمثال، فإن الجيولوجى البريطانى ريدر يتجه إلى مصدر آخر يراه أكثر قدرة على حفظ تاريخ الموقع وهى الصخور نفسها، وهنا ندخل قلب الكتاب. أبو الهول يختلف عن كثير من التماثيل المصرية الضخمة؛ إذ لم يُنَّ بجمع كتل حجرية فوق بعضها، وإنما نُحت مباشرة فى صخر هضبة الجيزة، فقد حفر المصريون الصخور المحيطة وتركوا كتلة ضخمة فى المنتصف، ثم شكلوها حتى أصبحت جسد التمثال. وبذلك أصبح جسم أبو الهول والجدران الصخرية المحيطة به جزءاً من السجل الطبيعى للمكان، يحتفظ بأثار الرياح والرمال والمياه والتغيرات المناخية التى مر بها الموقع. يدرس «ريد»، بصفته جيولوجياً، أنماط التآكل الموجودة على جدران الحوض، ولا ينسب كل ما أصاب الحجر إلى عامل واحد، فهو يعترف

الكتاب:

إعادة كتابة تاريخ
أبو الهول العظيم

المؤلف:

الجيولوجى البريطانى
كولين دى. ريدر

دار النشر:

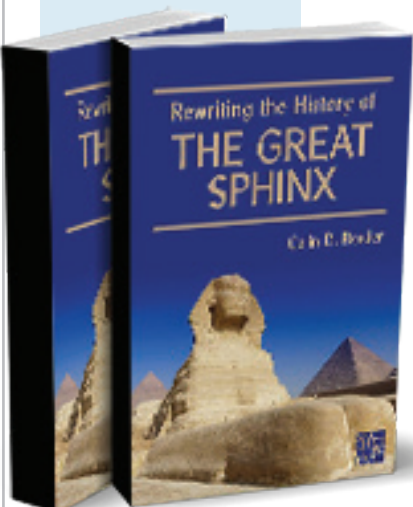
دار
Archaeopress
البريطانية

تاريخ الصدور:

يناير 2026

عدد الصفحات:

332 صفحة



صدر حديثًا



بوسطة الكلمة

صدر كتاب «بوسطة الكلمة» للكاتب حسنى عايش، عن «الآن ناشرون وموزعون» فى عمان، عن رحلة فريدة فى توثيق الواقع الفلسطينى، من خلال جمع منشورات المؤلف على منصات التواصل الاجتماعى لعامى ٢٠٢٤ و٢٠٢٥، وتحويلها إلى نصوص مكتوبة تحمل الألم والغضب والصمود. جاء الكتاب فى ٧٢ صفحة من القطع المتوسط، ويقدم شهادة حية على زمن مضطرب، موثقًا لحظات المأساة اليومية للشعب الفلسطينى فى ظل صمت عربى رسمى ودولى، مع إبراز الدعم الذى يمنح الاحتلال شرعية زائفة ويعقد فرص الحل العادل.



مستقبل الإبداع الإنسانى فى عصر الذكاء الاصطناعى

صدر عن دار العين للنشر، «مستقبل الإبداع الإنسانى فى عصر الذكاء الاصطناعى»، تأليف مشترك بين كل من: الفنان الناقد التشكيلى، دكتور ياسر منجى، الأستاذ بكلية الفنون الجميلة، جامعة العاصمة، والباحث بدر المعمرى، أستاذ مشارك فى قسم التربية الفنية، جامعة السلطان قابوس، ويتناول الكتاب مفهوم «إنسان ما بعد الإنسانية»، Homo Posthumanus بوصفه تعبيرًا عن كينونة جديدة، تعيد تعريف الإنسان فى عالم يتداخل فيه البيولوجى بالرقمى.



أحسن القصص

طرحت دار العين أيضاً، كتاب «أحسن القصص»، تأليف: د. هبة مشهور ترجمة: أميرة مختار، وتحاول مؤلفته أن تجيب على سؤال إلى من يتوجه النص القرآنى، وبأى صيغة من صيغ الخطاب؟.



قهوة البوابين

صدر عن دار «أم الدنيا للدراسات والنشر والتوزيع» بالقاهرة، فى طبعته الأولى لعام ٢٠٢٦، كتاب «قهوة البوابين» سيرة شعراء الإسكندرية، للشاعر والكاتب الساخر محمد البرعى، ليكون الإصدار الأول ضمن سلسلة توثيقية جديدة تحمل اسم «الناس الحلوة»، تهدف إلى تسجيل شهادات وسير المبدعين الذين شكلوا الوجدان الفنى والثقافى المصرى. ويروى الكتاب، بأسلوب ساخر وشديد الحميمية، «التاريخ السرى» لجيل التسعينيات من شعراء وفنانى الإسكندرية، الذين تجمعوا حول مقهى صغيرة أطلقوا عليها اسم «قهوة البوابين»، لا تتجاوز مساحتها ٣ فى ٥ أمتار، لكنها كانت- بحسب تعبير المؤلف فى مقدمته- «شريكة أساسياً فى الحركة الثقافية والفنية لجيل التسعينيات».



المصريون هم من بنوا الأهرامات ولا وجود

لـ«قارة أطلانتس» أو حضارة مجهولة سبقت الفراعنة

فى شكل التمثال داخل تطور أوسع فى الفكر الدينى المصرى، فإذا كان هناك تمثال أسدى فى الأسرة الثانية، ثم أعيد تشكيل رأسه فى عصر خوفو، فإن السؤال يصبح: لماذا احتاج الملك إلى تحويله إلى صورة ملكية؟ يبحث الكتاب فى تطور العلاقة بين الملك والشمس، وفى المكانة المتزايدة لعبادة رع وهليوبوليس خلال الدولة القديمة، ويقترح أن إعادة تشكيل التمثال ربما ارتبطت بصعود مفهوم جديد للملك بوصفه جزءًا من النظام الشمسى وظهور لقب «ابن رع». ويحاول «ريدر» تتبع جذور هذا الفكر إلى مرحلة أقدم، معتبرًا أن التحولات الدينية لا تبدأ عادة فى اللحظة التى يظهر فيها أول نص واضح عنها، بل تسبقها مراحل من التطور يصعب أحيانًا رصدتها أثرًا. وفى نموذجيه يصبح أبو الهول شاهدًا على هذا التحول: تمثال أسدى قديم اكتسب هوية ملكية ثم أصبح جزءًا من المشهد الشمسى للجيزة.

الموجودة حوله؟ فأمام التمثال يقع معبد أبو الهول، ويجواره معبد الوادى المرتبط بخفرع، بينما يصل الطريق الصاعد بين منطقة الوادى ومجمع الهرم. ثم إن الدراسات الأثرية والجيولوجية للصحور أظهرت علاقة بين الحجر المستخرج من حوض التمثال وبعض الكتل المستخدمة فى المباني المجاورة. وبالنسبة إلى الاتجاه الأثرى السائد، تشكل هذه العلاقات صورة متماسكة لمشروع كبير من الأسرة الرابعة. أما «ريدر» فيرى أن ما يبدو مشروعًا واحدًا قد يكون نتيجة عدة مراحل بناء متعاقبة. ويقترح أن حوض أبو الهول والتمثال نفسه كانا موجودين أولاً، ثم بدأت أعمال معمارية حولهما، قبل أن تأتى مشروعات الأسرة الرابعة وتعيد تشكيل المنطقة وتدمج المنشآت القديمة فى مجموعة خفرع. وهنا اختلاف جوهري بين علماء المصريين والعالم البريطانى: لأن الطرفین ينظران إلى الصحور والمباني نفسها تقريبًا، لكنهما يختلفان فى ترتيبها الزمنى؛ فالاتجاه التقليدى يرى أن التمثال والمعبد ومجموعة خفرع أجزاء مترابطة من مشروع متقارب زمنيًا، بينما يرى «ريدر» أن هذا الترابط نتيجة إضافة منشآت جديدة إلى موقع أقدم.

9

خفرع لم يختف من القصة

بعد كل ذلك يبدو أن الكتاب يسعى إلى إخراج خفرع تمامًا من تاريخ أبو الهول، لكن الصحيح أن «ريدر» لا ينكر الأهمية الهائلة لمشروعات خفرع فى المنطقة، وإنما يعيد تعريف دوره. فى السيناريو الذى يطرحه، وجد خفرع موقعًا له تاريخ سابق، ثم أعاد تنظيمه ودمجه فى مجموعته الجنائزية، وبهذا تصبح العلاقة الوثيقة بين أبو الهول ومعبد الوادى والطريق الصاعد ومجموعة الهرم حقيقية، لكنها لا تعنى بالضرورة- وفق رأيه- أن خفرع هو صاحب الفكرة الأولى أو النحت الأول. وإذا كانت الرواية التقليدية تقول: خوفو بنى الهرم الأكبر، ثم جاء خفرع بعده وبنى هرمه ونحت أبو الهول فى عهده، فإن التسلسل مختلف فى رواية «ريدر». إذ يعتقد أن أبو الهول أقدم من الاثنين، ثم جاء خوفو وربما أعاد نحت الرأس لتأخذ شكلًا ملكيًا. وبعد ذلك جاء خفرع وأدخل الموقع ضمن مجموعته المعمارية الكبيرة. وهكذا يصبح أبو الهول، فى رأيه، أثرًا مر بعدة مراحل ولم يُنشأ دفعة واحدة. وهذه الفكرة مهمة، لأنها تغير طريقة النظر إلى الموقع كله وتقدم قصة مختلفة تمامًا عن الرواية التقليدية. فى النهاية، ينحت المصريون تمثالًا أسديًا ضخمًا فى الصحر، وخلال السنوات التالية يتعرض حوضه لمياه الأمطار والجريان السطحي، وبعد ذلك يأتى عصر خوفو، فتغير المحاجر الكبرى شكل الهضبة ومسارات المياه، ويعاد - وفق فرضية المؤلف - نحت رأس الأسد لتصبح رأسًا ملكية. بعدها يأتى خفرع بمشروعه الضخم، فيعيد تنظيم الجزء الشرقى من الهضبة ودمج التمثال القديم داخل دجلة التمثال جديد. ومع مرور القرون تغير دلالة التمثال مرة أخرى، حتى يرتبط فى الدولة الحديثة بحور إم إخت، «حورس فى الأفق»، ويصبح موضع عبادة وترميم. وأخيرًا إذا كان الكتاب يحمل مصادر قوة عبر الجمع بين عدة أشياء معًا وهي: شكل الصحور، ومسارات المياه، والمحاجر، وتقنية النحت القديمة، وتاريخ المعابد، وشكل الرأس، والرموز الدينية، ثم محاولة بناء قصة واحدة تفسر كل هذه العناصر، فإن الأضعف جزء هو أن بعض الاستنتاجات تقوم على استنتاجات أخرى.

فإذا لم يكن التآكل سببه المياه بالشكل الذى يقترحه، ستضعف حجة التاريخ المبكر. وإذا أمكن تفسير العلاقة بين المعابد وأبو الهول بصورة أقوى فى إطار عصر خفرع، فسيضعف التسلسل الذى يقترحه.

والانتقال من «أبو الهول ربما أقدم من خفرع» إلى «هو من الأسرة الثانية» يحتاج أدلة أكثر.

ويسدوان البريطانى ريدير قد أجاد فى الجيولوجيا، موضع تخصصه، وتجاوز فى التفسيرات الأثرية لتخرج، فى معظمها، افتراضات.



مذكرات مجنون أبو الهول

يبنى المؤلف حجته الرئيسية: إذا كانت بعض علامات التآكل الموجودة داخل حوض أبو الهول نتجت بالفعل عن تدفق مياه الأمطار من غرب الهضبة، وإذا كانت محاجر خوفو قد قطعت جزءًا مهمًا من هذه المسارات، فمن المنطقى أن يكون الحوض قد ظل مكتشفًا أمام هذه المياه فترة من الزمن قبل إنشاء محاجر خوفو. بوضوح: ربما كان الحوض موجودًا قبل إنشاء هذه المحاجر. وبذلك لا تصبح القضية مجرد وجود أشار للمياه على الصحور، وإنما ترتبط بالأحداث، فى تصور الجيولوجى البريطانى، كان هناك حوض يتعرض للمياه، ثم جاءت أعمال ضخمة غيرت حركة المياه، وإذا كان هذا الترتيب صحيحًا، فإن نحت الحوض يجب أن يسبق تلك الأعمال، أى أن أبو الهول سيكون أقدم من خوفو، وبالتالي أقدم أيضًا من خفرع. وهذه النقطة هى الفارق الأساسى بين الكتاب وبين بعض النظريات المثيرة المنتشرة حول أبو الهول.. «ريدر» لا يقول إن «المطر يثبت أن عمر التمثال عشرة آلاف عام»، وإنما يحاول استخدام تغير تضاريس الهضبة كوسيلة لمعرفة أى حدث وقع أولاً. ووفق التسلسل: تضاريس أصلية، ثم حفر حوض أبو الهول، ثم تعرضه لجريان مائى، ثم محاجر غيرت شبكة التصريف، ثم مشروعات الأسرة الرابعة.



5

من خفرع إلى الأسرة الثانية

البديهى الآن أن نقول: حتى لو قبلنا جدلاً أن أبو الهول يسبق خوفو، فإن ذلك لا يغيرنا وحده متى نحت؟ ولهذا احتاج «ريدر»، بعد حجته الجيولوجية، إلى العودة إلى علم الآثار ليحدد المرحلة التى يعتقد أن التمثال ظهر فيها، وهنا يختار الأسرة الثانية. بالطبع الاقتراح مضاجئ؛ فحين يفكر القارئ فى العمارة الحجرية العملاقة فى مصر، يتجه ذهنه عادة إلى هرم زوسر المدرج فى الأسرة الثالثة ثم أهرامات الأسرة الرابعة، ولذلك يطرح الكتاب سؤالاً ضرورياً: هل امتلك المصريون فى الأسرة الثانية أصلاً المعرفة والخبرة التى تسمح لهم بنحت تمثال بهذا الحجم؟ وفى الفصل الثانى عشر يستعرض العالم البريطانى تطور استخدام الحجر فى بدايات الدولة المصرية، ويقارن بين أبو الهول والمنشآت الحجرية من الأسرتين الأولى والثانية ثم الأسرة الثالثة، بما فيها المنشآت الضخمة فى سقارة والمقابر الملكية المتأخرة من الأسرة الثانية والتطور الذى بلغ ذروته مع مجموعة زوسر. والسؤال الذى يريد الإجابة عنه: هل كان المصريون قبل عصر الأهرامات قادرين تقنياً على تنفيذ مشروع صخرى بحجم أبو الهول؟ إجابته نعم، ويؤكد «ريدر» أن الخبرة المصرية فى قطع الصحور وتشكيلها لم تظهر فجأة مع إحتوتب ومجموعة زوسر فى سقارة، بل مرت بمرحل حل طويلة من التطور، ويرى أن أواخر الأسرة الثانية شهدت تقدماً كافياً فى التعامل مع الحجر يسمح، من الناحية التقنية على الأقل، بتنفيذ مشروع صخرى كبير. ويجمع المؤلف هذا العامل مع تاريخ المناخ، معتبرًا أن الأسرة الثانية وبدايات الثالثة شهدت فترات كانت الأمطار خلالها أكثر حضورًا مما أصبحت عليه فى العصور اللاحقة، وهو ما يمكن- فى رأيه- أن يفسر مقدار التآكل الذى يرصده فى الحوض. ومن اجتماع هذه العناصر يصل إلى التاريخ الذى يفضلُه: نحت التمثال الأصلي خلال الأسرة الثانية التى سبقت عصر الأهرامات الكبرى بعدة قرون. وبذلك يصبح أبو الهول عند «ريدر» أقدم من هرم زوسر، وليس مجرد أقدم قليلاً من خفرع، بينما التاريخ إلى الأسرة الرابعة هو الأكثر قبولاً فى علم المصريين.

6

معبد أبو الهول

سيسال علماء المصريين بعد قراءة «اجتهاد» الجيولوجى البريطانى: إذا كان أبو الهول لا ينتمى إلى عصر خفرع.. كيف تفسر المنشآت

التمثال كان أسدًا

كاملاً ثم أعيد تشكيل

الرأس لاحقًا إلى رأس

بشرى ملكى



الجيولوجى كولين دى. ريدير فى معرض مؤلفاته



7

أبو الهول «الأصل»

ينتقل «ريدر» بعد ذلك إلى فرضية أكثر جرأة: ماذا كان الشكل الأصلي لهذا التمثال؟ وينطلق المؤلف من ملاحظة يعرفها كثير من زوار الجيزة، وهى أن رأس أبو الهول يبدو صغيرًا نسبيًا مقارنة بجسده الضخم، وبالطبع هذه النسبة غير المعتادة قتلت بحثًا من قبل باحثين مختلفين، لكن «ريدر» يعطيها تفسيرًا محددًا: فهو يرى أن الرأس الذى نراه اليوم نتيجة إعادة نحت كتلة أكبر كانت موجودة فى الأصل. أى أن التمثال فى هذا الحد، بل يرجح أن عملية إعادة النحت حدثت فى عهد خوفو، أى أن صاحب الهرم الأكبر لا يظهر فى رواية الكتاب بوصفه منشئ أبو الهول، وإنما بوصفه ملكًا أعاد تشكيل تمثال أقدم ومنحه هوية ملكية جديدة. ومن المهم الإشارة إلى عدم وجود نص معاصر يروى الأول السؤال الآن: إذا كان التمثال الأصلي أسدًا، فمن كان يمثله؟ هنا يدخل «ريدر» إلى منطقة أكثر صعوبة، لأن الأدلة الدينية من بدايات مصر القديمة محدودة، ويصبح الاعتماد على المقارنة بين الرموز والصور والنصوص اللاحقة أكبر. يقترح المؤلف وجود صلة محتملة بالإلهة «مفدت»، وهى من المعبودات المصرية القديمة المرتبطة بالحيوانات المفترسة والحماية والقوة، وظهرت منذ الفترات المبكرة فى التاريخ المصرى، ويحاول تتبع رمزية الأسد والحيوانات المفترسة فى الفن والدين المبكر، وصولاً إلى نشوء الشكل الذى يجمع جسد الحيوان بالرأس البشرية الملكية، لكن أيضًا لا دليل يربط التمثال مباشرة بمفدت، ومن ثم لا ينبغى تقديم هذه الفرضية باعتبارها اكتشاف هوية أبو الهول الأولى، وإنما محاولة من الجيولوجى البريطانى للإجابة عن فراغ خلفته نظريته: إذا كان التمثال أقدم من الصورة الملكية المعروفة، فما الذى كان يمثله قبلها؟.

8

الشكل الحالى

يحاول «ريدر» بعد ذلك وضع التحول المقترح



إيتوري موسكاتيللي



الدو ستيل



ماريو روسي

– يا حاج.. عارف ميدان ماريو روسي فين بالظبط؟..
– بقالي 60 سنة ساكن هنا، والله دي أول مرة أسمع اسم الميدان ده.. حضرتك متأكد من الاسم ده؟..
هذا مشهد من فيلم من إخراج مخيلى. خلال زيارتي المتتالية لمصر، كنت أود أن أطرح هذا السؤال بالذات للمارة؛ لكى أفهم مدى معرفة المصريين ببعض الخواجات الذين أُعتبرهم شخصيات رئيسية ومهمة فى تاريخ البلاد. فمن كثرة التفكير فى هذا الموضوع، تموضع ميدان ماريو روسي فى خارطى المتخيلة عند تقاطع بين شارع إيتوري موسكاتيللي وشارع ألدو ستيل.



ألدو نيكوسيا

مترجم وباحث من إيطاليا

الخواجة مصرى

لماذا تخلو شوارع مصر من أسماء عشاقها الأجانب؟

عربية سابقاً.. نظر الموظف إلى باندشاه ونوع من التشكك، فأضفت: «شوف ودور على صقلية بالخريطة أو فى جوجل، هتكتشف كل المعلومات اللازمة». تأمل الموظف كلامي لبعض اللحظات كأنه كان يفتش فى خزانة ذاكرته عن اسم صقلية، ثم قبل الفلوس فأعطاني التذكرة.

بعد ذلك لما زرت المتحف المصرى فى مدينة تورينو بإيطاليا، جاء على بالى سؤال لبائعة التذاكر: «بما أن كل التحف الموجودة هنا تم نهبها من مصر، أو وصلت إلى إيطاليا كهدايا من الخديو فلان إلى ملك أو أمير إيطالى (كان الخديو كان مالك التحف أو صانعها). فى رأيك من المعقول أن المواطن المصرى يجب أن يدفع تذكرة غالية ليست فى متناول يده ليرى تحفاً منهبية من أرضه؟»

ردت على البائعة بلطف، ولكن بشكل ألى: «الإدارة لم تقدر أى تخفيض للمصريين. أتذكر أنه فى الماضى كانت هناك تخفيضات لمواطنى الخليج فقط.. ضحكت ضحكة تلقائية ومريرة فى آن. ليست هذه تكتة، لكنها حقيقة إيطالية. متى ستحل عقدة تغييب الخواجات؟ أتمنى أن يحصل أبطال الهندسة والرياضة المقيمون فى مصر فى القرن الماضى على حقهم من طرف السلطات المختصة. ليست شخصيات مثل ماريو روسي أو ألدو ستيل مجرد خواجات، بل كانوا مصريين وطنيين. فلا يجوز أن يكون مصيرهم مركونا فى زاوية مغطاة من التراب «زى روبيا بيكيا»..

ليست شخصيات مثل ماريو روسي أو ألدو ستيل مجرد خواجات بل كانوا مصريين وطنيين

خارج نطاق السياسة أو الجهاد ضد الاستعمار أو الفكر الدينى، «أو الأدب نادراً»، والإدارة والعلوم بشكل عام.

توحى مسألة إطلاق أسماء الميادين والشوارع والكبارى، وإلى آخره، بضرورة الافتتاح الروحي نحو شخصيات لها نفوذ وتأثير فى ترقية الشعوب حتى خارج مجال السياسة، كما تشير إلى ضرورة تغيير سردية التاريخ القومى لكل بلد.

لو ابتعدنا عن «تفاهة» الرياضة المزعومة، وتقربنا من معالم حضارة ثابتة ومرئية فى الهندسة نتساءل: هل تم طرح مسألة فى أوساط المثقفين بمصر للمطالبة بتسمية شارع أو ميدان باسم ماريو روسي مثلاً؟ إلى متى ستدوم عقدة تغييب بعض الخواجات فى جغرافيا المدن المصرية؟ كيف نقيس وزن الشخصيات التى لم تترك أثراً فى الأدب أو الفكر المكتوب، ولكنها أسعدت الشعب وشرفت البلاد وأعادت ثقة الناس فى قدراتهم فى شتى مجالات الحياة؟

قبل سنتين عند شباك التذاكر بقصر البارون بمصر الجديدة، لاحظت لافتة أسعار التذاكر: التذكرة للمواطن المصرى بسعر محدود، فذلك معقول جداً. أما تطبيق هذا السعر نفسه لمواطن العالم العربى، فمميز إلى حد ما.. إلا أننى لا أفهم لماذا مواطن الخليج العربى الذى يربح أكثر من الإيطالى أو اليونانى أو البلغارى لازم يدفع عُشر المبلغ الذى يدفعه أى خواجة. تلك المرة أعطيت لموظف التذاكر المبلغ الخاص بتذاكر المواطنين العرب، قائلاً بالضحكى: «أنا من صقلية، بلاد

الفترة الحالية فى مجال الأدب المصرى نسجل حضور شخصية ماريو روسي فى رواية للكاتبة السكندرية الأستاذة ريم بسيونى، التى كُرسَت له مساحة كبيرة فى روايتها «ماريو وأبو العباس»، فربطت فى مخييلتها الروائية بين المرسى وماريو روسي «على فكرة، التشابه الصوتى بين الاسمين مذهش»..

منذ سنتين تقريباً، قررت زيارة نادى الزمالك بصحبة صديق مصرى لطيف جداً رافقنى إلى كل الفاعات والملاعب والمرافق الموجودة. فاكشفت أن كل ملعب أو صالة يحمل اسم لاعب سابق فى الفريق. كنت أتوقع أننى سأجد مكاناً مخصصاً لتكريم ألدو ستيل؛ بفضل شهرته خلال فترة ذهبية عاشها النادى، ولكن شالو اسم ألدو كمان.. فلا أثر له فى النادى كله. صراحة كانت صدمة أحزنتنى. فى نفس الزيارة تكلمت مع بعض مسئولى النادى وسألتهم إذا كانت لهم وثائق ورقية أو صور تصور الفريق مع الحارس الخواجة. لا ورقة ولا صورة ولا لافتة. حذت الحكاية لأحد الأصدقاء الزمالكويين الأوفياء، فحاول تخفيف صدمتى بالقول: «لا تستغرب يا صديقى. حتى كابتين شحاتة مش مذكور بشكل كافٍ ووافٍ.. إذا قمنا بمقارنة بين مصر وإيطاليا من ناحية عملية إطلاق أسماء الأماكن فى المدن، فنلاحظ أن الفارق أن فى بلادى أسماء بعض الأبطال الرياضيين تم اختيارها لشارع أو ميدان أو حديقة، فى حين أن فى مصر لم يحدث لى أن قرأت أسماء أبطال

للأسف الشديد حتى يومنا هذا، على أرض مصر الواسعة، لا يوجد، على حد معرفتى، شارع ماريو روسي، ولا ميدان موسكاتيللي وشارع ألدو ستيل.. «ممكن لأن لقبه مسكر.. ويذكر الناس بماركة البيرة؟»

فى بداية التسعينيات، خلال أول زيارة لى لمصر، لما كنت أعرف نفسى لناس جدد كان رد فعلهم التلقائى: «يا سلام! ألدو زى حارس مرمى الزمالك فى الستينيات»، وقتئذ ما كنت أعرف أن هناك فريق كرة قدم اسمه الزمالك، وما كنت أتصور من كان ألدو ستيل، والمقطع المسرحى الشهير «شالو ألدو جوابوا شاهين»، ثم تعرفت على زميلة فى دراسات العربية اسمها أنا موسكاتيللي، التى أخبرتني بأن أباهما كان حارس مرمى نادى المصرى، ومن أقارب ألدو ستيل أيضاً. كما اكتشفت أن مغامرة الطليان فى مصر، حتى فترة قيام الجمهورية الناصرية، كانت مليئة بحقائق وأحداث إيجابية ومفاجآت سارة، بعيداً كل البعد عن غطرسة الاستعمار الأجنبى.

فالسؤال المطروح بهذا الصدد: لماذا ما جاءت على بال المسئولين المصريين مبادرة تسمية الشوارع والميادين أو الحدائق أو أماكن عامة أخرى باسم إحدى الشخصيات المذكورة أعلاه؟ أفترض، وبكل بساطة، أن المانع أو الحاجز هو دينى بحت، وليس مرتبطاً بموجة من الوطنية الشوفينية، التى كثيراً ما تنتشر فى الكثير من البلدان، حتى فى إيطاليا إبان فترة الفتح الدامى ضد المستعمرين. لحسن الحظ فى

وإذا انتقلنا من القاهرة إلى مدينة باليرمو بجزيرة صقلية، منذ بضعة عقود، سنجد شارعاً طويلاً جداً يحمل اسم الأمير جعفر، الذى حكم الجزيرة لمدة طويلة خلال فترة الفتح الإسلامى، فى القرن الحادى عشر ميلادياً. فى كاتانيا، وهى ثانياً أكبر مدينة بصقلية، يمكننا أن نتمشى على رصيف شارع ابن حمديس، وهو أشهر شاعر عربى عاش فى الجزيرة فى السنوات الأخيرة من تلك المرحمة التاريخية فى النصف الثانى من نفس القرن، فكان يحن إلى صقلية من منفاه فى الأندلس. حتى فى مدن صقلية الصغيرة، هناك على سبيل المثال، مدينة «جيبيلينا» توجد شوارع عديدة تحمل ذكرى الشاعر نفسه. فلا شك أن هذه المعالم الواقعية قد تساعد الناس فى معرفة تاريخ صقلية.

من الجهة الأخرى، هل الجيل الجديد فى مصر يعرف شيئاً عن ماريو روسي؟ يعرف الكثير منهم أنه مهندس إيطالى صمم أكثر من ٢٠٠ مسجد وعدداً كبيراً من القصور خلال النصف الأول من القرن العشرين. أما إيتوري موسكاتيللي، فكان حارس مرمى نادى المصرى فى الأربعينيات من القرن الماضى. كما كان مشهوراً كأحد أهم المصورين الذين وثقوا الهجوم الثلاثى ضد مدن قناة السويس عام ١٩٥٦، إضافة إلى كونه مصوراً محترفاً غطى بكاميرته الكثير من الأحداث التاريخية فى بورسعيد بحس وطنى منقطع النظير. فهل يجوز أن تصنف هذه الشخصيات بمصطلح معمم وفضفاض مثل «خواجة»؟



رجلان يقفان على طريق خال. لا يعرفان لماذا ينتظران، ولا متى سيأتى من ينتظرانه، ولا حتى أن كان سيأتى أصلاً. يملآن الوقت بأحاديث متقطعة، ويكرران الأفعال نفسها، بينما يمر الزمن ببطء شديد. لا يحدث شئ تقريباً، ومع ذلك لا يستطيع المشاهد أن يرفع عينيه عن خشبة المسرح. شيئاً فشيئاً تكتشف أن الحكاية ليست عن هذين الرجلين، بل عن الإنسان نفسه؛ ذلك الكائن الذى يقضى عمره فى انتظار معنى، أو أمل، أو خلاص قد لا يأتى أبداً.

سمر مرسى

فى انتظار

المعنى كيف غير اللا معقول وجه المسرح؟

وربما لهذا السبب لا تزال شخصيات بيكيت ويونسكو تبدو مألوفة لنا، وكأنها تعيش بيننا، وتنتظر معنا الشئ نفسه.

لهذا لم يكن اللا معقول دعوة إلى الفوضى أو اليأس، بل كان محاولة فنية لفهم عالم فقد بقيته، وإعادة طرح السؤال الذى لا يكف الإنسان عن ملاحظته: إذا لم يكن للحياة معنى جاهز، فهل يستطيع الإنسان أن يصنع معناه بنفسه؟.

بالوحدة، والاعتراب، وفقدان المعنى. كما اعتمد على السخرية، والرمز، والمبالغة، والأحلام، ليكشف التناقضات التى يعيشها الإنسان. ويجعل المشاهد يطرح الأسئلة بدلا من أن يتلقى الإجابات.

ولم تتوقف هذه التجربة عند أوروبا، بل وصلت إلى المسرح العربى فى ستينيات القرن الماضى. تأثر بها توفيق الحكيم فى «يا طالع الشجرة»، حيث امتزج الواقع بالخيال، وأصبح الحوار بين الشخصيات يدور فى خطوط متوازية لا تلتقى. كما

استفاد صلاح عبدالصور من تقنيات اللا معقول فى «مسافر ليل»، ليقدم رؤية رمزية عن السلطة والإنسان. قبل أن تمتد تأثيرات هذا الاتجاه إلى عدد من المسرحيين العرب والعراقيين. ورغم أن دراما اللا معقول ظهرت قبل أكثر من نصف قرن، فإنها لا تزال قادرة على مخاطبة الإنسان المعاصر. فالعالم اليوم، بما يحمله من حروب وأزمات وعزلة، يعيد إنتاج كثير من الأسئلة التى انطلق منها هذا المسرح.

المسرحى.

وجاءت الانطلاقة الأبرز مع صامويل بيكيت فى مسرحيته «فى انتظار جودو». لم تكن غرابية المسرحية فى قصتها، بل فى غياب القصة نفسها: فلا أحداث كبرى، ولا نهاية تحسم المصير، بل انتظار طويل لا ينتهى. وهنا تحول الانتظار إلى رمز لحياة الإنسان، وأصبح الزمن يدور فى دائرة مغلقة، بينما تكرر الأفعال والكلمات بلا نتيجة.

ولم يكن «بيكيت» وحده فى هذا الاتجاه، فقد أسهم يوجين يونسكو فى ترسيخ ملامح اللا معقول من خلال مسرحيات جعلت التواصل بين البشر يبدو مستحيلاً. ففى «أميديه»، تكبر جثة داخل المنزل حتى تملأ المكان، فى صورة رمزية لاتساع المسافات بين الناس. وفى «الكراسى»، ينتظر الجميع خطيباً يحمل الحقيقة، ليكتشفوا فى النهاية أنه أخرس. أما «المغنية الصلعاء» فتكتشف عالمًا فقدت فيه الشخصيات ذاكرتها، وأصبحت الكلمات تُقال دون أن تصنع أى تواصل حقيقى.

لهذا لم يكن مسرح اللا معقول يهتم بحبكة متماسكة أو صراع تقليدى، بل ركز على الإحساس الإنسانى

بهذه الصورة الصادمة دخلت دراما اللا معقول تاريخ المسرح الحديث. لم تأت لتروى قصة بطل، أو تقدم نهاية سعيدة، بل جاءت لتطرح سؤالاً ظل يؤرق الإنسان بعد الحرب العالمية الثانية: ماذا يحدث إذا فقد العالم منطقته؟.

خرجت أوروبا من الحرب مثقلة بالدمار، لكن الخسارة الأكبر لم تكن فى المدن التى تهدمت، بل فى الأفكار التى انهارت. فقد تزعزعت الثقة فى القيم التى طالما اعتُبرت أساس الحضارة، وأصبح الإنسان يشعر بأن العالم لم يعد مكاناً مفهوماً، وأن العقل لم يعد قادراً على تفسير كل ما يحدث. من هنا ظهر أدب العبث أو اللا معقول، بوصفه مرآة لهذه الأزمة، لا بحثاً عن حلول لها.

كان للفيلسوف والكاتب الفرنسى ألبير كامو أثر واضح فى تشكيل هذه الرؤية، خاصة من خلال أفكاره عن عبث الوجود، التى رأت أن الإنسان يبحث باستمرار عن معنى فى عالم لا يمنحه إجابات جاهزة. وفى الوقت نفسه كان المسرح يبحث عن لغة جديدة تستطيع التعبير عن هذا الشعور. فظهرت أعمال كسرت القواعد التقليدية، وجعلت الصمت، والتكرار، والانتظار، جزءاً من الحدث



صلاح عبد الصبور



صامويل بيكيت



نسخة

واحدة

كتاب بريطاني جديد: «يا نساء العالم.. كفاية فلاتر»



ردود الفعل المتباينة على ما قالته واحدة من أشهر نساء السنوات الأخيرة، والتي تعد رمزاً للإشارة والجدابية وخضعت بالفعل لعدة إجراءات تجميلية، فتحت نقاشات واسعة حول التنمر على المظهر الجسدي، وكيف تدفع المرأة ثمن معايير الجمال غير الواقعية والضغط المجتمعية التي تُفرض عليها. كما أشارت نقاشات حول تأثير الإعلام، وصورة الجسد، وتسويق الحميات الغذائية، وفلاتر التجميل، وعمليات نحت القوام، وثقافة «السيلكون والفيلر والبيوتوكس»، وتكبير مناطق معينة بالجسم وغيرها من تقنيات التجميل الأخرى. اتصالاً مع تلك النقاشات المستمرة حول الكمال والجسد الأنثوي المثالي، يبرز كتاب جديد مهم يحمل عنوان «ثمن الجمال: كيف تُحطّ معايير الجمال السامة من قدر المرأة؟ وكيف يمكننا التصدي لها؟»، الصادر عن دار نشر «هاربر كولنز»، في مايو الماضي، وتلقى «حرف» الضوء عليه في السطور التالية.

1 ثمن الجمال

كتاب «ثمن الجمال: كيف تُحطّ معايير الجمال السامة من قدر المرأة؟ وكيف يمكننا التصدي لها؟» من تأليف أليكس لايت، صاحبة الكتب الأكثر مبيعاً في «صنادي تايمز»، التي تحلل معايير الجمال القاسية التي تُفرض على النساء، وكيف يمكن للمرأة مقاومتها وكسر هذه الحلقة المفرغة.

وحسب ما جاء في الكتاب، تخبر معايير الجمال القاسية النساء بأن قيمتهن مشروطة، وأنهن لسن جيداً بما فيه الكفاية كما هن، بل يحتجن دائماً إلى تعديلات وتحسينات ومرشحات، ويمحجن أنفسهن ليصلن إلى هدف الكمال المتغير باستمرار في عالم مليء بالتعديلات وعمليات التجميل السريعة، والإعلانات المستمرة لأدوية إنقاص الوزن.

وتكشف المؤلفة في الكتاب عن التكلفة الباهظة للجمال، وتُطلق نداءً مدوياً للنساء جميعاً ليسيطرن على ذلك الهيول، فالمرأة ليست المشكلة أصلاً، وعليها التحرر من ضغوط معايير الجمال السائدة في الوقت الحالي.

وتدعو الكاتبة النساء إلى تقبّل أجسادهن، وإعادة النظر في نظرتهم لأنفسهن وللأخريات، ضاربة مثلاً لصورة حديثة للنجمة كامرون دياز، استغلها صحفي في إحدى الصحف الأمريكية كنزيرة لهجوم لاذع، زاعماً أن الممثلة تبدو «أكثر إرهاقاً من المعتاد»، وأنها «تبتني» موضحة تقبّل الذات بشكل مبالغ فيه.

والنجمة العالمية سبق أن عرّفت الموضة بأنها الظهور دون مكياج أو «بيوتوكس»، وصرّحت أيضاً: «أفضل أن أرى وجهي يتقدّم في السن على أن أرى وجهاً لا ينتمي إليّ»، وهو ما يميزها عن مظهر هوليوود المثالي الذي اعتدنا عليه من المشاهير.

وتعلّق المؤلفة بأنه ليس في هذا النوع من الصحافة أي جديد، بل يبدو وكأنه عودة مباشرة إلى ثقافة التنمر على الجسد في التسعينيات وبداية الألفية، والتي تجسدت في مجلة «هيت».

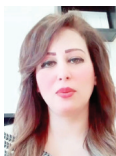
ورغم أن مراقبة أجساد النساء لم تختف قط، بل انتقلت إلى الخفاء، أو اختفت وراء حماية الصور على الإنترنت، فإن من المقلق أن تشعر صحفية، وهي امرأة بطبيعة الحال، بالثقة الكافية للانخراط في هذا النوع من النقد الصريح لمظهر شخص ما.

وتضيف: «يبدو أن الصحافة لم تتعلم شيئاً من قصص

أحب الحرية في أن أعيش في الجسد الذي اخترته، في الجسد الذي يحملني، وسمح لي بأن أحتضن، وأن أهب الحياة، وأن أسقط ثم أنفض من جديد، جسد يستحق الاحترام والحب والامتنان في جميع مراحل.. هكذا علقت جورجينا رودريجيز، شريكة لاعب الكرة العالمي كريستيانو رونالدو، بعد الهجوم وانتقادات التي انهالت عليها بعد نشرها صور غير مُعدّلة، خلال عطلتها

الصيفية الأسبوع الماضي.

جورجينا، قالت أيضاً، تعليقاً على تلك الانتقادات: «سيتغيّر جسدي، كما تتغيّر أجساد جميع النساء، وأمل أن يستمر في التغيّر لسنوات طويلة، لأن ذلك يعني أنني ما زلت أعيش..»



هالة أمين

الظفرية في التواصل إلى سلاح للعزلة، مجبرة إياهن على إنفاق أموالهن لمجرد البقاء مُسلّحات في حرب ضد بنى جنسهن.

ويعد واقع هذه الصبغات التجميلية سلسلة من الخسائر المالية الفادحة، والمضاعفات الطبية الخطيرة، التي تسمع المرأة عن بريقها، لكن لا يتم التحدث بما فيه الكفاية عن أخطاء حقن «الفيلر»، وموت أنسجة الجلد نتيجة الحقن الخاطئ، وتلف الأعصاب الدائم، والالتهابات الخطيرة الناجمة عن عمليات التجميل الرخيصة والشبهوة.

وتغرق النساء حرفياً في ديون طائلة، ويقترضن بفائدة مرتفعة، ويشتريّن منتجات لا يحتجنها، كل ذلك سعياً وراء مظهر سيصبح موضة قديمة بحلول الموسم المقبل، وفق «لايت»، التي تضيف: «صناعة التجميل نجت في إعادة تسويق معايير الجمال تلك على أنها أشكال من التمكين، ما يُبقي النساء عالقَات في دوامة لا نهاية لها..»

3 وهم الكمال

للخروج من تلك الدوامة والنجاة منها، تنصح «لايت»، المرأة، في كتابها، بأن ترفض تلك القيمة المشروطة التي تفرضها عليها الضغوط المجتمعية.

تعتمد على الكمال الجسدي أو مواكبة أحدث الصيحات، وراجمي حساباتك على مواقع التواصل الاجتماعي، ألغ متابعة الحسابات التي تروج لمقارنات ضارة، أو صور غير واقعية، أو حميات غذائية قاسية..

وتضيف: «اعيد تعريف مفهوم العناية الذاتية، وحاولي تركيزك من تغيير مظهرك إلى الاهتمام بشعورك، ومارسي التعاطف الجماعي وادعمي النساء والفتيات الأخريات برفضك الحكم على المظاهر الجسدية أو انتقادها، بما في ذلك جسدك أنت..»

وتشير إلى أن المرأة عليها إدراك من هو المستفيد الحقيقي، فمن أهم التحولات النفسية التي تعلّمها «لايت»، هو «اتباع مصدر الريح»، تقول: «عندما نتظرين في المرأة وتشعرين بانعدام الثقة بسبب تعجيد أو ثنية أوعلامات تمدد مظهر المرأة موضوعاً لكتاب أو مقال قد صممت هذا الشعور ليعيك حلاً بثمن، لذلك يجب تحويل شكوكك الذاتية إلى غضب مُحقّ تجاه نظام رأسمالي مُتلاعب يسهّل عليك الانسحاب منه..»

ويجب أن تستعيد النساء الاستقلالية وإعادة تعريف قيمتهن: «التمسك الحقيقي هو تأكيد أن قيمتك غير قابلة للتفاوض ومستقلة عن مظهرك، وحماية مساحتك الذهنية بشدة، واستثمار وقتك وكتاكيتك وطاقتك في هوايات وعلاقات وأهداف لا علاقة لها بمظهرك، وفق مؤلفة الكتاب، وفي النهاية تقول «لايت»: «في عالم مثالي حقيقي ستكون جميعاً محابدين تجاه أجسادنا، لن يكون مظهر المرأة موضوعاً لكتاب أو مقال رأي، لأنه لن تكون هناك حاجة إلى خوض هذا النقاش أصلاً.. لكننا لم نصل إلى ذلك بعد..»

من أن تبدي مختلفة عن الأخريات؟» وتنبّه إلى ضرورة تعريف الصحة بشكل أوسع: ليس فقط من خلال مؤشر كتلة الجسم أو الأرقام على الميزان، بل أيضاً من خلال حالتنا النفسية ونظرتنا إلى العالم، مضيفة: «لقد أمضيت سنوات أسيرة لتدني تقدير الذات وصورة الجسد السلبية.. لقد كان وضفاً مريفاً، وأشعر بالندم على تلك الفترة..»

وتشدد على أن ما يحفزها هو «ضمان ألا ينتهي المطاف بنساء أخريات إلى عيش حياة أقل شأناً لأنهن يشعرن بأنهن غير كافيات..»

وتشير إلى أن من أهم محرّكات «ديستوبيا» الجمال الحديثة اليوم، والتي تتسبب في شعور النساء بعدم الكفاية ويعدم الثقة في وجههن وأجسادهن: الوهم الرقمي.

وتشرح: «يتجلى الوهم الرقمي في صور الذكاء الاصطناعي التي لا مفر منها، وأدوات التعديل، وفلاتر وسائل التواصل الاجتماعي التي تخلق معياراً مستحيلًا للمظهر البشري، بالإضافة إلى انعدام الأمان المسوّق، حيث تستفيد صناعات الصحة والتجميل بشكل مباشر من خلال إقناع الناس بأن الشيخوخة الطبيعية أو الأجسام الطبيعية عيوب تحتاج إلى تصحيح، علاوة على الإجراءات التجميلية السريعة التي تُطبع التعديل الجسدي المستمر تحت قناع الصيانة الروتينية..»

وتواصل: «استغلّت صناعة التجميل الجمال كسلاح وباعته للنساء، فهن يخضعن الآن لعمليات تجميل غير ضرورية، وينفقن ثروات طائلة، وتتراكم عليهن قروض ضخمة لمجرد المظهر بمظهر فرض عليهن، لدرجة أن النساء أصبحن يشيخن بعضهن، ثم تراهن يعانين من مضاعفات مؤلمة ومروعة يتدمن عليها أشد الندم فيما بعد..»

وكما تقول «لايت»، لا تكتفي آلة التجميل العملاقة، التي تُدرّ مليارات الدولارات، بالرغبة في أموال النساء فحسب، بل تزدهر على حسدهن، فمن خلال الترويج المستمر لمفهوم «الكمال» المثالي الضيق والمتغير باستمرار، تخلق هذه الصناعة ثروة مصطنعة للقيمة، وتجعل النساء يشعرن بأن التقدير المتاح محدود، فإذا تلقت امرأة أخرى مجاملة فإن ذلك يُثير حالة من الذعر الفوري لدى الأخريات، ويجعلهن يشعرن بالفشل.

وتضيف: «لقد تربت المرأة على النظر إلى كل امرأة أخرى لا كأخت، بل كمنافسة مباشرة في مسابقة قاسية لم نطلب المشاركة فيها قط، وعندما ترى امرأة أخرى، تكون هذه الصناعة قد درّبت عقلها على مسحها ضوئياً على الفور، وانتقادها، ومقارنته بشرتها، وشعرها وجسدها..»

وإذا كانت النساء منشغلات بالتنافس فيما بينهن، وتحطيم بعضهن البعض، والتهاافت على شراء أحدث منتجات العناية بالبشرة ذات الخطوات العشر، أو حجز موعد حقن «الفيلر»، و«البيوتوكس»، بدافع انعدام الثقة بالنفس، فإننا نغفل عن «المفسر الحقيقي» وهو صناعة التجميل نفسها، التي حوّلت رغبة النساء

مشاهير نساء تدمرت صحتهن النفسية بسبب هذا النقد الموجه إلى أجسادهن، أمثال بريتن سبيرز وإيمي وايتهاوس وغيرهما الكثير..»

وتدعو «لايت» إلى إعادة نظر جذرية في معايير الجمال غير الواقعية، مشيرة إلى أن النساء اللاتي يتقدمن في السن تحت الأضواء، بل وجميع النساء بشكل متزايد، يواجهن مأزقاً مزدوجاً.

وتوضح ذلك بقولها: «لا توجد طريقة للتقدم في السن بشكل صحيح، إما أن تُتهمي بالإهمال أو بالتصنع، فإذا اتبعت مثال كامرون دياز ولم تجرّ أي تغييرات على وجهك، ستُتهمن بالإهمال، بينما إذا اخترت الخضوع لعملية جراحية سيُقال لك إنك مُزيفة ومُصطنعة وقذرة سيئة..»

وتنبّه إلى «ميلنا المتجدد إلى الحكم على أنفسنا، وعلى بعضنا البعض بقسوة، سواء كان ذلك بسبب عدد التجاعيد على جباهنا أو مقاس ملابسنا، هو نتيجة مباشرة لانتشار أدوية التخسيس والنحافة السريعة..»

وتضيف: «لقد سمع لنا ذلك بالتعليق بسهولة وصراحة أكبر على أجساد النساء، وعاد الوزن، على وجه الخصوص، إلى صدارة النقاشات، ومع ازدياد انتشار هذه الأدوية، لم تعد النحافة مجرد طموح، بل أصبحت أمراً متوقفاً..»

2 صناعة التجميل

ينطبق الأمر نفسه على صناعة التجميل، وفق مؤلفة الكتاب، فكلما زاد وعدنا بمسار سريع للحصول على وجه شاب، عن طريق إجراء تعديل بسيط في أي مركز أو خدعة، على سبيل المثال، أصبح من غير المقبول للناس التحلّي عن هذه الحلول.

وتشير إلى أن كامرون دياز، بصفتها شخصية مشهورة ثرية، تمتلك الوسائل والقدرة على الوصول إلى علاجات التجميل، لذا فمن المؤكد أنها كان ينبغي أن تستفيد منها، وبكاد الأمر يكون أشبه بالذهول. وكأننا نتساءل: لماذا تستسلم؟»

وتعتقد المؤلفة أن السبيل الوحيد أمام النساء لاستعادة السيطرة على مفهوم الجمال هو البدء في حساب التكلفة الحقيقية للرغبة في الظهور بشكل معين، مشيرة إلى أن هذه المُثل السامة تُكلف النساء الكثير من المال والوقت والصحة النفسية.

وتضيف: «من المهم حقاً أن ننظر في كيفية دفعنا ثمن كل هذا الجهد، لا أقصد التكلفة المالية فحسب، بل أيضاً الجهد الذهني والوقت الذي يستغرقه منا، مؤكدة أنها «تلكلة لا يتحملها الرجال ببساطة، واعتقد أن هذا ما يجب أن يثير غضبنا، أو على الأقل يحفزنا على المقاومة وتحدي هذه المعايير الجائرة..»

وتنصح «لايت» النساء اللواتي يشعرن بالضعف بأن «يتمعن في فهم الأسباب، قبل الشروع في اتباع نظام غذائي جزري لإنقاص الوزن أو الخضوع لعمليات تجميلية، قائلة: «أسألي نفسك، هل سيُجلب لك هذا إشباعاً أو رضا حقيقياً، أم أنك تفعلين ذلك لمجرد خوفك

معايير الجمال تدفع النساء إلى السعى وراء الكمال الوهمي»



أليكس لايت

تكلفة هوس النساء بالمظهر: أموال باهظة وصحة نفسية وجسدية في أسوأ حالاتها



الشطرنج هو فن الممكن. ففي النهاية، عدد حركات الشطرنج الممكنة يفوق عدد الذرات في الكون. يعتبر لاعبو الشطرنج خبراء في دراسة خياراتهم، ما يتيح لهم اغتنام فرصة أو فكرة أو خطوة لم يلحظها أحد. تطلق جينيفر شاهادي، بطلة الولايات المتحدة للشطرنج مرتين، على هذا التفكير الإبداعي. وفي عالمنا شديد التنافسية اليوم، يمكن للتفكير الإبداعي أن يساعدك على النجاح في الحياة.

في كتابها التفكير الجانبي: كيف تفكر كلاعب شطرنج وتفوز في الحياة، تبين شاهادي أنه ليس من الضروري أن تكون لاعب شطرنج محترفا لتفكر مثله. من بناء قصور العقل، إلى تصميم اشجار القرارات، تكشف عن أكثر الاستراتيجيات فائدة من هذه اللعبة العريقة التي يمكننا

استخدامها في حياتنا اليومية.

الكتاب الذي يقع في 272 صفحة، صدر في 7 أبريل الماضي، عن دار نشر بيجاسوس بوكس، المستقلة، وتأتي أهميته في أنه بالاستناد إلى أمثلة من عالم الأعمال والرياضة وعلم النفس، والتجارب الشخصية، يغيّر شهادة فهمنا لمفهوم النجاح وكيفية تحقيقه. لا يتناول الكتاب تحسين مهارات الشطرنج، أو حتى ممارسة الشطرنج من الأساس، بل يسلط الضوء على كيف يمكن للتفكير الإبداعي أن يقودنا إلى النجاح والسعادة.



ميرفانا ماهر

كش ملك

كيف تواجه الحياة على طريقة لاعب شطرنج؟



جينيفر شاهادي

للأمام، لشجرة أقصر وأكثر كثافة وفروعاً. من منهما ينظر إلى خيارات أكثر؟ اللاعب الثاني، باثني عشر احتمالاً بدلاً من عشرة. فطر اللاعب الثاني إلى عدد أقل من الخطوات للأمام، لكنه درس خيارات أكثر. وهذه الخيارات أكثر ترجيحاً للتنفيذ، لأنها لا تتطلب افتراضات كثيرة حول كيفية تطور الأحداث. إن اتساع نطاق التحليل أهم من عمقه. كما تقول الأستاذة الكبرى آنا موزيتشوك: «ليس طول الخطوط التي نستطيع تحليلها هو المهم، بل دقتها. أحياناً لا نحسب سوى نقلتين أو ثلاث نقلات للأمام. حتى ماجنوس كارلسن، المصنف الأعلى في تاريخ الشطرنج، صرح بأنه لا يعتبر نفسه خبيراً في الحساب. بل قال: «أنا بارع في حساب النقلات القصيرة، وروية التفاصيل الدقيقة، التي يغفل عنها الآخرون. لقد عبر بطل العالم الثالث في الشطرنج، خوسيه راعول كابابلانكا، المعروف بموهبته الفذة في الشطرنج وأسلوبه الراقى، عن هذا الأمر بأفضل طريقة. في حوار

أشجار القرار، وإدارة الوقت، والذاكرة، والتعرف على الأنماط، والطموح «كفضيلة وديلة»، ومعرفة نقاط القوة، والمجازة، واختتمت بخبرة نقدية للتفكير الإبداعي: تحسين اللعبة «الحياة، الشطرنج، البوكر، المجتمع، بدلاً من مجرد السعي للتحسين. توضح في كتابها، الذي يمزج بين فلسفة الشطرنج وعلم النفس والبوكر واتخاذ القرارات، ماهية التفكير الجانبي، مفندة المفهوم الخاطئ الشائع عن تفكير لاعبي الشطرنج بأنهم يفكرون في المستقبل البعيد، ولكن في الحقيقة يفكرون في خيارات متعددة. تتجادل عكس ما يتوقعه الكثيرون: «في عالمنا الحالي، حيث يسود الكثير من عدم اليقين... أنت على صواب إذا لم تفكر في الكثير من الخطوات مسبقاً»، تشكل هذه الفلسفة جوهر كتابها، الذي يتناول التعقيد، من خلال توسيع خياراتك بدلاً من الالتزام بتوقع واحد.

3 افتراضات كثيرة

تري الكاتبة أن كثيراً منا يُعجب بهذه المهارة ويحاول تقليدها في حياته. لكن الحقيقة أكثر تعقيداً. فالتفكير البعيد المدى قد لا يُجدي نفعاً بقدر دراسة خيارات أكثر بدقة. تخيل شخصين يتخذان قرارات، أحدهما ينظر إلى حركته المفضلة لعشر خطوات للأمام، كشجرة بلا فروع عالية في السماء. أما الآخر فينظر إلى أربع حركات مختلفة، متخيلاً كل حركة منها ثلاث خطوات

1 نطاق اللعبة

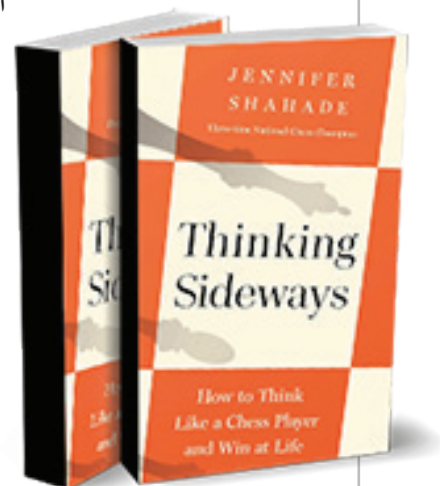
تقول شاهادي إنها أفتت الكتاب جزئياً لنفسها، لأنه ساعدها في تطوير أفكار ومسارات كانت بحاجة إليها في تفكيرها وحياتها؛ وأنها تأمل أن يفيد القراء ويساعدهم في رؤية الأمور بمنظور إيجابي، رغم صعوبة الحياة وصعوبة تطوير الذات. أما السبب الآخر، فهو شعورها بأن ثقافتنا، للأسف، تتجه نحو فقدان النزعة الإنسانية بسبب صعود الذكاء الاصطناعي. وهو أمر تجده مقلقاً للغاية. لذا فكتابها كتاب إنساني بامتياز، حيث إنه عندما تفكر في تطورنا الشخصي، فإننا نسعى لتكون أفضل البشر الذين يمكننا أن نكون في عالم سريع التغير. السبب الثالث هو أنها كانت تبعد النظر في مسيرة أشخاص مثل ديميس هاسابيس، الرئيس التنفيذي لشركة ديب مايتد تكنولوجيز، الذي وظف الشطرنج لتحقيق إنجازات عظيمة خارج نطاق اللعبة، خاصة في مجال الذكاء الاصطناعي. فالشطرنج في جوهره أسلوب تفكير، وبمكثك استخدامه ليس فقط لتصبح بطلاً في الشطرنج، بل لتحقيق إنجازات مهمة أخرى خارج اللعبة.

2 التفكير الجانبي

تناولت المؤلفة كتابها في سبعة فصول وخاتمة، هي:

جينيفر شاهادي بطلة في الشطرنج والبوكر، ومؤلفة، ومُتحدثة، وهي أول امرأة تفوز ببطولة الولايات المتحدة المفتوحة للناشئين، كما أنها تحمل لقبين في بطولة الولايات المتحدة للسيدات. لديها شغف كبير بتطوير مهارات الحياة والإبداع من خلال اللعبتين اللتين تعشقهما: الشطرنج والبوكر.

فازت بجائزة البوكر العالمية مرتين، وحصلت على الميدالية الفضية الأولمبية، وظهرت في برنامج «جيباردى»، ونشرت كتاباتها في صحف «واشنطن بوست»، و«وول ستريت جورنال»، و«نيويورك تايمز». تستضاف بانتظام في وسائل الإعلام الرئيسية، بما في ذلك CNN وNBC، للتعليق على مواضيع مثل ازدهار الشطرنج، الذي أشاره مسلسل «مناورة الملكة»، تقيم جينيفر في فيلادلفيا.



صاحبة الكتاب جينيفر شاهادي بطلة في الشطرنج والبوكر ومؤلفة

لعبة الشطرنج تغيّر فهمنا لمفهوم النجاح وكيفية تحقيقه

كش ملك

الكتاب يقدم دروسًا حياتية فى اتخاذ قرارات أكثر ذكاء وبناء التركيز والثقة

الطريق إلى الإتقان فى الشطرنج والبوكر والحياة ملء بآلاف الخسائر فى طريق الفوز

وحصلت على معيار الأستاذية الدولية، بفضل رؤيتها حركة خاطفة فى الشطرنج. كانت مجرد نقلة صغيرة للرخ، لكنها كانت مدمرة، إذ هددت نمطًا تكتيكيًا يُعرف باسم «طاحونة الهواء».

طاحونة الهواء هى سلسلة من الحركات الخاطفة التى تقصى عدة قطع للخصم، واحدة تلو الأخرى. بعد فوزى بالمباراة واللقب، سألنى بعض أصدقائى كيف استطعت التنبؤ بهذه المسافة البعيدة فى مباراة شديدة التوتر كهذه. لكن السر الحقيقى لم يكن فى مدى بُعد ما رأيته، بل فى مدى بُعد ما رأيته فى الملعب.

تروى شهادى: فى مرحلة من حياتى، بعيدًا عن الشطرنج، كان علىّ أن اتخذ خطوة حاسمة عندما كنت أبحث عن شراء منزلى الأول. كانت لدى دوافع قوية لشراء منزل لأسباب تقليدية كثيرة: فأول مرة فى حياتى، استطعت دفع الدفعة الأولى، وبدأ لى شراء منزل بمثابة تحقيق أول بند فى قائمة الحلم الأمريكى. إضافة إلى ذلك، كانت عملية البحث عن منازل مع صديقى، زوجى الآن، ممتعة للغاية. حتى المنازل المتواضعة التى كنا نشاهدها كانت مؤثرة بشكل جميل للغاية؛ بدت جميعها فخمة خالية من الفوضى اليومية التى تنقل كامل منازلنا الحقيقية.

وكان الجزء الممتع هو تخيل جميع المسارات المختلفة التى يمكن أن تسلكها حياتنا، اعتمادًا على المنزل الذى سنشتريه: المقاهى والحدائق التى سنرتادها، والجيران الذين سنتعرف عليهم، وزوايا القراءة وأجهزة المطبخ التى ستكون لدينا مساحة لها. من سيكون لو عشنا فى هذا المنزل أو ذاك؟

بعد معاينة حوالى عشرة خيارات، استقرنا على ثلاثة منها: شقة مجعدة أنيقة فى حى مركزى، ومنزل صغير أقرب إلى قلب المدينة النابض، ومنزل متلاصق فى جنوب فيلادلفيا، وهى منطقة تشتهر بأفضل المطاعم وأماكن الترفيه فى المدينة.

خلال عملية البحث، اقنعت نفسى بضرورة اختيار أحد هذه الخيارات. كان الأمر أشبه بإنتاج حلقة خاصة بى من برنامج «صائدو المنازل»، حيث يعرض على المشتريين ثلاثة منازل فقط قبل الشراء.

اشترينا المنزل فى جنوب فيلادلفيا. لكن فى تلك الفترة من حياتى، كنت أسافر باستمرار. لم أكن قد قررت بعد ما إذا كنت أريد فى إنجاب أطفال، لذا من يدري إن كان هذا هو «منزلى الدائم»؟.

هناك مبدأ مشابه لمن يترددون بين شراء منزل أو استئجاره. إذا كنت تخطط للعيش فى مدينة لمدة خمس سنوات على الأقل، فمن المنطقى الشراء. أما إذا كانت المدة أقل من ذلك، فستتكبد خسائر فادحة بسبب تكاليف المعاملات والانتقال.

لو فكرت طويلًا على المسارات المختلفة التى كان من الممكن أن أسلكها فى حياتى فى هذه المرحلة، لربما أجلت عملية الشراء الكبيرة ونظرت فى خيارات بديلة. كان بإمكانى إيجاد حل وسط.

ربما كان بإمكانى السفر حول العالم وتخزين أغراضى فى وحدة سكنية. أو استئجار شقة فى مدينة تتطلب منى القيام بمعظم أعمالى، مثل سانت لويس، عاصمة الشطرنج، أو لاس فيجاس، عاصمة البوكر.

9 الحل الوسط

تقول المؤلفة: يمنحك الحل الوسط الجيد وقتًا، ما يسمح لك بالعودة لاحقًا إلى مفترق الطرق الذى حيزك بمعلومات أكثر. لا يقتصر دور الحلول الوسط على تأجيل القرار فحسب، بل يمكنها تحسينه، مع الحفاظ على ما يسميه الاقتصاديون «الخيارات المتاحة». لم أَرِ أيًا من ذلك. كنت غارقة فى دوامة لا تنتهى.

استغل صديقتى مات فترة الانتظار بعد أن تغيّرت حياته بشكل غير متوقع إثر اختياره عضوية هيئة المحلفين. كان قد تجاوز الأربعين من عمره آنذاك، وكان قد راودته سابقًا رغبة فى العمل فى المجال القانونى، لكنه لم يُقدم على أى خطوة. ثم اختير محلفًا فى محاكمة قتل فى بركوليك.

أشعلت مشاهدته محامياً عامًا متحمسًا وهو يكافح لجذب انتباه المحلفين- الذين كانوا يرغبون فى العودة إلى العمل، أو الذين اعتقدوا أن المهتم منذب من النظرة الأولى- حلمًا فى نفس بآن يصبح ذلك المحامى.

قال لى مات، «افترضت أن الأمر سينتهى عند هذا الحد، ففكرت أن أصبح محامياً عامًا فى حياة أخرى». لكن هذا الشعور لم يخف.

بعد أشهر، ظلت الفكرة ترأوده. كان عليه أن يفعل شيئًا. وخطر بباله أن منهة المحاماة ليست قرارًا واحدًا، بل سلسلة من القرارات. فلماذا لا يتخذ خطوة وسيطة بينما يقيم قدراته واهتماماته؟

فبدأ بالدراسة لاختبارات القبول فى كلية الحقوق التى ستؤهله للالتحاق بها. وقد زودته خطواته الوسيطة بمعلومات قيمة: ففى كل مرة، كان يتوق إلى الخطوة التالية. التحق بكلية بركوليك للحقوق فى سن الثامنة والأربعين؛ ليخوض تجربة فريدة من نوعها فى حياته.

أحيانًا تسير الأمور بشكل غير متوقع، وليس بالضرورة أن يكون ذلك بسبب أسلوبك فى العمل؛ لذا فإن تجاهل النتائج قد يؤدى إلى حياة أسعد. فالعمليات الجيدة تؤدى فى المتوسط إلى نتائج جيدة مع مرور الوقت، حتى وإن خسرت فى بعض الأحيان.

إن الطريق إلى الإتقان فى الشطرنج والبوكر والحياة ملء بآلاف الخسائر فى طريق الفوز؛ لذا فإن نصيحة الكاتبة هى الفشل بطريقة غير مباشرة- فهناك دائمًا أشياء جديدة يمكن تعلمها من إخفاقاتنا، والمخاطرة التى نتحملها بعدم المخاطرة، أكبر من المخاطرة إذا قمنا بالنعس البارد وحاولنا بجد- لا أحد يُصبح بطلا فى الحياة أو أى شئ آخر بعدم المخاطرة.



التفكير بعيد المدى قد لا يجدى نفعًا بقدر دراسة خيارات أكثر بدقة



أذكى خطوة فى الحياة كما فى الشطرنج هى أحيانًا خطوة جانبية



مختلفة، قاطع مورفى التسلسل، محدّدًا اضطرابًا كبيرًا فى موقف خصمه. الحركات الانتقالية مذهلة حقًا. فعندما لعبت جوديت بولجار أحداها ضد أستاذ كبير آخر، قفز الأخير من مقعده.

تذكرنا الحركات الانتقالية بأنه بدلًا من التفكير فى المستقبل البعيد، علينا البحث عن المفاجآت الصغيرة التى لا يراها أحد سوانا.

7 خطة الأوديسة

تقول شهادى: تتجلى عبثية التخطيط المسبق فى إحدى عباراتى المفضلة، من الكوميدي الراحل ميتش هيدبيرج: «أين ترى نفسك بعد خمس سنوات؟». «أحتفل بمرور خمس سنوات على سؤالك لى هذا». فى الواقع، تنهار الخطة الخمسية عند مواجهة ما هو غير متوقع. كجائحة عالمية مثلاً. اعتبر الخطط الخمسية بمثابة خمسة نماذج مستقبلية لنفسى. أراعى المخاطر والمهارات المشتركة، مع الحرص على توقع المفاجآت.

يقول بيل بورفيت وديف إيفانز، مؤلفا كتاب «تصميم حياتك»، «لا تصمد أى خطة أمام أول احتكاك بالواقع». يؤيد أستاذًا جامعة ستانفورد ما يسميانه «خطة الأوديسة»، حيث تتخيل خططًا بديلة لحياتك، انطلاقًا من فكرة أنه حتى لو لم تسر الخطة على نحو متوقع، فإن التخطيط نفسه سيساعدك على اكتشاف قيمك ورغباتك ومخاوفك.

يوصيان بوضع ثلاث خطط مختلفة تتراوح مدتها بين خمس وعشر سنوات: خطة أساسية، وخطة بديلة، وخطة ستفندها لو لم يكن المال وأراء الآخرين عائقًا. هدفهما هو جعلك أكثر انفتاحًا على الاحتمالات، بدلًا من أن تقيد برؤية جامدة.

8 طاحونة الهواء

تلفت المؤلفة إلى أن لعبة الشطرنج تتطلب نفس العقلية: التخطيط، ولكن كن مستعدًا للتخلي عن الخطة فى أى لحظة. نسخنًا من المثل القائل: «الإنسان يخطط، والله يضحك»، هى: «التنوع الطويل، التنوع الخاطئ».

عندما يفكر أستاذ الشطرنج فى عشر أو حتى خمس نقلات للأمام، غالبًا ما يفوته رد فى النقلة الأولى أو الثانية أو الثالثة أو الرابعة. قد يتطلب رسم مستقبل لسنوات عديدة تغييرًا جذريًا إذا تغيرت رغباتك أو ظروفك. كن مرناً حتى تكون على دراية بالفرص المتاحة من حولك.

تشير الكاتبة إلى أنها فازت بأول بطولة أمريكية لها،

وصل الحاسب إلى مستوى أستاذ بارع، متجاوزًا التوقعات، والأهم من ذلك، أنه حطم الخرافة القائلة بأن لاعبى الشطرنج المتميزين يجب أن يخططوا للعديد من النقلات مسبقًا.

تضيف: لا يستطيع البشر تخزين مليارات البيانات، لذا فإن قدرتنا على اللعب ببراعة دون التفكير فى أى خطوة مستقبلية لن تكون بنفس فاعلية الذكاء الاصطناعى. لكن الأمر قد لا يكون سيئًا كما تظن. تخيل أنك تتخذ قرارات فى الحياة بعد استعراض كل الخيارات المتاحة، ثم تختار بناءً على حدسك.

ربما سترتكب الكثير من الأخطاء، لكنك ستتخذ أيضًا الكثير من القرارات الصائبة. بصفتى شخصًا وقع فى الحب من النظرة الأولى، فأنا سعيد لأننى لم أفكر كثيرًا فى الخطوات المستقبلية عندما قررت التحدث إلى ذلك الرجل ذى الابتسامة المشرقة التى استرنتى من بعيد.

5 التحركات المرشحة

تتحدث المؤلفة، أيضًا، عن مفهوم «التحركات المرشحة»، وهو مفهوم شائع فى الشطرنج بين لاعبى الأندية. تقول: «عندما ترى وضعية شطرنج.. يتوقف الكثيرون عند أن التحسينات التى يمكنهم فعلها. لكننا نريد أن نكون أفضل من ذلك.. أن نتوصل إلى ثلاث نقلات مرشحة على الأقل.. نقيم كل واحدة منها ونختار الأفضل».

وتضيف أن التحدى يكمن فى أن الناس يميلون إلى تجاهل ما يمكنهم فعله. بصفتى شخصًا وقع فى الحب من النظرة الأولى، فأنا سعيد لأننى لم أفكر كثيرًا فى الخطوات المستقبلية عندما قررت التحدث إلى ذلك الرجل ذى الابتسامة المشرقة التى استرنتى من بعيد.

6 المفاجآت الصغيرة

تشير الكاتبة إلى الحركات الجانبية الماكرة التى يعتمد عليها لاعبو الشطرنج المحترفون، والتى تعرف باسم «الحركات الانتقالية» أو «الحركات بين النقلات». وقد نفذها عبقرى الشطرنج الأمريكى وبطل العالم غير الرسمى، بول مورفى، مرارًا وتكرارًا فى مقاهى نيو أورليانز، حيث كان يحقق انتصارات متتالية فى القرن التاسع عشر.

بدت حركة مورفى واضحة، فلماذا لا يستعيد القطعة التى أخذت للنتو؟ ولكن فجأة، وبحركة هجومية

أسطوري، سألته صحفى: «كم عدد النقلات التى تفكر فيها مسبقًا؟» فأجاب العبقرى الكوبى ببساطة: «نقلة واحدة، لكنها النقلة الصحيحة».

إذا كان كابابلانكا يفكر فى نقلة واحدة فقط، فكيف كان متأكدًا من أنها النقلة الصحيحة؟ لأنه كان يخصص جميع الاحتمالات، نقلة واحدة للأمام، لكن كل نقلة كانت واسعة النطاق. قد تكون هذه المقولة ملفقة ومبالغ فيها، لكن ذلك لم يمنعه من الانتشار على نطاق واسع عبر العقود. وهى الآن أكثر أهمية من أى وقت مضى.

4 أشجار القرار

تشير شهادى إلى أن فى عام ٢٠٢٤، نشر مركز أبحاث الذكاء الاصطناعى التابع لشركة جوجل، ديب مايند، مقالًا استنادًا إلى بحثه بعنوان «شطرنج بمستوى أستاذ كبير دون بحث»، وهو نموذج ذكاء اصطناعى جديد للشطرنج يلعب تمامًا وفقًا لنمط «أفكر فى خطوة للأمام، الشهير».

لم يكن الهدف هو ابتكار ذكاء اصطناعى قادر على هزيمة أفضل لاعبى الشطرنج البشريين- فقد تم ذلك بالفعل فى عام ١٩٩٧. ولم يكن الهدف أيضًا ابتكار أقوى ذكاء اصطناعى للشطرنج- فقد سبق لديب مايند أن حقق ذلك فى عام ٢٠١٧.

بل كان الهدف هو إزالة عنصر أساسى ظاهرى لمعرفة ما إذا كان الذكاء الاصطناعى سيظل قادرًا على العمل. ما مدى جودة أداء الذكاء الاصطناعى دون أى بحث على الإطلاق؟ «البحث، هنا يعنى «النظر إلى الأمام».

لن يخطط هذا البرنامج للمستقبل بتاتًا. سيفحص جميع خياراته ويختار الحركة التى تحقق أفضل النتائج فى أنماط مماثلة. تأمل فى هذا. تخيل كتابة قصيدة دون حرف «E» أو صنع كعكة براونيز دون شيكولاته.

ما افتقر إليه البرنامج من حيث العمق، عوضه بالشمولية. فباستخدام قاعدة بيانات تضم ملايين المباريات والموافق، بإجمالى ١٥ مليار نقطة بيانات، يمتلك البرنامج شبكة واسعة من الأنماط، «أشجار القرار، التى تساعده على تخمين النقلة الصحيحة فى أى موقف».

ومع ذلك، فإن فكرة التفكير المسبق فى سلسلة النقلات التالية متداخلة بشدة مع المفهوم الشائع لما يجعل لاعب الشطرنج جيدًا، لدرجة يصعب معها تخيل برنامج حاسوبى كهذا يلعب بشكل جيد. فقد يفوته بسهولة تحقيق «كش ملك، قبل نقلتين. إذن، ما مدى جودة هذا اللابعب؟ سئى؟ عبقرى؟ أم فى مكان ما بينهما؟

بدلاً من التفكير فى المستقبل البعيد.. علينا البحث عن المفاجآت الصغيرة التى لا يراها أحد سوانا





عادل الجوجرى

فى بدايات اشتغالى بالصحافة تعرّضت لموقف غريب، أحد أبطاله حمدين صباحى، والكاتب الصحفى عبدالحليم قنديل، وكان اسمه الحركى «الدكتور زغاروف»، لسببين: الأول أنه رجل يعشق التنظير، والثانى أنه اعتاد أن يزغر، لمحدّثه أثناء الكلام، لتخفيفه!

أمّا البطل الحقيقى للقصة فهو عادل الجوجرى، الصحفى الناصرى الألمعى، الذى كان ظاهرة صحفية فى عصره، وله نظرية فريدة مفادها أن الصحفى، مهى، مثل الدكتور، إن جاءه مسلم عالجه، أو أتاه يهودى عالجه، فلا فرق بين مريض وآخر، ولو كان مجوسياً.

تأكد لى بعد ذلك أن نظرية الجوجرى كانت خاطئة، لأن الصحافة مهنة رأى، والطب مهنة إنسانية، ولا يستويان مثلاً. ناهيك عن أن، تأجير العقول، هو أسوأ أنواع المهن. ولكن تلك النظرية أفادتني وقتها، لأنها علمتني الكتابة على لون!

وفيما كنت أتسكع فى معرض الكتاب، القديم بمدينة نصر، تعرّفت بالصدفة على الكاتب الفلسطينى الكبير إميل حبيبي، عضو الكنيست عن الحزب الشيوعى الإسرائيلى، وسكرتيرته سهام داود، وهو الكاتب الذى أثار قبل ذلك بسنوات ضجة ثقافية كبرى فى العالم العربى، بعد حصوله على «جائزة الإبداع الإسرائيلى» عن أعماله الروائية وأشهرها «المتشائل»، أى الشخص الذى يجمع بين التفاؤل والتشاؤم مقاً. كما جمع إميل نفسه بين الأدب والسياسية، رغم اعترافه بأن المرء لا يستطيع أبداً حمل بطيختين، بيد واحدة!.

طابع الديب

رهين البطيختين



ذكرى صداقة «مُستهجنة» مع إميل حبيبي

إسرائيليون، فكيف نصنّف معهم فى صف واحد بدعوى أنهم يؤيّدون حقنا، ولو!

1 قالت الضفدع قولاً

أعجبتنى كتاباته الساخرة، التى تحتفى وراء بساطة خادعة، خاصة روايته الشهيرة «الوقائع الغريبة فى اختفاء سعيد أبى التحس المتشائل». وادهشتنى ثقافته العربية الأصيلة، وسيطرته على لغة أدبية رفيعة المستوى تجمع بين الرصانة والتهمك، وهو مستوى لم يبلغه— فى تقديرى— سوى كبار الكتاب، من قامة جراهام جرين، مثلاً. كان الرجل، صاحب السبعين سنة وقتها، ممتلئاً بحيوية الشباب أكثر منى. يصلول ويجول، ويستشهد فى بعض كلامه إذا طرب بأبيات من دواوين المتنبى، والفرزق، ونصر بن سيار، خاصة

البيت المشهور للمتنبى: رمانى الدهر بالأرزاء حتى فؤادى فى غشاء من نبال.. فصررت إذا أصابتنى سهام تكسرت الاتصال على النصال.

ثم يُتبع ذلك: إياك تقول لمديرة مكتبى: انسى قلت «أصابتنى سهام»!

وكان يعتبر «العقد الفريد» واحداً من أعظم الكتب فى التاريخ، مع معرفة واسعة بالتراث العربى، وإخلاص تام لفكرة أنه «مقاوم بالآداب»، ناهيك عن علاقته الوثيقة مع ياسر عرفات، وكبار المثقفين

كنت لا أزال أعمل مع الجوجرى، وأتّوّل لزيادة دخلى عبر مكاتب الصحف العربية فى القاهرة، أقدم موضوعاتى الثقافية التى كانت بضاعة رائجة إلى حد ما. وأجريت حواراً مطولاً مع إميل حبيبي، مع أنه من دعاة السلام مع الكيان الإسرائيلى. ولم يكن فى الحوار كلمة واحدة متعلقة بأرائه السياسية المثيرة للجدل، بل هو محاوره أدبية فى المقام الأول.

رغم ذلك، رفضت معظم الصحف العربية التى تعاملت معها نشر حوار «حبيبي»، خشية اتهامها بالتطبيع مع إسرائيل. فقد كان الرجل من عرب الداخل، الذين يُطلق عليهم «عرب ٤٨»، مع أنهم موجودون هناك منذ آلاف السنين، يعيش فى

حيفا، وهو عضو سابق فى الكنيست عن الحزب الشيوعى الإسرائيلى، الذى يضم عرباً ويهوداً يسرائيلين من مؤيّدى الحق الفلسطينى، لكنهم

إميل حبيبي عرض علّى أن أكون

مراسل جريدة «الاتحاد» الناطقة

باسم الحزب الشيوعى الإسرائيلى



إبراهيم أصلان

وبعد النشر، ذهبت إلى مكتب الصحيفة آخر الشهر، فوجدت مبلغاً كبيراً بمقاييس ذلك الزمن. وأخبرنى المحاسب أن أصلان يريد أن يرانى، فذهبت إليه فى مكتبه. استقبلتنى بحميمية كأنه يعرفنى من سنين، وراح يتبسّط فى الكلام معى يتواضع المعروف، وأبلغنى أنى أصبحت الآن محرراً ثقافياً فى «الحياة»، أهم جورنال عربى وقتها.

طبعاً هذا لا ينفى أنه كان وراء «الحياة» أهداف سياسية، مُرتبطة بمصالح الجانب السعودى، لكن طاقم التحرير اللبنانى لم يكن يفعل ذلك بطريقة فجّة، بل بأسلوب احترافى تماماً لا تكاد ترى— من خلاله— أى أجندة سياسية للجورنال. وهذا شىء لا يُجيدده معظم الصحفيين المصريين!

2 بقى فى «حيفا»

نعود إلى «أبوسلام»، فقد صارت صداقة بينى وبين الرجل، بعد نشر الحوارين خلال شهر واحد فى «الحياة» و«الوطن العربى» مقاً. وكان يتصل بى تليفونياً من داخل الكيان الإسرائيلى على تليفون فى مكان عملى، قبل أن يأتى إلى القاهرة، لأستقبله هو وسهام، فى المطار. ويزور الاثنان، أثناء ذلك، كتّاباً ومخرجين يساريين، منهم رضوان الكاشف ولطفى الخولى.

وتذكّر، مثلاً، أنه طلب منى إرسال عدد «الوطن العربى» الذى نُشر فيه الحوار، بعد أن أطلع على «الحياة» بمعرفته. وصمّم أن يدفع تكلفة الشحن عبر البريد، وكان مبلغاً بسيطاً. وأرسلت له العدد بالفعل إلى حيث كان يقيم فى «حيفا» داخل الخط الأخضر، لكن الطرد لم يصله.

وكان الرجل حين يزور القاهرة يأكل الطعام فى الحسين، ويحب أن يمضى فى الأسواق، ويكلّم الناس على القهوة، يزور الجوامع والكنائس القديمة، ثم يذهب فى آخر اليوم لمشاهدة المسرحيات الكوميديّة فى الموسم، خصوصاً مسرحية عادل إمام المعروضة، ويظل يردد الإفيئات التى سمعها فى المسرحية، باعتبارها آخر «كلمات المصريين الطرفاء».

ومن واقع هذه المشاهدات والأحداث، كان يُبدى خلال جلسائنا الخاصة ملاحظات تدلّ على أنه رجل مخضرم. ومن ذلك تأكيد مراراً أن الشعب المصرى هو أشد الشعوب العربية كرهاً لإسرائيل، وأن «الدولة العميقة» المصرية ترفض السلام مع الكيان العبرى. ولولا وقوف مصر كمانعة صواعق، فى العالم العربى، لنفّذت تل أبيب وواشنطن حلم «إسرائيل الكبرى، من الفرات إلى النيل.

وما زلت أتذكّر جزءاً من شهادة الكاتب السودانى الطيب صالح عن الرجل، حين قال: «كان على سجيّته فى المحيط العربى، بعد الحظر القبى الذى ضربه العرب ردحاً من الزمن على الفلسطينين الذين أثروا البقاء، وصاروا يحملون الجنسية الإسرائيلية بالضرورة. لم يكتفوا بالحوطر، ولكنهم كانوا ينظرون إليهم برؤية وحذر، كأنهم يعاقبونهم على تشبّهم ببيوتهم وأرضهم».

كان موقف الناصريين منه موقفاً سلبياً، رغم أنه— ببساطة— تمسّك بأرضه. ولم يفهم أحد منهم مغزى صداقتى للرجل. لذلك، فوجئت ذات يوم بالجوجرى، يستعجبنى إلى مكتبه، ويطلب منى أن أغلق الباب خلفى.

وفور أن جلست، باغتتنى بسؤال: إيه علاقتك بإميل حبيبي وسكرتيرته سهام داود؟

قلت: إحنا مجرد أصدقاء.

قال: لا، الصداقة دى هتَشوَّه سمعة المكتب، لازم تقطع علاقتك بيه فوراً. دا مش كلامى أنا بس، دا كلام حمدين صباحى وعبدالحليم قنديل برضه. معاك شهر عنان تفكر وترد علينا!

وأخرج «عادل» من درج مكتبه دفتر شيكات، وكتب لى شيكاً بقيمة مرتبى لشهر المقبل، حتى أقعد فى البيت براحتى أفكر مع نفسى، دون أن أحمل هم المرتب. لكننى فكرت— وقررت— فى التو واللحظة. قلت له: لا خلى الشيك معاك، أنا هسبب الشغل دلوقت.

نظر لى «الجوجرى» غير مُصدّق رد فعلى الفورى، ثم ابتسم وقال لى: طيّب روح أقعد على مكتبك.

لم أقل له، مع ذلك، أن إميل حبيبي عرض علىّ أن أكون مراسل جريدة «الاتحاد» الناطقة باسم الحزب الشيوعى الإسرائيلى، الذى يضم يهوداً وعرباً، وذلك مقابل مبلغ يصل إلى ألف دولار شهرياً، فرفضت العرض شاكرًا.

مات الرجل بعد عام من ذلك التاريخ إثر مرض قصير، فى منزله بمدينة حيفا المحتلة. قرأت ذلك فى الجرائد، وعرفت أنه كتب على قبره «إميل حبيبي (١٩٢١–١٩٩٦): بقى فى حيفا».



كان الرجل

من عرب

الداخل،

الذين يُطلق

عليهم «عرب

48»

قصة جامعى الكتب فى أمريكا

عن دار الرافدين للنشر، صدرت حديثاً النسخة العربية لكتاب «جنون الكتب».. (قصة جامعى الكتب فى أمريكا)، تأليف دينيس جيجانتى، وترجمة بتينة إبراهيم. ويتناول الكتاب قصة بيع مكتبة الشاعر الإنجليزى تشارلز لامب فى أمريكا، وقد تحولت المكتبة وصاحبها إلى أيقونة فى ثقافة «جمع الكتب».



تكساس - حدوة مصر كانية

صدرت من دار الثقافة الجديدة للنشر والتوزيع، رواية جديدة بعنوان، «تكساس – حدوة مصر كانية»، من تأليف الكاتب فكري أندراوس، تجمع الرواية بين تجربة الهجرة المصرية وأسئلة الهوية والانتماء عبر سرد يتناول طموح الشاب المصرى «أيهن»، ورحلة نجاحه العلمى والعملى فى وكالة «ناسا»، وتلاقحه مع الثقافة الأمريكية.



آخر من تبقى فى طرابلس

صدرت عن «العين»، رواية جديدة بعنوان «آخر من تبقى فى طرابلس»، للكاتبة نجوى وهيبه، وتدور أحداثها حول دبلوماسى اجنبى عمل فى طرابلس أواخر التسعينيات، يعود إلى ليبيا للعمل فى مهمة جديدة وللبحث عن قصة حب قديمة وبفايا ذكرياته اللطيفة هناك، فتتزامن عودته مع تجديد المارك فى المدينة. فكيف تبدو له طرابلس بعد مضي كل تلك السنوات، وكيف تبدو حبيبته القديمة، وهل تحققت التوقعات التى أمّنت بوقوعها؟

صدر حديثاً

قلوبهم معلقة بمصر

السفر هو الحنين إلى تجربة الجديد غير المألوف، والاحتياج إلى الفرح باصطياد المعرفة وإثراء الروح، التي طالما رزّيت لى أن هناك دوماً، فى مكان ما، مدينة جديدة جميلة تمنحى وجهها طواعية، وتسمح لى بأن أقيم معها علاقة عاطفية.

كانت بدايتى مع كتابة الشعر، وصدر لى ديوان الحب بسألكم المغفرة، لكننى هجرت الشعر لأننى أدركت أن الشاعر لكى يكون حقيقياً يتوجب عليه أن يخلص للشعر، وألا يكون له شريك يقاسمه الوقت والاهتمام. ومع ذلك، أبى الشعر أن يهجرنى، وظل يتسلل إلى كتاباتى فى الموسيقى، والأوبرا، والباليه، والمسرح، والفن التشكيلى.

كذلك وجدت الشعر يتخلل نسيج السرد

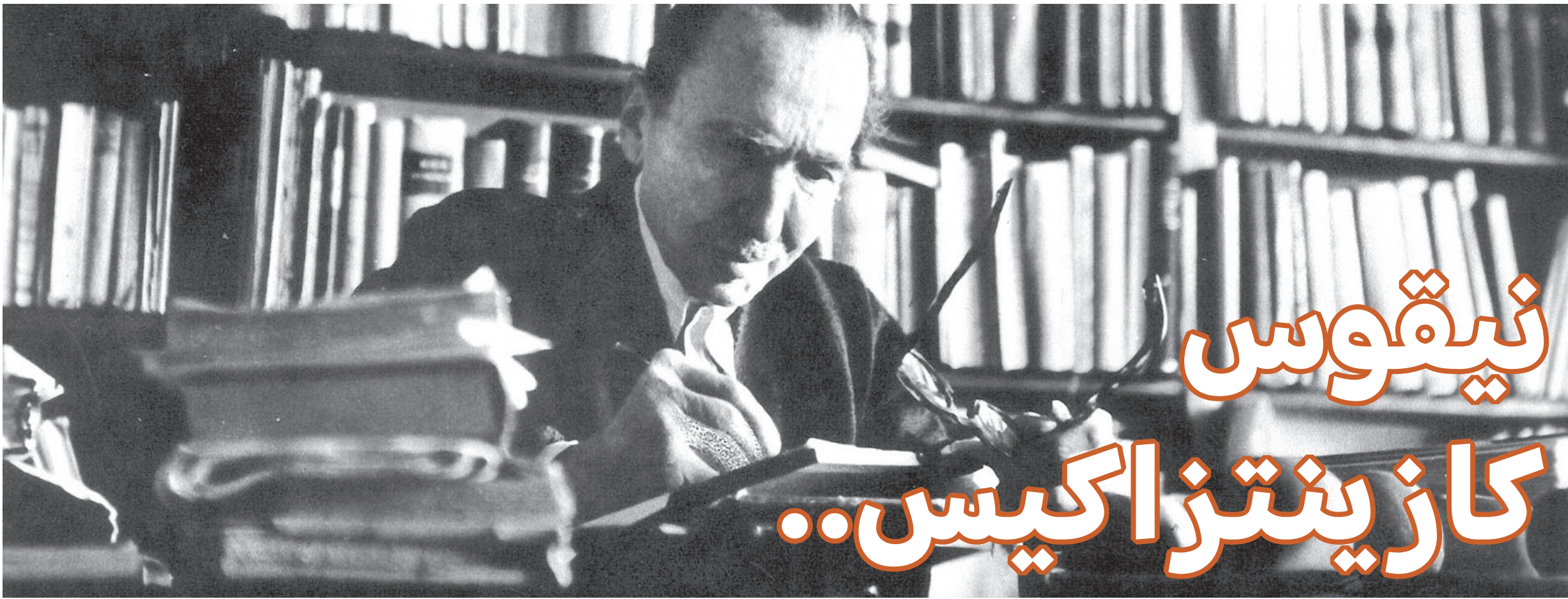
فى الرواية التي أترجمها من الإنجليزية إلى العربية، ولى فيها ترجمات عدة، منها، شعب يوليو، للكاتبة الجنوب إفريقية نادين جورديمر، الحاصلة على جائزة نوبل، وميراث الخسارة، للكاتبة الهندية كيران ديساي، وزهرة الكركديه الأرجوانية، للكاتبة النيجيرية تشيياماندا نغوزى أديتشى. والممتع فى ترجمة الرواية أننى أشعر وكأننى سافرت عبر سطورها إلى الأمكنة والأجواء التي تتحرك فيها شخصيات الرواية. ولى فى أدب الرحلة ستة كتب، من بينها «وردة الشمال... أيام فى استكهولم، و.السفر.. قصة عاطفية، و.تونس البهية.. رحلة فى الناس والتاريخ والعمران»، وحصل على جائزة المركز العربى الجغرافى، أحمد ابن بطوطة،. وحالياً أعد فصولاً لكتاب جديد عنوانه

«قلوبهم معلقة بمصر، عن مجموعة من الأدباء والرحالة والفنانين الأجانب الذين زاروا مصر وأحبوها إلى درجة العشق، وكتبوا عنها، ومنهم: الأديب اليونانى نيقوس كازينتزاكيس، والرحالة البريطانى ديزموند ستيوارت، والأديب الفرنسى تيوفيل جوتييه، والرحالة والأديبة البريطانية أميليا إدواردز، والرحالة الروسى ف. أندريفسكى، والأديب الألمانى هانز أبندورفر، والأديب الفرنسى جوستاف فلوبير، ودوروثى إيدى، المولعة بمصر القديمة ومعبد أبيدوس. «قلوبهم معلقة بمصر، أتوجه به إلى شباب المصريين لأقول لهم: هذه الجميلة، مصر العظيمة القدر، تستحق منكم كل الحب. وهنا فى حرف، أصبحكم فى رحلة الأديب اليونانى نيقوس كازينتزاكيس لمصر.



أحمد هريدى

1



نيقوس كازينتزاكيس..

يوميات أديب يونانى فى شوارع الدلتا والقاهرة

هذا الجمل فى ملحمة أحمد على وهنينا لمن يشتري من لحمه... ورأى حاملى محارق البخور البرونزية يدخلون من هذا الدكان أو ذاك... ورجل يتوسط حلقة السامر ويحشو القطن فى فمه ويتظاهر بمضغ وابتلاعه، وينضم إليه رجل آخر يسحب بأصبعه القطن من فم الرجل الأول فى شريط لا نهاية له، ثم تدخل امرأة لتلتقط طرف الشريط القطنى وتلفه حول خصرها الدقيق وتدور كالمغزل، ويعقب كل ذلك صينية تدور على المتفرجين لجمع قروش قليلة.

رائحة القرقة والقرنفل والبخور تهب عليه قبل وصوله إلى سوق النسوة المسقوف الذى تباع فيه البهارات العربية، وفيه تقوم البائعات بحسر الحجاب عن وجوههن إلى النصف ويقمن بالتدليل على بضائعهن مثل كحل العيون والحناء وزيت الطيب والمسك وماء الزهر والبخور، وفى الجهة المقابلة للسوق ورش تصنع فيها تحف فضية ونحاسية وأماكن عرض وبيع سجاجيد وأقمشة وسيوف وخناجر مرصعة بالعلاج والياقوت الأحمر واللؤلؤ.

4

تأمل الوجهين الأخضر والصحراوى



يصعد الدرج صوب الهضبة والجبل، ويتسكع لساعات طويلة حول المساجد والمآذن المضيئة كأنها شهب يبيضاء تخترق السماء الزرقاء الداكنة، ناظراً إلى أسفل حيث المدينة تهدر كهدير البحر، بينما الشمس تبدأ فى التدرج نحو المغرب... وفى مكانه المرتفع يرى الصحراء تلف المدينة وتحاصر البيوت متأملاً زهرة القاهرة مستلقية ومتفتحة على الرمال وتشرب من ماء النيل... كانت مصر كلها فى مكانه المرتفع تمتد أمام عين خياله، حيث القرى الهاجعة على ضفاف النيل والخضرة الزاهرة على يمين ويسار النهر تنتج الغذاء للناس والحيوانات، والصحراء القاحلة التى لا يحدها حد وتقتل الناس والحيوانات.

وجهان لمصر تمتع بهما كثيراً «كازينتزاكيس، أثناء ترحاله فى مصر، هما الوجه الأخضر والوجه الصحراوى الرمادى، وتمثل الإحساس الذى لم يشعر بمثله فى أى مكان على هذه الأرض فى لذة التواصل بين الحياة والموت، فقد اعتاد المصريون القدماء وضع الموميאות فى صدر قاعات الطعام من أجل النظر إلى الموت ومن أجل تقوية إدراكهم بحياتهم القصيرة متلماً باعتادوا الغناء:

«تمتع بكل يوم
أدمن جسداً بالعطور واجعل أنفك يتشمع
الروائح العطرة
واعقد باقة من اللوتس لجسد المحبوب
الجالس بالقرب منك
اسع لملاهيك الآتية
واهرب من متاعبك ومسئولياتك
حتى تأزف الساعة التى سيأخذونك فيها
إلى ذلك المكان الهادئ الذى تحب
وتدكر أن لا أحد يمكنه الرجوع من هذا المكان أبداً».

الشمس وحمره خفيفة تلون الجبال، وإلى طيور فى السماء تتمايل أعناقها ببطء، وإلى فلاحين يسحبون دلاءهم ليرووا الأرض وهم يغنون، وإلى الناس جميعاً يبدو مسالمين وقاعين ولا ينقصهم شيء سوى قلب رومانسى كى يندخ هذه السكينة. لكن «كازينتزاكيس، صاحب القلب الرومانسى لم يندخ طويلاً فلقد استطاع أن يميز خلف قناع الوداعة ذلك الوجه الحزين المكافح لمصر، وأدرك جيداً أن على طول ذلك الشريط الضيق الذى يزهر بالخضرة وسط الصحراء معركة مرعبة لا تنتهى بين الماء والإنسان، وأنه إذا توقف هذا الصراع للحظة واحدة فقط فسوف تغمر الصحراء كل ما يزين هذه الأرض من أشجار وطيور وناس.

عذسة عين القلب الرومانسى رأت الفلاح المصرى قطعة من المنظر الطائى مصنوعاً من نفس طين الأرض، يحنى قامته أمام النهر بجزره ومد منه منذ قديم الزمان، ويجر الماء ليملأ أكباد الأرض ويضلل ذلك بإخلاص عظيم، كما رأت عين القلب الرومانسى النسوة يسرن صوب النهر، يملأن جرائهن الفخارية ويضعنها على الدورة الموضوعة على طرف رعوسهن، ويتسلقن حافة النهر بخط مستقيم فى صف واحد وببطء، واحدة أثر الأخرى، وتلمع الخلاخيل الفضية تحت أشعة الشمس على كمويهن التى لطخها الطين وفتحتها الشمس.

ناظراً إلى مجرى النيل وجد «كازينتزاكيس، نفسه يفكر بالتخلي عن كل تصوراته السابقة حول الجواهر الذهبية والفراغنة المنتصرين والآلهة العظيمة، فقد رأى الحدادين بالأمهم المبرحة فى الحقول وهم يواصلون العمل فى الليل فى الوقت الذى يتوجب عليهم فيه أن يخلدوا للنوم، ورأى الحلاق ينتقل من بيت لآخر بحثاً عن زبائن ليقص الشعر طوال النهار، ورأى النشاج وساعى البريد والإسكافى والدباغ.

3

رائحة المسك تغمر القاهرة

ربما الانطباع الأول الذى استقر فى روح وعقل نيقوس كازينتزاكيس عند رؤيته القاهرة هو ما عثر به بقوله: «هذا هو الشرق كما أحبه طافح بالنور والألوان والعطور... هنا رماد أجيال عديدة لا تحصى بزغت من طمى النهر وجفت كما تجف قوالب الطين فى الشمس ثم تحولت ثانية إلى طمى...» وفى جولاته بشوارع القاهرة كان يستمتع برؤية المحصول الإنسانى المعاصر للنيل، «الفلاحون النخيلون الرشيقون المرهقون من العمل والجوع»، وبالنظرة إلى النسوة الكحليات المعيون يرتدين الخلاخيل الفضية... وخلال طوافه فى أرجاء المظلة الإنسانية الملوثة التى تعقب برائحة المسك والسرور كان يرى الأوروبيين الشاحبين كالمريض تحت حرارة الشمس العربية وقد لفتت وجوههم وجعلتهم كالصايين بالودار.

على وقع الطبول شاهد ثلاثة من المصريين يقودون جملاً متوجاً بالأزهار ومن خلفهم الأطفال يغنون فرحين وينشدون: «غداً سيدنبج

لم يورث النيل الأرض والأشجار والحيوانات والناس فقط، فى رأى كازينتزاكيس، إنما ورث أيضاً القوانين والحقائق العلمية الأولى، فلأن فيضانه ليس مصدر خير دائماً وجد المصريون أنفسهم مجبرين على تنظيم أنفسهم والعمل معاً حتى يقدرون منسوبة ويتحكمون فى قوته المدمرة ويختزنون طاقته المائية فى خزاناتهم... وهكذا انتظم المصريون فى تجمعات واكتشفوا قوانين العلوم المائية وسرعان ما أجبروا على اكتشاف العلوم الهندسية، ففى كل عام كانت مياه النيل تغمر الحقول وتحطم الحواجز ويصبح من الضرورى لكل ملكية فردية أن تكتشف فائدة تسجيل الأرض الزراعية فى سجلات الأرضى، وبهذه الطريقة تسبب النيل فى خلق القانون الذى يعنى بعلم الشوارع والطبقات.

ولأن ازدهار ونمو كل ملكية زراعية اعتمد على ازدهار ونمو ملكية زراعية أخرى، فقد تولد التنظيم المحكم لتوزيع المياه، وبذلك أجبر النيل المصريين على قبول قسوة الحكم السلطوى، الذى يمثل اجتماع كل السلطات فى رمز سياسى واحد يستطيع التحكم فى الماء ويوزعه بالعدل، ومن ثم ظهرت الحاجة إلى وجود سلطة فرعونية مطلقة.

2

المصرى وجه مكافح خلف قناع الوداعة

أثناء تجواله على طول شواطئ النيل بين أعواد قصب السكر، بدأ للرحالة اليونانى أن الصحراء قد استسلمت وافتحت وحملت الثمار وأنجبت أشجار النخيل والحيوانات والفلاحين الذين يجرون المياه فى عيون الصحراء البراقة التى لا تستسلم أبداً ولا تهزم أبداً، ووجد نفسه يسأل: إلى متى يقوم الفلاحون المصريون نصف العراة بجر المياه وفتح القنوات وزرع البنور وعرق الأرض...؟ إلى متى يستمر هذا النضال طالما أن النيل سوف يتناقص فى لحظة ما تعود بعد ذلك رمال الصحراء الناعمة التى لا تهزم أبداً...؟ لهذا السبب كان كهان مصر القديمة يقدمون القرابين للنيل ويرفعون أيديهم بالدعاء والثناء عليه؟

«مرحى أيها النيل المتجسد فى الأرض القادم بسلام كى يحيى مصر إنك تخفى عبورك فى ثوب الظلام وتمد أمواجك إلى الحدائق وتعطى الحياة لكل شيء ظامئ أنت رب السمك وأبو القمح وخائق الجهد إذا توقفت أصابعك عن العمل فإن آلاف المخلوقات سوف تهلك وتختفى الآلهة

لكن حين تكشف لهم عن نفسك فإن الأرض تطلق صياحات البهجة وتحس كل بطن بالمتعة وتندغدغ الضحكات كل نفس حيث تجد كل سن ما تلوكه وتمضغه»، عين «كازينتزاكيس» المحبة تنظر إلى غروب

الأديب والفيلسوف اليونانى نيقوس كازينتزاكيس «١٨٨٣ - ١٩٥٧»، هو صاحب «زوريا اليونانى، والإغواء الأخير للمسيح، والمسيح يُصلب من جديد، وغيرها من المؤلفات المهمة، وقبل أن ينتج رواياته التى باتت خالدة وثق زياراته إلى مصر وادى النيل وسيناء بين عامى ١٩٢٦ و١٩٢٧»، وجاءت هذه الرحلات حين عمل مراسلاً صحفياً، غير أنه لم ير مصر بعين المستشرق العابر- مثل كثيرين كتبوا عنها- بل بروح متأملة تبحث عن جذور الحياة، فلم يكتف بالقشرة السطحية للأماكن، بل التحم بالناس والبيعة والروح المصرية البسيطة. وشملت محطات رحلته مشاهداته دلتا النيل، والقاهرة، والأهرامات، وتجواله الروحى والتأملى فى صحراء سيناء، وعبر عن شعور عميق بالقرابة الروحية مع المنطقة، حتى إنه قال عن عمق تأثره: «ليتنى انحدرت من أصل بدوى، وفى كتاباته جمع بين الوصف الجغرافى الدقيق والرؤية الفلسفية الروحية، مستعرضاً انطباعاته العميقة عن مصر، وعكست مقولاته تفاعله مع الطبيعة البكر، وتأملاته حول التحول النفسى والبحث عن الخلاص وسط جبال سيناء.

1

دهشة وحيرة.. وقوانين النهر المقدس

عند اقترابه من منطقة الدلتا «البقعة الخضراء العظيمة»، كما كانت تسمى فى الهيروغليفية، وبينما كانت أغنيات الفراعنة القديمة تتسلل إلى قلبه، تساءل العاشق اليونانى من جزيرة كريت «نيقوس كازينتزاكيس»: ما القيمة المباشرة للأهرامات والموميאות الذهبية ومعابد الكرنك العملاقة والمتمايل الملوك الجرائيتية بالحيرة لى..؟ كيف يمكننى ألا أنظر بدهشة وحيرة إلى النخلة دهشة وحيرة.. وقوانين النهر المقدس فى رحلته بدت له الدلتا بقعة خضراء تنفتح وتمتد باتجاه البحر فى الشمال، فى قلبها ياقوتة حمراء هى القاهرة التى منها يبدو جذع مصر- النخيل المنبسط مثل جذع شجرة النخيل- مصاحباً مياه النهر إلى الجنوب حيث تنبسط على يمينه ويساره رمال الصحراء المترامية. هو النيل إذن أكثر الأنهار الثلاثة القديمة العظيمة المقدسة «النيل والفرات والجانج، قداسة، فهو الذى غمر الأرض بالماء وجعلها مثقلة بالثمار، وهو الذى أنجب النباتات والحيوانات والثمار، وهو الذى أجبر الناس على العمل معاً من أجل اكتشاف العلوم الأولى.



نيقوس كازينتزاكيس

هنا رماد أجيال عديدة لا تحصى بزغت من طمى النهر وجفت كما تجف قوالب الطين فى الشمس ثم تحولت ثانية إلى طمى

مصر تبحث عن غناء جديد 2



محمد العسيري

هل جاء كم حديث خُد البرزة واسكت.. خُد البرزة ونام أمك السيدة وأبوك الإمام؟!.. ربما يبدو السؤال غريبًا ونحن نسأل عن إجابة سؤال أهم.. وهو إلى أين يتجه الغناء المصري في الأيام المقبلة.. ويبدو أكثر غراية ونحن نتعرض لموسيقى حديثة صدرت منذ أيام وأنتجتها عقول تتدّع الحداثة والعالمية.. ولكن بقليل من الهدوء والتفكير لن تجد غراية إذا ما علمت أن هذه الأغنية التي تعود إلى زمن غناء الأساطوات والعالم تحولت من لحن شعبي مغرق في السفالة إلى أحد أهم ألحان مصر الوطنية. أثناء أحداث ثورة ١٩١٩.. تلك الثورة التي يزعم المؤرخون أنها بداية الموجة الثانية من عملية تمصير الغناء ومنحه هوية أبناء النيل.. وحق يزول عجيبك إن كنت قد تعجبت فلتقرأ معى هذه السطور عن ملحن أزهري شارك بقوة في إرساء قواعد الغناء العرب الحديث قبل أن يظهر سيد درويش بأعوام قليلة واسمه بدوى أمان..

سبع الرجال يا خالة

هل يتورط محمد الشرنوبى فى الترويج لـ«المثلية»؟

الشيخ بدوى، وحسب مقال نُشر فى جريدة الاهرام فى التاسع من أغسطس وأعدت اليوم السابع نشره فى ٣ فبراير ٢٠٢٠ للدكتور ياسر منجى.. هو رجل أزهري انتقل من كونه أحد الجاوريين إلى تحت حسن الحويمى وحفظ ألحانه، ومن ثم نقلها بعد ذلك لعدد من المطربين والمطربات من بينهم سيدة الإسكندرائية ونعيمة المصرية.. نعيمة.. التي قبل إنها جاءت لمسارح الأزيكية هاربة من أهلها فى أسبوط، عملت أول ما عملت فى القاهرة فى كازينو «مونت كارلو» بروض الضرج، حيث أخذت تقدم كل يوم فصلا تمثيليا وفى أحد هذه الفصول تأخذ ابنة السلطان شقيقها الرضيع، وتهرب به إلى الجبال لإنقاذه من القتل على يد عمها الطامع فى الملك، ويبكى الرضيع فتهدده بتلك الكلمات المقتاة:

خُد... واسكت / خُد... ونام

خُد... يا نونو / وادبلح حمام

أه لو يسمعونوا ولاد الحرام

يجبوا يديبحونا / ونموت والسلام..

نفس اللحن.. ونفس الكلمات حولها ثوار عام ١٩١٩ إلى أغنية وطنية نسبها مؤرخون كثر لبديع خبيري وسيد درويش، لكن الباحث.. د. ياسر منجى يكشف عن أن «المايسترو الأمريكى رالف مارتيرى، أعاد توزيع اللحن وقدمه عام ١٩٥٧ باسم «شيش كياب»، فانتشر بشكل كاسح وتم استخدام موسيقاه فى عدد من الأفلام، وحقق فيما بين عامى ١٩٥٧ و ١٩٥٩ قرابة مليون جنيه من حقوق الأداء العلنى. والغريب أننا عدنا لنستخدم اللحن نفسه فى أفلامنا العربية ومنها «إسماعيل ياسين فى مستشفى المجانين».

ما هى العلاقة إذن بين الشيخ «بدوى أمان» ولحنه وكلمات أغنيته البذيئة وموسيقى المصريين فى صيف ١٩٢٦؟ الإجابة باختصار هى حيرة أهل الطرب فى بلادنا منذ ذلك الحين بين موسيقى الشرق والغرب بحثًا عن نغمة مصرية خالصة.. تلك الحيرة كانت السبب الأول والمباشر فى نضوج تجربة الشيخ عبدالرحيم المسلوب فى أولى محاولات الخروج من عباءة وطنيان النغم التركي الذى سيطر على موسيقانا ما يزيد عن خمسة قرون، وهو السبب نفسه فى وجود ظاهرة سيد درويش الذى استخدم فى أوبريتاته مثل «شهرزاد والباروك»، قوالب «الهارموني كونترابوينت» التى لم تعرفها الموسيقى الشرقية من قبله، كما تقول د. رتيبة الحنفى فى كتابها «موسوعة الموسيقى العربية».

الشرنوبى يختتم موسم البواقي بالترويج لغرام المثليين



سيد درويش

«زى العجر» أفضل أغنيات العام مطربها لا يعرف الفرق بين غناء الأثني وغناء الرجل

وهو السر نفسه الذى حاول بليغ حمدي اكتشافه بنزوعه إلى استلهام الفلكلور المصرى بدءًا من راعته «يا نخلتين فى العلالى» التى غنتها وردة فى فيلم «المط.. وإذا كان سيد درويش هو «والد الموسيقى المصرية الحديثة»، حسب تعبير د. زين نصار فى كتابه «أعلام الموسيقى والغناء فى مصر»، فبليغ حمدي هو أحد أهم مجدديهما من أبناء الموجة الثانية المحسوبة على زمن «ثورة يوليو».

سؤال الهوية لم يتوقف يومًا عن التردد على ألسنة الموسيقيين فى مصر.. فالذين وصفوا اسم مؤتمر «الموسيقى العربية» عام ١٩٣٢ ليحذفوا اسم الشرقية ظلًا منهم أنهم يمنحون موسيقانا هوية عربية لم يتمكنوا أبدا من حسم ذلك الصراع طيلة مائة عام ويزيد.

1 العندليب زعيم ثورة التجديد

فى ١٦ يناير ١٩٥٦ اصدر جمال عبدالناصر أول دساتير ثورة يوليو التى أقر الجمهورية بديلا عن نظام «أبناء دولة ولى النعم»، وقبلها بعام واحد فقط قدم عبدالحليم حافظ ما يمكن اعتباره مطلب الجيل الجديد بذلك الدستور.. لا عجب فى ذلك، فالباحث الفرنسى جاك اتالى قبل «الموسيقى نبوة تستشرف التغيرات حولها قبل أن تصبح مرئية تدريجيا».. فهل مهد حليم لنهاية دولة محمد على ونظامه بشكل تام قبل أن يحدث ذلك بعام كامل؟

يمكنك أن تدبر مؤشر «الكاسيت» أو الشاشة وتضبطهما على أغنية «يا سيدى آمرى.. آمرى يا سيدى» من فيلم «ليالى الحب» الذى شارك فى بطولته عبدالسلام النابلسى ومحمد عبدالقدوس.. والأخير فى ذلك البناء كان يؤدى دور «الباشا» رمز زمن دولة أبناء محمد على الذى يجبر العندليب على الغناء القديم تحت تهديد السلاح فيما السيارة تهرق من أمام قسم شرطة إلى آخر.

اللحن العبقري الغناء المصرى صاغه أحد أهم المجددين فى تاريخ الغناء المصرى الموسيقار محمود الشريف يعيش بدهوء معبزا عن نص بديع كتبه فتحى قورة بذكاء.. بعد أن اختار أربعة مقاطع كل منها يبدأ بسطر من أغنية قديمة.. تشير إلى مرحلة الغناء المصرى فى العهد السابق.. أولاها يبدأ ببالذى أسكر من عذب اللحن، وهو السطر الأول من موشح أندلسى كتبه أحمد كيوان «سورى»، وينسب

لدى البعض للسان الدين الخطيب لدمجه مع قصيدة «جارك الغيث».. وفى المقطع الثانى يستعير دخول قصيدة «بحبك أنت المنى والطلب» للشيخ أبوالعلا محمد التى غنتها أم كلثوم فيما بعد، ثم إحدى أغنيات منيرة الهدية «حبك يا سيدى عطى على الكل.. على الكل يا عينى»، وأخيرا وفى المقطع الأخير يستدعى عبده الحامولى فى «أنا قلبى عليك.. عليك قلبى» ليوجه حليم رسالته الواضحة «وياغنى قديم وأنا إيه ذنبى».

رسالة أو نبوءة حليم فى لحن محمود الشريف البديع كانت مقصودة.. ولم تكن من قبيل المشاهد الدرامية اللذيذة الساخرة وكفى، وكانت نبوءة واضحة لعصر من الغناء الجديد.. وهو ما حدث بالفعل مع جيل كمال الطويل والموجى وبليغ ومن تلاهم، وإن عملت النكسة الشروع برمته لتنفجر ساحة الغناء وتنقسم مجددا إلى عالمين.. الجيل الذى يهاجر فى موسيقاه باستدعاء موسيقى غربية خالصة بالحنان وكلماتها.. وجيل يستدعى الفلكلور المصرى ويأسوا ما فيه كما هو الحال فى أغنيات «الطشت قالى والعتبة قزاز وغيرها»، وإن حاول البعض تطويعها لغناء مصرى حقيقى كما هو الحال فى تجربة الموسيقار على إسماعيل مع الثلاثى المرح وغيرهم.. وفى تجربة بليغ حمدي مع محمد رشدى وشادية ومحمد العزبى وعشرات المطربين.

هل يعيد التاريخ نفسه فى صيف ٢٠٢٦؟ يبدو السؤال مريبًا.. والإجابة لن تكون قاطعة لكن شمة مؤشرات وظواهر تدعونا إلى رصد حالة الحيرة التى يعيشها صنّاع الموسيقى فى بلادنا وسط أجواء سياسية متوترة تمامًا تقطع بأن تغيرًا «جيوسياسيًا» سوف يحدث عما قريب.

2 ضربة البداية.. حماقى

يعرف محمد حماقى أن وليد سعد هو أحد أهم ملحنى مصر فى السنوات الأخيرة، وأن أهم ما يميزه هو جملته الجانحة إلى «الشرق».. ولأن حماقى يعرف أن المزاج المصرى والعربى قد ذهب فى الأعوام الأخيرة إلى أغنيات فضل شاكر الطرية قرر الاستعانة بتامر حسين ووليد سعد فى إحدى أهم أغنيات الموسم.. «عمرنا ما نسينا».. وبعيدًا عن «بساطة الكلمات» واقترب روح اللحن من أعمال أخرى لبليغ حمدي وحسن أبوالسعود، إلا أن الأغنية نجحت فى احتلال قمة «الترند»

الذى صاحب اليوم حماقى الذى ضم ثلاث عشرة أغنية أخرى لم تجد لها أذانًا مصفية.. وأغلبها غارق فى «إيقاعات وأنماط موسيقية غريبة»، وإن حاول حماقى الاستفادة من «الإيقاعات الشعبية» باستدعاء الموزع الشعبى المعروف فى أفراس الدلتا «عبدالسلام»، فى أغنية «نقاوة عينى» التى حاولت الاستفادة من ذلك المزاج الشعبى.

وفيما فشل أحمد سعد ورامى صبرى ورامى جمال رغم اجتهادهم الواضح لتقديم أشكال موسيقية حديثة، إلا أن عمرو دياب وأنغام أدركا ذلك التغيير الذى يحدث.. الحاجة إلى نغمة مصرية شعبية فيها بعض الطرب مما استدعى أن يستعين كلاهما بما يحقق له «خلطة» بين العالمين.

عمرو دياب بأغنيته التى أشرنا إليها فى سطور سابقة «لولا البنات» بلحنها الشعبى الذى يستدعى فلكلور الدلتا.. وأآخر عتابنا، بتركيبتها «الطربية»، التى تستدعى ألحان بليغ حمدي وبالأخص «الف ليلة وليلة».. أما أنغام فقد اكتفت بدبّوعك وجع، تلك التى قامت بتوزيعها بنفسها – وهو أمر ليس غريبًا عنها– فهى ابنة معهد الموسيقى العربية وابنة مطربة مصرية كبيرة اعتزلت ميكزا، إضافة إلى تكوينها الطربى فى منزل محمد على سليمان وعمها خليفة العندليب عماد عبدالحليم، إضافة إلى دراستها العميقة فى الكونسرفتوار.

تكوين أنغام سمح لها بذكاء أن تقتنص واحدة من أفضل أغنيات الموسم، وتعتلى به قمة «الترند» لأيام.. لكن فى هوجة الأغنيات التى صدرت تباعا لم تستطع أغنياتها الأربع الأخرى أن تحصد نفس الحضور والنجاح رغم الجهد الواضح فى موسيقاها.

3 الشرنوبى.. نجم الأيام المقبلة

رغم أن محمد الشرنوبى قدم أفضل أغنيات الموسم بلا استثناء وأكثرها اكتمالا إلا أن حيرة البحث عن «الترند» والهوية، معًا جعلته لا يتوقف عند معانى كلمات أغنيته الأهم، الأغنية كتبها شاعر موهوب حقًا.. يملك مفردات جديدة ومميزة.. اسمه «فليبنو» قادم من عالم «كتابة الإعلانات» وسبق له أن قدم أغنيات ناجحة منها «شير ونص» مع أنغام، «يا ليالى» مع أحمد سعد.. «لون نعان»

مع حماقى.. و«اتخميننا» مع حمزة نمره. الشاعر أحمد السيد وهذا اسمه الحقيقى قدم لمحمد الشرنوبى- الذى اعتبره أحد أهم مطربى جيله مثلما اعتقد أنه مؤهل بحكم تفاصيل كثيرة لأن يكون مطرب السنوات المقبلة – نضا بديعا تشعر أنه قادم من عالم الفلكلور.. وهذه خدعة.. فهو نص حديث تمامًا، لكنه يستدعى بذكاء روح الفلكلور وهذه مهارة لا يمتلكها الكثيرون.. كما أنه يستخدم مهارته تلك فى اشتقاق المفردات وتداعى الجنس بذكاء شديد وببساطة يُحسد عليها.

«سبع الرجال يا خاله/ اتسكن منى.. وخلي «خلا بيا»

بسلامته عبونه قاتلة/ وضعت قصاها أنا يامه عايقه بقميصى الطوبى/ الولا جه شدف توبى شكل الذنوب مكتوبى/ واثنتى تقولى توبى يامه رى العجر يامه/ يعشقنى فى الضلمة يفوينى بالكسرة/ وغويته أنا بضمة».

نص بديع.. أجاد محمد الشرنوبى كملحن التعبير عنه وصياغته فى قالب مودرن وصيغت قدرات الشرنوبى نفسه كمطرب.. لكن ما لم يلاحظه الشرنوبى أن الكلمات موجهة لرجل من امرأة عاشقة.. وفى علاقة حميمة مع رجل تصف علاقته به بأنها «ذنوب مكتوبة».

جمال اللحن يبدو أنه أغرى الشرنوبى بالاستئثار باللحن الذى لا يمكن أن يغنيه رجل ويشاركه الغناء رجل – عمرو البنا– وكأننا أمام عملية ترويج لغرام «المثليين».. وهو أمر أستبعد أنه خطر على بال أى من صنّاع تلك الأغنية.

الشرنوبى.. قدم سبع أغنيات أخرى.. قدم فيها أشكالًا مختلفة تكشف بوضوح عن أزمة صناع الموسيقى فى بلادنا فى هذه اللحظة.. ماذا نغنى؟ واعتقد أن ذلك السؤال سيستمر لشهور وربما لسنوات ليست قليلة.

النص بديع وأجاد محمد الشرنوبى كملحن

التعبير عنه وصياغته فى قالب مودرن